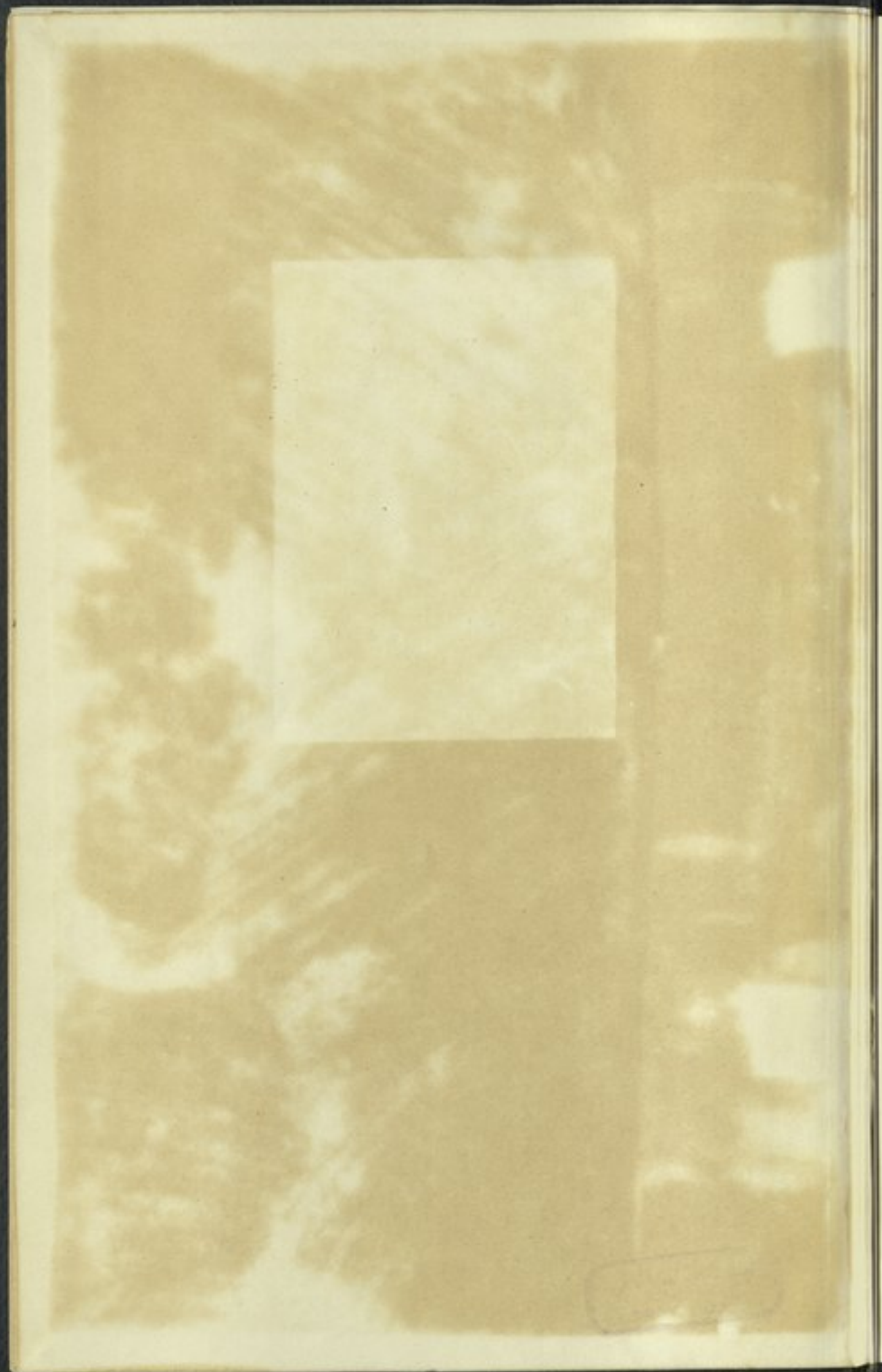
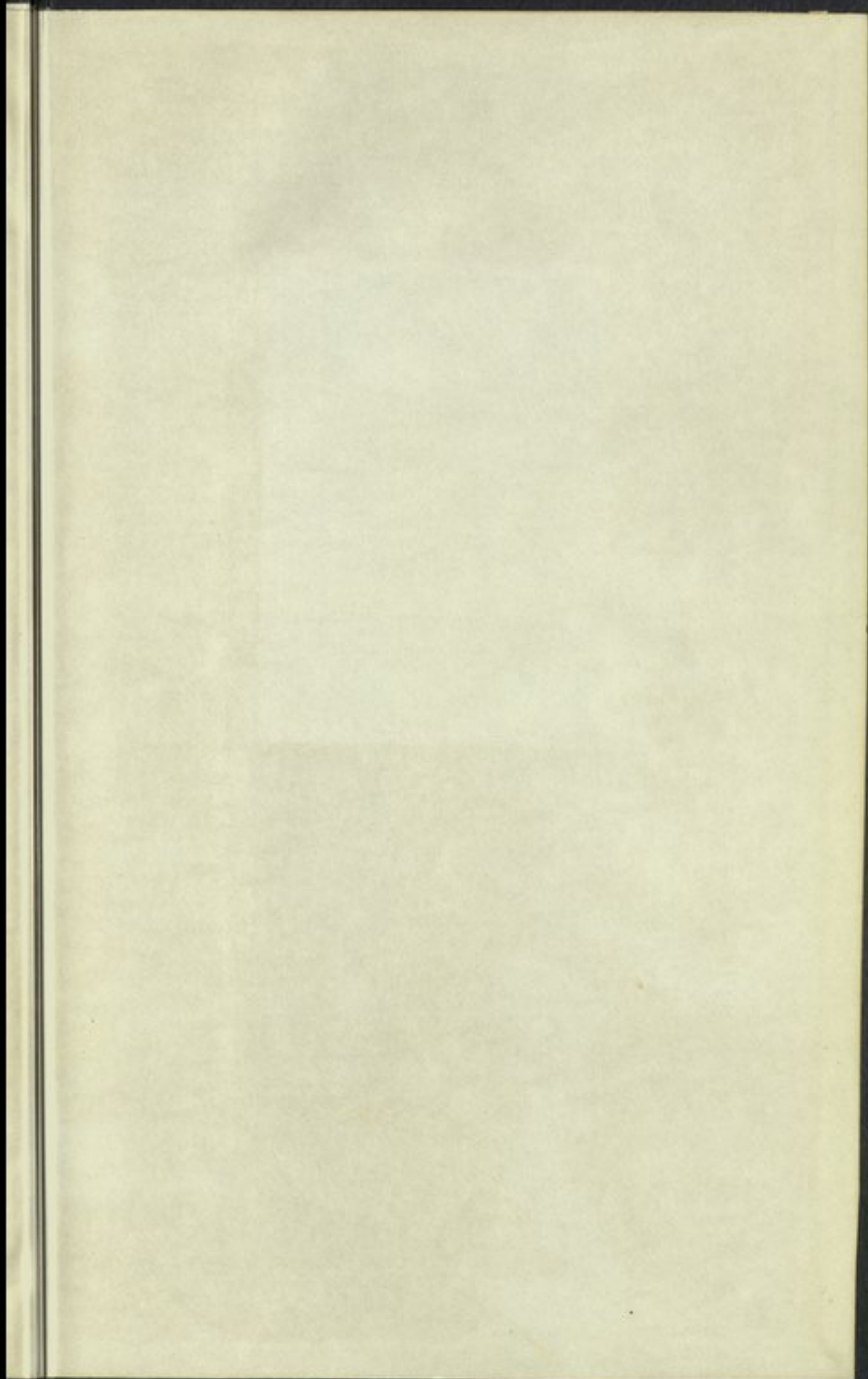


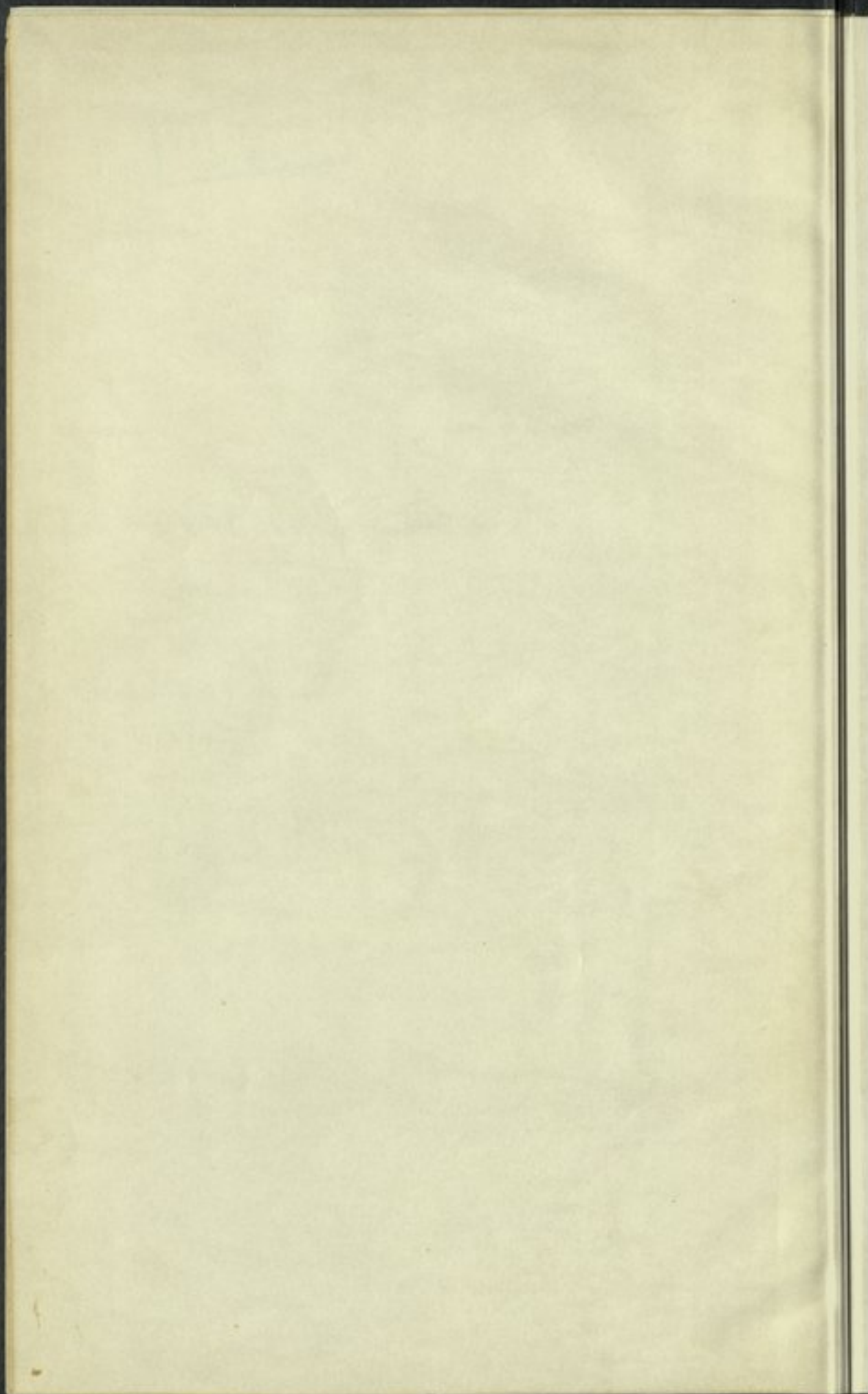
59

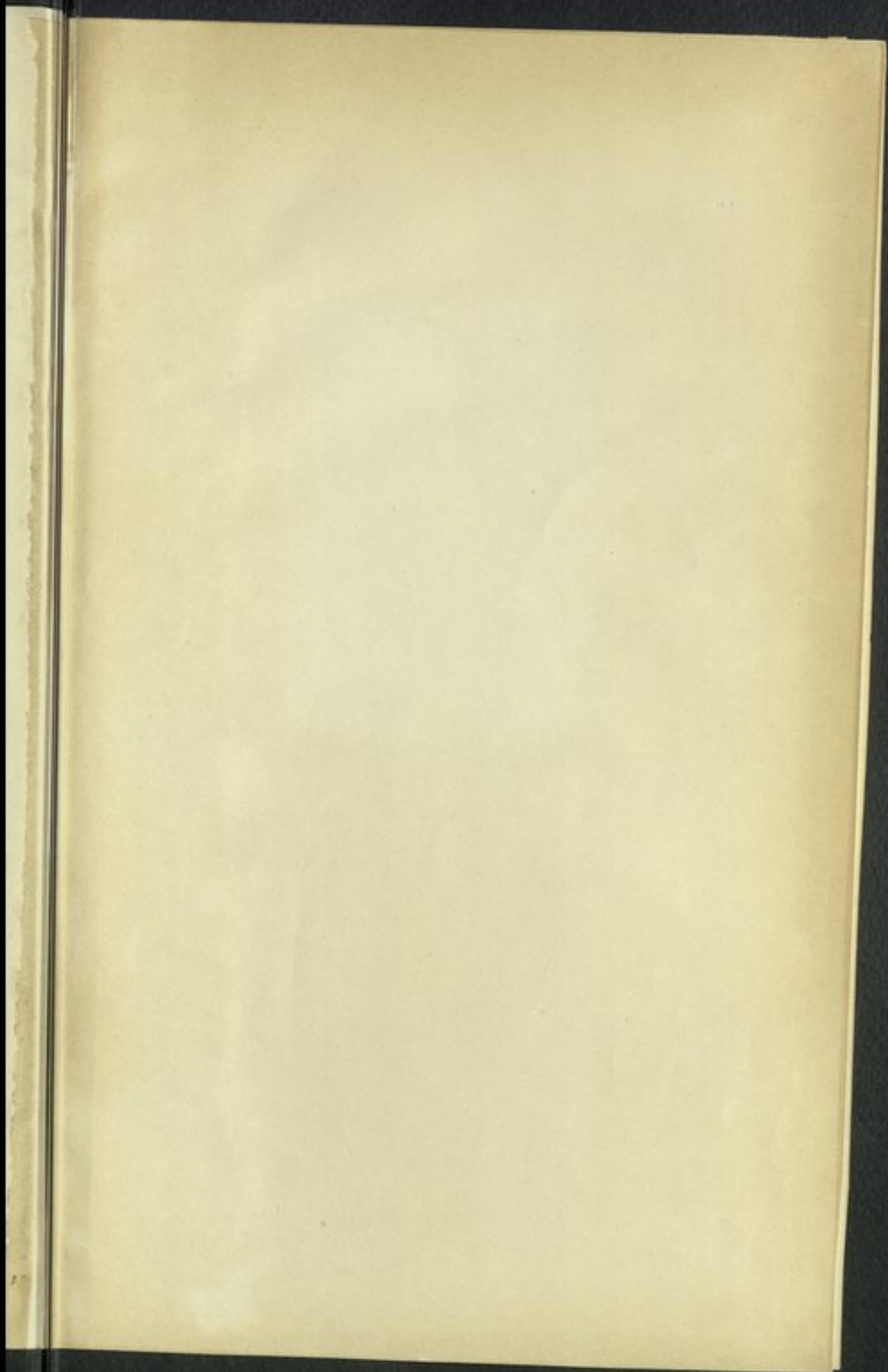
AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT











AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

916.11

B45rA
C.1

بن الخوجة ، محمد .

الرحلة الفليارية في الديار التونسية .

المطبعة التونسية العربية .

. 1912

مكتبة الجامعة مسيو فلاديسلاف الجبوري في القنصلية

RECEIVED
FEBRUARY 10
1877

1877
1877

1877

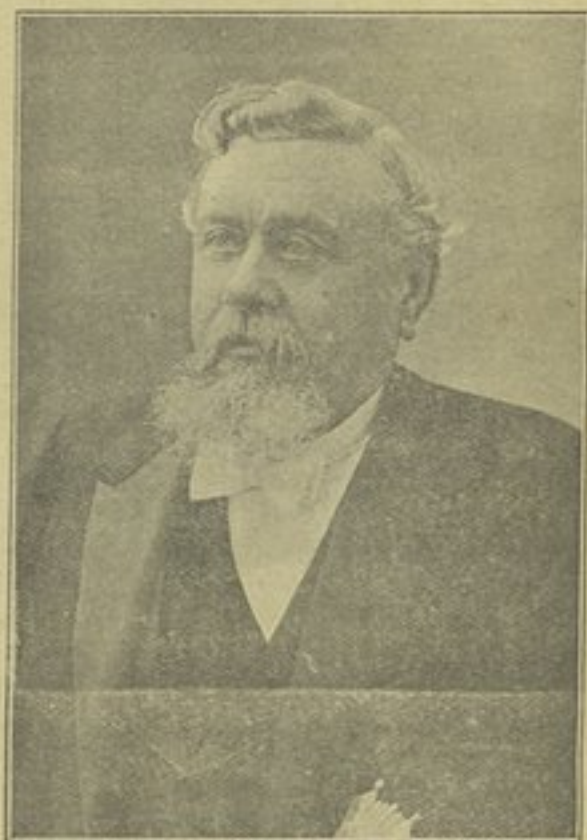
1877

1877

1877

1877

٩١٦٠١١
B45A



﴿ صاحب الفخامة مسيو فلينار رئيس الجمهورية الفرنسية ﴾

100

2

3

4

5

6

7

8

9

10

فهرس الرحلة الفليارية بالمملكة التونسية	صحيفة
الخطبة	
المقدمة وفيها كلام مستفيض يتعلق بنشأة العلايق السياسية بين فرنسا وتونس	٢
الباب الاول في زيارة فخامة رئيس الجمهورية لبنزرت واجتماعه بالحضرة العلية واستعراضهما للاساطيل الفرنسية والانكليزية والاطليانية والاسبانيولية	١٩
الباب الثاني في زيارة فخامته لحاضرة تونس وفيه كلام على زينة العاصمة ومواكب القبول واجتماعه بالمجلس التشريعي وزيارته للحضرة العلية بسراية باردو والمتحف العلوي والمستشفيات والمدارس واستعراض فخامته والحضرة العلية للوفود والجيوش بميدان القصر السعيد وتجول فخامته بجهات الخلاعة من احواز الحاضرة وحضوره موائد الاكرام وتقليده لجملة من اوسمة الشرف والامتياز	٤٢
الباب الثالث في ارتحال فخامة رئيس الجمهورية لزيارة قصر الجهم وافتتاح سكة حديد صفاقس وفيه كلام على تاريخ هذا القصر العتيق والاحتفالات التي اقيمت بتلك المناسبة وخصب البلاد الساحلية ووفرة عمرانها واحتفال اهالي سوسة بالحضرة العلية عند رجوعها من الجهم	١٢٦
الباب الرابع في الكلام على جهة صفاقس وثروتها وغاية زياتيتها ونفاق سوق الادب قديما بعاصمتها وزيارة فخامة مسيو فليار	١٤٥

صحيفة	بقية فهرس الرحلة القليارية بالمملكة التونسية
	لها ولاحوازها وفيه تصريحات عظيمة ناطقة بعمارة تلك الجهة ونشاط اهلها ووفرة ثروتها
١٦٤	الباب الخامس في الكلام على قابس ووحدات النخيل وبر الاعراض ونفزاوة والجهات الصحراوية وعوائد واخلاق اهلها وسمعتها في التاريخ القديم وفي القرون الاولى للهجرة الشريفة وزيارة فخامة الرئيس لقابس ووحداتها ولقصر مدين
١٩١	الباب السادس في الكلام على الجريد ومناجم الفسفاط بالمتاوي وزيارة فخامة الرئيس لقفصة ومصانع الفسفاط وفيه كلام على ثروة الجريد وما يبطنون ارضها من الكنوز الوفرة
١٠٧	الباب السابع في الكلام على سبيطلة واطلالها وغزوة العبادة وزيارة فخامة الرئيس لجهتها ووقوفه معتبرا فوق آثارها البالية ومعالمها الخالية
٢١٢	الباب الثامن في الكلام على القيروان وآثارها المباركة وشهرتها في العالم الاسلامي وزيارة فخامة الرئيس لمعلمها ومشاهدها واحتفال اهلها احتفالا شائقا بجنابه العالي
٢١١	الباب التاسع في الكلام على مدينة سوسة عاصمة البلاد الساحلية واحتفالها بفخامة رئيس الجمهورية وفيه كلام على سمعتها في اسواق الادب العربية

صحيفة	بتمية فهرس الرحلة الفليارية بالمملكة التونسية
٢٤٠	الباب العاشر في الكلام على زيارة فخامته للجهات الغربية ولخرابات دقة وعودته من رحلته وقبوله لمراسم الوداع ورجوعه لفرنسا
٢٧٧	الخاتمة وهي فلسفة الرحلة الرئيسية وتحتوي على فصول
٢٧٧	الفصل الاول في الكلام على الحماية بالنسبة لاروبا ولتونس
٢٨٤	الفصل الثاني في الكلام على هدايا الاكرام وشواهد الود والاحترام
٢٨٦	الفصل الثالث في عطايا الكرام
٢٨٧	الفصل الرابع في مصاريف الرحلة الرئيسية
٢٨٩	الفصل الخامس في عرايض التهاني وقصايد المديح
٢٩٧	ذيل يحتوي على اسماء الدوات والاعيان التونسيين المنعم عليهم باوسمة الشرف والامتياز
٣٠٠	عبارة الختم





صحيفة فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب

المقدس المرحوم علي باشا باي	١٠
الدارعة الفرنسية المساواة « الحق »	٢١
جناب مسيو الابيت الوزير المقيم العام	٢٣
فخامة رئيس الجمهورية والحضرة العلية يستعرضان الاساطيل بميلا بنزرت	٢٤
نزول فخامة الرئيس والحضرة العلية من البحر الى البر بينزرت	٢٥
فخامة الرئيس يلقد الاوسمة لضباط حاميتا بنزرت	٢٦
الركاب الرئيسي والملوكي بشوارع بنزرت	٣١
موكب فخامة الرئيس ببطحاء السفارة الفرنسية يوم دخوله لتونس	٤٨
فخامة رئيس الجمهورية وحاشيته الوزيرية	٤٩
جناب الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال بتونس	٥٥
جناب الوزير المفوض مسيو روكا الكاتب العام للبلديات	٥٧
جناب مسيو بلان الكاتب العام للامور الادارية	٥٨
جناب مسيو ديپورت كاهيتا الوزير المقيم العام	٦١
قبلة بستان الخضراء بحديقة الباندير	٦٣
مدرج الاسود بسرايتا باردو	٦٤
قاعة التشريرات الكبرى بسرايتا باردو	٦٦
الحضرة العلية ووزراءها انفخام	٦٧
الحاشيتا الملوكتا	٦٨

صحيفة ﴿ بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب ﴾

١	الصحن الكبير بمتحف باردو	٦٩
١	الشاعر فرجيل وهو ينظم الشعر	٧٠
١	تمثال ايروس وهو آلهة العشق عند اليونان	٧١
٤	القسم العربي من المتحف العلوي	٧٢
٦	فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من باردو	٧٢
٨	تختوان الشرف بمضمار استعراض الوفود بالقصر السعيد	٧٤
١	جموع المریدین ووفود الذاکرین من اهل الطرق	٧٦
٢	جناب امير اللواء السيد محمد الصادق غيلب شيخ المدينة	٧٧
٣	السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة	٧٨
٣	فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من استعراض الوفود	٨٠
٥	بالقصر السعيد	
١	سراية السفارة الفرنسية بتونس	٨١
٢	موكب الحضرة العلية بشوارع تونس	٩٨
٣	منظر من بلد جبل المنار	١٠١
٤	المدرسة الصادقية	١٠٤
٦	التلميذ سي صالح مزالي يخطب امام رئيس الجمهورية	١٠٦
٧	بالمدرسة الصادقية	
٧	السيد محمد القروي رئيس الخزانة العامة	١٠٩
٨	السيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة	١٠٩
	السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة	١١٠

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١١١	السيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي
١١١	السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى
١١١	المسيو فيتوسي العضو بمجلس الشورى
١١٤	جناب مسيو شارلتي المدير العام للعلوم والمعارف
١١٦	بهو الطاق العلوي بسراية المملكة
١١٨	بطحاء القصباء بتونس
١٢١	راموز مصغر من قائمة الاطعمة بالمادبة الملوكية
١٢٢	الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية
١٢٣	منظر من موكب الركاب الملوكي خارج الحضرة
١٣٣	قصر الجهم
١٥٠	البطحاء البلدية بصفاقس
١٦٥	ضريح سيدنا ابي لبابه الانصاري بقابس
١٧١	السيد محمد بن خليفه عامل الاعراض
١٧٢	واحة النخيل بقابس
١٧٣	قصر الحلوف على مقربة من قصر مدين
١٧٤	مساكن البدو بقصر مدين
١٧٦	واحة دوز بصحراء نفزاوة
١٧٧	واحة النخيل بتلمين من عمل نفزاوة
١٧٧	البرج الحربي بقبلي من عمل نفزاوة
١٧٨	كيف يحرثون الارض بقم تطاوين

صحيفة	بقية فهرس الصور والرسوم الواردة في هذا الكتاب
١٧٨	سوق بن قردان
١٧٩	مرسى جرجيس
١٨٠	منظر جهة غمراسن
١٨١	قصر بني بركة
١٨٢	برج التدهيبات
١٨٢	برج الجنابن
١٨٤	الشيخ محمد الحشايشي الشريف
١٨٩	فخامة رئيس الجمهورية وحاشيته متوجهون لزيارة الغرف بقصر مدينين
١٩١	موكب فخامة الرئيس بين قابس والغربية
١٩٣	موكب فخامة الرئيس بالمكناسي
١٩٧	موكب اقتبال فخامة الرئيس بقفصة
٢٠١	فخامة الرئيس وحاشيته بالمتلوي
٢٠٢	محلات شركة الفسفاط بالمتلوي
٢٠٦	السيد احمد اللوثو عامل الجريد
٢١٠	فخامة رئيس الجمهورية واقفا على اطلال سبيطلة
٢١٥	استقبال الاهالي لموكب رئيس الجمهورية بالقيروان
٢١٨	بيت الصلاة بجامع عقبة بن نافع
٢٢٠	مشهد الامام السيوري
٢٢١	باب الجلادين بالقيروان

صحيفة ﴿ بقية فهرس الصور والرسم الواردة في هذا الكتاب ﴾

نهج الحجامين بالقيروان	٢٢٢
مدخل قصباء القيروان	٢٢٣
جامع عقبه بن نافع وصومعته	٢٢٣
المحراب والمنبر بجامع عقبه بن نافع	٢٢٥
ماجل بني الاغلب بالقيروان	٢٢٨
منظر داخلي من زاوية سيدي ابي زمعة البلوي	٢٢٩
منظر خارجي من الزاوية المذكورة	٢٣٠
قصر الرباط بسوسة	٢٣٢
ضريح الامام يحيى بن عمر الكنانى	٢٣٣
الزينة بسوسة عند دخول القطار الرئيسى اليها	٢٣٤
موكب تقليد الاوسمة بسوسة	٢٣٥
السيد البشير صفر عامل سوسة	٢٣٦
موكب فخامة الرئيس عند مبارحته سوسة	٢٣٨
فخامة الرئيس متوجها للجهات الغربية	٢٤١
مدافن قدماء البرابرة بشواطئ	٢٤٢
قنطرة مجاز الباب	٢٤٣
الجسر الرومانى بقريش الواد	٢٤٥
هيكل عطاردين بعين طنقة	٢٤٥
هواجل البرابرة بتوكابر	٢٤٦
صومعة جامع تستور	٢٤٧

صحيفة	
٢٤٨	منظر من بلد السلوقية وصومعتها
٢٤٩	جامع تبرسق -
٢٥٢	السيدة تاج البخت ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروبن
٢٥٤	الجامع الاعظم بالكاف
٢٥٥	منظر من بلد سوق الاربعاء
٢٥٥	رسم اصلي من عربان جندوبة
٢٥٦	ضريح روماني بعمل الشيخية
٢٥٧	شجرة الفران التي كان اهالي خمير يقدمون اليها التدور
٢٥٨	موكب الخطب بسوق الاربعاء
٢٦٣	جامع سوق الاربعاء
٢٦٤	مساكن اهل الكهوف بريعة
٢٦٥	بلد عين الدراهم
٢٦٧	مقطع المرمر بشمتو
٢٦٩	مدينة باجة
٢٧٢	السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة
٢٧٥	المرفع شان، سيدي المنصف باي



916.11
B45rA
C.1

الرحلة الفليارية • بالملكة التونسية

تأليف الفاضل النحرير . الكاتب الشهير . وارث
المجد العلمي المتسلسل من كبير لكبير . الأديب
المتحلي من الكمالات بكثير . السيد محمد بن الخوجه
رئيس قسم المحاسبة بالدولة التونسية
وإستاذ الدروس العالية بمدرسة الترجمة للعربية
بلغه الله كل أمنية



(طبع بالمطبعة الرسمية العربية بتونس)

١٣٣٠
١٩١٢

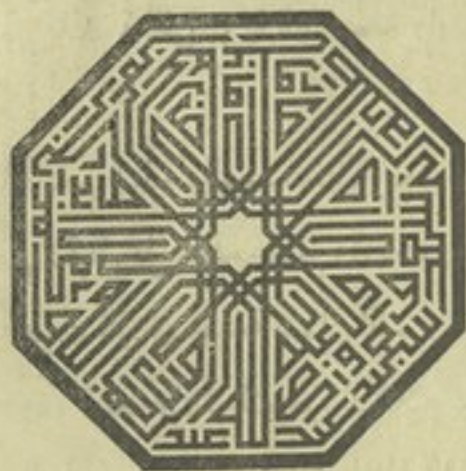
الحمد لله الذي جعل الارض سفرا بديعا يسفر عن اعمال البشر

الحمد لله الذي جعل الارض سفرا بديعا يسفر عن اعمال البشر
واتارهم . وحوادثهم واخبارهم . وكل مملكة منها صحيفة كبرى من ذلك
الكتاب الجليل . تدرس فيها احوال الامم في صعودهم وانحطاطهم
واخلائهم وعوائدهم جيلا بعد جيل . فانبعثت همم اولي العزم والعقل .
والزعامة والفضل . الى ركوب الاخطار . واقتحام لجج البحار . في جوار
منشآت كالاعلام . لنوال هذا المقصد الهام . وجوب القدا فد الشاسعة . والمفاوز
الواسعة . لتقف على تلك الاسفار الجميلة التي خطتها يد الزمان . وتستطاع
من غصونها فنون العرفان . حرصا على تنوير الازهان . وترقية مدارك
الانسان . واكتشافا لما عرض للامم في بداوتهم وحضارتهم . واجتماعهم
ومدنياتهم . من المجد الاثيل . والشرف النبيل . والمعارف المتسعة النطاق .
والعمران المتمدن الرواق . وضد ذلك من سقوط وجهالة نزلا بالانسان الى
الحضيض . ولم يترك لبرق استعداد الماطر من وميض . والصلاة والسلام
على سيدنا محمد الذي امر في غير ما آية بالسير في الارض . والسعي في
مناكبها بالطول والعرض . وعلى آله وصحبه الذين كثرت اسفارهم .
وارتسمت في جبهة التاريخ آثارهم . فكانت سيرتهم قدوة صالحة لها اعمال
ناجحة . وهذا وقد دعاني عشق التاريخ وحب تخليد الاثار . وتطويق
صحفه بيض الايادي الغزار . خصوصا ما يتعلق برجال الامة التي لها على

هذه البلاد حماية اسدلت ذيولها . واياها تتابع هطولها . وما يعدد العاقل
المحنك من قبيل خدمة البلاد . ومنبت الابرار والاجداد . بتدوين الحوادث الهامة .
التي لها تعلق شديد بالمصالح العامة . ان افرد بكتاب مستقل حادثا تاريخيا
عظيما . واحتفالا شائقا عميما . بمناسبة زيارة الرجل العظيم . والهمام الكريم .
فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية مسيو فليجار للمملكة التونسية . امثل
فيه للقاري رحلة جنابه مند بارح باريس . الى ان حل بأخر نقطة من
المملكة في موكبه الانيس . وما قوبل به من الحفاوة والاجلال . من
لندن سمو ملكنا المعظم ذي المهابة والجلال . وما اقيمت له من مراسم
الافراح . وآيات الانبساط والانشراح . ترحابا بالضيف الجليل . في كل اقامة
ورحيل . بما يبرهن على ان الامة التونسية تعرف الجميل . وتشكر
الفضل الجزيل . ويشاهد فيه المطالع مناظر من تلك المواقب الرسمية .
والابنية والاثار التاريخية . وقد شفعت هذا الغرض المهم بما سقته من
تواريخ بعض الاثار الخالدة للرومان . وتخطيط بعض مشاهير البلدان .
في عهد الدول الاسلامية . ليكون القاري على بينة من اهمية هذه
القضية . وان رحلة كرحلة فخامة رئيس الجمهورية لا تخلوا من مغزى
سياسي عميق . ضرورة انها رحلة اكبر رجل لدولة نصبت على هذا
البلاد حمايتها . وبواتها عدلها ورعايتها . فيجب على اولي الالباب . من
مشاهير الكتاب . ان يجعلوها صحيفة من تاريخ البلاد . ولا غروا اذا اطالوا في
موضوعها النجاد . فدونك ايها القاري صحائف لم تسود الا بيض الاعمال . وما اثر
الرجال وانما قصدت بها خدمة التاريخ والاطوان . والله عز اسمه المستعان
تحريرا في صفر سنة ١٣٣٠ محمد بن الخوجة

UNIVERSITY OF CHICAGO
LIBRARY





﴿ مقدمة ﴾

من المعلوم ان المملكة التونسية في كفالة الحماية الفرنسية منذ ثلاثين سنة وان ملوكها توارثوا ود الجنس الفرنسي خلفا عن سلف سيما في عهد البيت الحسيني السني ففي الدواوين التونسية ما يويد ذلك ويشعر بان تلك العواطف لم يفرها الشعب بل اخذ منها اهل الطبقات العالية حظهم وفي مقدمتهم اهل العلم والادب اذ ادرك المتسابقون منهم في ميدان الترقيات الفكرية معنى المدنية الفرنسية الصحيحة وامتدحوها نظما ونثرا قديما وحديثا

ومن تتبع اخبار الامم البالية والعهود الخالية يجد هنالك ما لفرانسا منذ ازمان متقدمة من الاقبال على خدمة العلم والادب وهذا ولي لدين ابن خلدون شهد بذلك حيث قال في مقدمة ديوان العبر وتاريخ المبدأ والخبر ما نقله عنه بحر وفه وهو قوله عند التعرض للكلام على العلوم العربية واصنافها ونص محل الحاجة منه قوله ؛ كذلك بلغنا لهذا العهد (اواخر المائة الثامنة) ان هذلا العلوم الفلسفية ببلاد الافرنج من ارض رومة وما اليها من العدو الشمالية (فرنسا) نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكثرة اه فانت ترى ان هذلا الامة التونسية ادركت منذ احقاب بعيدة ما لجارتها قوية الساعد من الامتياز عن بقية الامم النصرانية في خدمة الاداب والعلوم العقلية حتى ان ذلك الاحساس اخذ يتاصل ويتأكد مع ادوار الزمن واختلاف حوادثه السياسية لحد صيرورته كامر مرغوب فيه عند اهل النظر واصحاب

المظاهر والحیثیات الرسمية الذين سعت حكومة تونس في تهذيبهم وتدريبهم على المساعي الجسيمة والمشروعات الخطيرة مثل رجالها ووزرائها السابقين واللاحقين بتكليفهم بالاسفار والسفارات لدى حكومة فرنسا للقيام بمهمات الاعمال وتأكيد العلاقات الودية بين الجانبين

واقصى ما امكن العثور عليه في التواريخ التونسية والافرنجية من اخبار علايق فرنسا بتونس ان اول معاهدة انعقدت بين فرنسا وتونس هي التي وقع الاتفاق عليها بين السلطان المنتصر الحفصي والملك فيليب الجسور اثر موت ابيه لويس التاسع الشهير بسانت لويس الذي قدم على عهد الحروب الصليبية لغزو تونس سنة ٦٦٨ ومات بالطاعون وسط اطلال مدينة قرطجنة القديمة حيث اقامت له دولته بعد نحو ستمائة سنة كنيسة باسمه تخليدا لذكرا في هاته الارض التي كتب الله عليها ان تدخل تحت حكم فرنسا لا بتلك الطريقة التي نواها سانت لويس وخاب سعيه فيها ولكن بطريقة المسالمة المبنية على تبادل المصالح بينها وبين الامة التي ارخت عليها سدول حمايتها المنبئة

فبعد ان اخذت البلاد التونسية حظها من السؤدد والعز والقوة والمنعة وتحكمت ازمنة طويلة على البحر المتوسط حينما كان جسمها خصيبا وشرائنها ملانة بدم الحياة بتاصل الثروة والعمران الطافح في ربوعها الزاهر بالتجارة الرابحة وبانوار العلوم التي جعلت لها المقام الاول بين امم العالم الاسلامي اخذ امرها في الاندبار سنة الله في عبادلا فتحولت قوتها للضعف ثم للمرض ثم للهرم ثم لمعاناة آلام الفوضى والفاقة والجهل مدى الثلاثة القرون الاخيرة وهي مدة الفترة التي كان فيها لاوروبا يد عاملة بالبلاد التونسية فضربت

عليها بسيطرتها الشديدة الى ان جعلتها كريشة في مهب الريح تأتتها بين
 الخوف والرجاء وهذا دورها الاول في علاقتها مع فرنسا وان شئت قلت مع
 دول اوروبا جمعاً وكان رفع الستار عن الدور الثاني من روايتها التاريخية
 هو احتلال فرنسا للجزائر اثر نهوض اوروبا من سباتها العميق الذي دام
 قرناً عديداً فركزت فرنسا بارض افريقيا قدماً ركوز من ينوي الخلود
 والتحقت الولاية الجزائرية بممالكها وجعلتها المحور الذي تدور عليه رحا
 سياستها بافريقيا الشمالية مع مراعاة حقوق الجوار ولكن مع تتبع حركاتها
 وسكناتها بدون توان ولا استدبار وذلك حفظاً لناموسها بين الاقوام وصيانة
 لحقوقها من تلاعب الايام وكانت يومئذ علائق فرنسا بتونس مبنية على
 النصح من جهة وعلى اعتبارها ضمن منقطة النفوذ الفرنسي من جهة
 اخرى حيث اصبحت المملكة التونسية بطبيعة موقعها الجغرافي متممة
 لدائرة السياسة الفرنسية بافريقيا الشمالية وآخر العهد بهذا الدور الثاني
 تهيئة اسباب حلول الدور الثالث الذي هو نصب الحماية الفرنسية وما نشأ
 عنها من مشروع المصالحات المادية والادبية بالمملكة التونسية بيدان ما
 قدمت في هذا التمهد الوجيز يحتاج طبعا لبيان

كنت فيما قبل احسب ان استحكام علائق الوداد بين فرنسا وتونس
 واعتماد الثانية على الاولى في شئونها السياسية كان ابتداء اثناء دولة
 المرحوم حسين بن محمود باي وهو الامر الذي اشرت له في السنة الخامسة
 من الرزامة التونسية (راجع صحيفة ٤٠) فعثرت بعد ذلك اثناء ابحاثي
 المتواصلة في احوال هذا الديار على ما ينبا بتقدم صلات الود بين الطرفين
 اذ لدينا الان حجة ناطقة باعتماد تونس على فرنسا في نظامها الاساسية من

عهد المرحوم الباي علي بن حسين بن علي تركي رابع امير تولى عرش الملك الحسيني بتونس وهذه الحجة هي عبارة عن مكتوب رسمي صدر في سنة ١٧٧٧ (سنة ١١٩١ للهجرة) من لويس السادس عشر ملك فرنسا خاطب به علي باي المذكور بموافقته على جعل ابنه حمود باشا ولي عهد له تقديما على من كان اسن منه من ذرية آل الحسين واليك عبارة ترجمته عن النص الفرنسي

فرساليا في ٢٨ افريل سنة ١٧٧٧

ايها المولى العظيم الطائر الصيت

نعلم سموكم بامثال مبعوثكم سليمان آغة لدى حضرتنا لقضا المامورية المكلف بها من قبل حضرتكم وقد تلقينا بمظاهر الالتفات والتكريم وتسلمنا منه المكتوب الذي ارسلتموه الينا كما تسلمنا منه الاسارى والخيول والاسود والاكسية التي وجهتموها لبلاطنا الملوكي على وجه الهدية وقد كان قبولنا لما ذكرنا بقلب منشرح وسرور زائد ولاجله اهديكم شكراتي الفايقة عن مقاصدكم الحسنة وليس في نظرنا شي مستوجب للسرور اكثر من هذه المظاهر الودية والعواطف الشريفة الدالة على تعلقكم بذات حضرتنا وهذه الاحساسات تدلكم على اهتمامنا الصادق بمصالحكم كما تبين عن مرغوبنا في زيادة احكام الصلات بين الفرنسيين والتونسيين وتشهد بحسن التفاتنا واعتبارنا العظيم اليكم فهذه الشعائر نو كدها لكم اليوم من جديد هذا وقد علمنا كيفية الاسلوب الذي رتبتموه لجعل وارثة الملك بعدكم لابنكم البرنس حمودا وانا نهنتكم بذلك ونحقق لكم اننا سنكون دائما

مسرورين بكل امر يسركم ويسر ابناء بيتكم والمسؤل من الله ان يشملكم
ايها المولى الكريم بحراسته القدسية

الامضاء لويس السادس عشر

فانت ترى يارعاك الله ما لهذا المخاطبة من الاهمية الكبرى اذ هي
تمس اعظم ركن اساسي بالدولة التونسية ولا شك انها نتيجة تقاليد سياسية
متبعة تقدم تمهيدا قبل عصر علي باي لان علايق الدول تزداد ارتباطا
او فتورا بطريقة التهيئة والتحضير لا بالوسائط الدفعية لان هاتين تكون في
الغالب عقيمة وتلك تكون مصحوبة دائما بالنجاح وفي المثل العربي
« مع الثاني السلامة ومع العجلة الندامة »

ثم ان تلك العلائق الودية بين فرنسا وتونس اخذت تتصل بعد على
التوالي فمن جهة بتقلص ظل السلطة العثمانية بشمال افريقيا ومن جهة اخرى
بنمو نفوذ فرنسا والتفاتها للاستعمار بالشمال الغربي الافريقي حتى انه لما
غزا الملك كارلوس العاشر عمالة الجزائر او ايل سنة ١٢٤٦ بلغ امير تونس
امصرلا وهو حسين بن محمود باي ان بعض المفسدين اشاعوا عليه مقاصد
سيئة نحو الدولة الفرنسية فخطاب قنصلها بتونس لدفع ذلك عن نفسه
وصرح له بقوله « قد جهد بعض الناس في ان يؤولوا بتاويل كاذب ما في
قلبي مع اني جاهرت بمقصودي واعتنيت باشهاره فلا بد حينئذ ان اصرح
بان مرادي ان استمر مجتنباً عن الفريقين عند الحرب على ان مناي ان يكون
النسر للامة الفرنسية اذ هي اصدق احلاف بلادي واشدهم قوة وعلى
تقدير ان السلطان الاعظم يشهر الحرب على فرنسا لما يقال فاني لا احيد
عن ذلك الحياد ولو جاءني من الدولة العثمانية مائة فرمان يدعونني لمعاكسة

فرنسا حليقتي فاني لا اطيع لها امرا ولا اسمح لاحد بتلبية نداءها لحمل السلاح ضدها على اني عليم بان خطتي هندا تعرضني لخطر جسيم ولكن اذا نزل ذلك بي اسلم امري للامة الفرنسية وليس احد اشوق مني الى معاقبة عدوها الظالم داي الجزائر» اه

وهذا السياسة البالغة في الودحد الغاية مع فرنسا هي التي انتهجها كل من تولى مقاليد الملك بعد المرحوم حسين باي فان اخالا المرحوم مصطفى باي هو اول من تنازل عن التقاليد القديمة التي منها تقبيل الراحة الملكية عند اقتبال الباي لقناصل اوربا وذلك ارضاء لقنصل فرنسا وكذلك ابنه من بعدا احمد باشا فانه كان حليفا للملك لويس فيليب وكان هذا الملك محل اعتمادا ومرجع استشارته ناهيك بما لا قالا به سنة ١٢٦٢ من مظاهر التفخيم والتعظيم كما كان يفعل مع ملوك اوربا عند اقتباله لزيارتهم ولم يصدده في تلك الاونة اعتراض سفير الدولة العثمانية عن اعتبار ضيفه ملكا مستقلا لا يحتاج في قبوله لواسطة لان العلائق بين فرنسا وتونس انما كان عقدها وتاييدها من اقدم الازمان راسا بدون توسط اية دولة بينهما (راجع الرزنامة التونسية لسنة ١٣٢٣)

ولما مات الامير احمد باي في رمضان ١٢٧١ ورثه في الملك ابن عمه المرحوم محمد باي والد سمو ولي النعم اميرنا الحالي ابقى الله ملكه مدا الايام والليالي وكان على قدم سابقه في مودة فرنسا وزاد في احكام الارتباط بها بالعمل بنصيحتها في تاسيس المنظمات وترتيب القوانين المعروفة بعهد الامان اوائل سنة ١٢٧٤ وكان واسطة ذلك الربط السياسي المتين هو المستعرب الدائم الصيت القنصل جنرال ليون روش وهو رجل صاحب حنكة

وتجربة وصفه المورخ الوزير الشيخ احمد ابن ابي الضياف بقوله « ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح » وخدم دولته في بلاد الاسلام ٣٢ عاما قضاها متهاقفا بين الشرق والغرب في تاييد شوكة امته بين الاقوام الاسلامية وتلبس مدة بالاسلام وتخلق باخلاق اهله وتعلم لغتهم وكتب فيها وقد وقفت له على جملة رسمها بخطه على لائحة تمهيدية لقانون عهد الامان هذا نصها نقلتها تاييدا لما ذكرنا آنفا واليك هي بعبارتها « صح من كاتبه بيده الفانية عبد ربه سبحانه ليون روش قنصل جنرال الامبراتور ومتولي اسورفرنسا في عمالة تونس » وقد زاد الشيخ ابن ابي الضياف في وصفه « بانه كان خيرا باصول الملة الاسلامية » ولا يبعد ذلك لان الرجل كان صاحب فطنة عظيمة في الشؤون السياسية مكنته من ممارسة ملوك المسلمين ومن حج البيت الحرام حيث رمى بنفسه في المصاعب القرية من المهالك كل ذلك تاييدا لسياسة دولته واعلاء لكلمتها بافريقية الشمالية فكان اول فرساوي خدم المصالح الجنسية بالبلاد الاسلامية خدمة حفظ التاريخ ذكرها وكانت هي الاساس المتين الذي بنيت عليه دعامة هيكل الحماية الحاضرة - هذا ولم تزد الحالة الارسوخا وثباتا على عهد المرحوم محمد الصادق باي فانه افتتح ملكه باداء زيارة الوداد والاحترام للامبراطور نابليون الثالث عند قدومه للجزائر اوائل سنة ١٢٧٧ وكان سفرا لتلك الزيارة بمساعدة اهل الحل والعقد بدولته انظر ما قال في ذلك العلامة المفتي والشاعر الملقب المرحوم الشيخ محمود قبادو الشريف من قصيدة بليغة مخاطبا بها ذلك الامير عند عودته من الجزائر وهذا مطلعها

ريبع مع جبينك قد اطلأ على افق الجزائر فاستهلا
ومنها مشيرا لزيارة الامبراطور ولحكام رابطة الوداد معه
رعيت له الجوار وكان حقا عظيما رعيه شرعا وعقلا
واكدت المودة وهي عهد تضم لفرض عهد السلم نقلا
ويا لله ما اهداه رايا والطفه مجاملة ونبلا
ويا لله من سعى كفيل بحفظ جوارنا ظعنا وحلا
ولا برح التزاور مستجدا ولا سيما لاهل الملك وصلا
سيحمد غبه من ليس يدري ويعلم انه ما كان بطلا

وكان في استحكام روابط الولا بين الدولة الامبراطورية والدولة
الصادقية هزة حسد من الامم الاروباوية الاخرى المجاورة للقطر التونسي
فاخذ رجال سياستها يسعون جهد المستطيع في حل عرى تلك الروابط
ولكن دولة فرنسا العلمية بقوتها الواثقة بسطوتها لم تتحمل تلك المنافسة
فاخذت تؤيد مشروع سياستها جهرا وبواسطة خارجيتها في اروبا وبواسطة
نوابها بتونس ومن اقواهم سعيا لذلك قنصلها العام مسيور سلطان الذي ارتقى
اثر نصب الحماية لخطه وزير مقيم لدى الحكومة التونسية ولذلك لما آن
اوان الاحتلال الفرنسي كانت المملكة التونسية متاهبة ومتهياة بطبيعة
الزمان لتلقي مشروع الحماية بامان واطمينان وكان في مقدمة الموافقين
على قبول الحالة السياسية الجديدة امير البلاد ورجال دولته واهل العلم
وقد اسفر صبح الحماية الفرنسية عن استقرار الراحة وتامين الناس على
النفس والعرض والمال وبسط وجود الرفاهية والعمران بسائر الجهات ووافق
ذلك التحاق صاحب الدولة الصادقية بالدار الاخرى وطلوع هلال الملك

(١٠)

العلوي بصعود شقيقه وولي عهد الامير المرحوم علي باي على عرش اسلافه
الاکرمين في اواسط ذي الحجة ١١٩٩



﴿ المقدس المبرور علي باشا باي ﴾

(وهو اول ملك حسيني تلقى التقليد من الدولة الفرنسية)

وهو ثالث عشر باي من آل المولى حسين بن علي مؤسس ملك البيت
الحسيني السني في عام ١١١٧ وكان ارتقاوا للملك كما قدمنا في ١٦ حجة
١٢٩٩ وبمجرد انتصابه على عرش اجداد المقدسين اهداه فخامة رئيس
الجمهورية جوقته الشرف الفرنسية وخاطبه بتلفراف تص عبارته
« لما كان مرادنا في هذا الوقت الذي دعيتم فيه للولاية عوض اخيكم

سيدي محمد الصادق ان نعطي لسموكم علامة ظاهرة على ما لنا من المودة
والوثوق نحوكم وجهنا لكم الصنف الاكبر من نيشان اللجيون دونور
وان وزير الدولة الجمهورية مسيو كمبون يقلد حضرتكم باسمنا هاتم
الرتبة الرفيعة فلتقبلها حضرتكم العلية توثقة لربط الاتصال بين المملكتين
التونسية والفرنسية »

وباثر الولاية تفرغ هذا الامير لاصلاح حال رعيته واجراء التنظيمات اللازمة
ببلادها وافتتح ملكه باصدار عفوا الكريم لعموم العصاة الذين شقوا عصا الطاعة
في وجه الدولة الصادقية عند انتصاب الحماية واذنهم بالرجوع لاوطانهم
ورد عليهم املاهم كما اسقط بقية الغرامة الحربية على اهالي صفاقس الذين
ندموا عما صدر منهم من المجاهرة بعصيان الدولتين الحامية والمحمية فتمتع
الكل من حينهم مثل كافة اخوانهم التونسيين بمرحة الدولتين الحامية والمحمية
ودام ملكه عشرين سنة كانت كلها ايام راحة وهناء وكان من اكبر المساعدين
له على تحسين الاحوال بما يناسب الزمان والمكان وزيره الخطير الشيخ
محمد العزيز بوغمتور المتوفى في مستهل المحرم سنة ١٢٢٥

وفي الخامس من ربيع الانور ١٣٢٠ ارتقى المرحوم محمد الهادي باشا
باي لكرسي الملك عوض والدنا المقدس وعلى عهدنا زار فخامة مسيولوبي
الحاضرة التونسية اوائل سنة ١٣٢١ واقام بها ثلاثة ايام كانت كلها بواسم
بواسم وبارحتها بعد ان ابقى بين اهلهما التذكر الجميل ودعى اميرها لزيارته
بياريز فرد له الزيارة في صائفة العام التالي وكان اقبال مسيولوبي لسيدي
محمد الهادي باشا باي باكمل مظاهر الاجلال والتعظيم واحضرا بجانبه
في موسم عيد الجمهورية واستعرض الجيش الفرنسي تحت انظاره وبالغ

والدولة الفرنسية في اكرامه بما انطق لسان الامير المرحوم بالشكر الجميل
 ودام ملك سيدي محمد الهادي باي اربعة سنين والتحق بربه ليلة اليوم
 التاسع عشر من ربيع الانور سنة ١٣٢٤ وفي مساء اليوم المذكور تلقى
 مولانا الامير العاليي التقليد الملكي وارتقى على عرش اسلافه الاكبرين
 قبل البيعة من رعاياه الصادقين المنزلين منه منزلة الابناء المطيعين وابتهجت
 لولايته البلاد وانشرحت لذلك قلوب الجموع والافراد واليك خطاب تنصيب
 سموه العالي باسان عمدة الدولة الجمهورية بتونس

يامولاي المعظم

بناء على مغيب جناب الوزير المقيم العام قد كلفت بان اترجم لحضرتكم
 العلية عن شعائر الاسف الشديد الذي الم بالدولة الجمهورية لوفاته سيدي
 محمد الهادي باي وقد كان سموه كوالدا الجليل اصدق مساعد للحكومة
 الفرنسية وهذا وقد مر ربع قرن على ما بين الامة الحامية وتونس من
 الارتباط المحكم تحققت اثناولا سعادة الايالة ونمت خيراتها وكذلك سيكون
 ملك سموكم موسوما بالسعد والعمران - وبالنسج على منوال اسلافكم في
 التعلق بفرنسا سيتم بمساعدة حضرتكم مشروع العدالة والتمدن والتقدم
 المناسب الذي قاموا به والذي هو عنوان الامارة في نظركم العالي

واني اقلد حضرتكم الولاية في هذا الجمع المشهود باسم الدولة الفرنسية
 والتمس من سموكم ان تقبلوا تهنئاتي الداتية وفي هذا المقام يروق لي ان
 اوكد لمقامكم ان حضرتكم العلية سيكون لها في جناب الوزير المقيم العام
 خير مساعد على القيام بالولاية الجليلة التي آل امرها اليكم لحسن حظ
 المملكة التونسية

وقد اجاب سمو الامير عن تلك التصريحات العالية بالخطاب الجليل
الاتي نصه

ياجناب المعتمد السفيري

لقد تائرت تائيرا حسنا من الاحساسات التي اعرب لنا جنابكم عنها بالنيابة
عن السدولة الفخيمة الفرنسية وارغب منكم ان تبلغوا لها عني شكراتي
الخاصة وان تحققوا لها وثوقي بفرنسا حسبما هو غير خفي على علم جنابكم
وساقتني بصدق نية وحسن طوية اعمال المرحومين ابن عمنا وعمنا واستعين
الله في بلوغ المرام في ذلك وارجوا سبحانه وتعالى ان يوقني الى تسديد
مقاصدي مع الاستعانة المستمرة بعمدة الدولة الجمهورية الفخيمة على
ما فيه نمو الخير والسعادة والتقدم المادي والادبي للايالة التونسية اه

وهذا الجواب الشريف يدل على ما لسمو صاحبه من علو المدارك
وسلامة المقاصد وطهارة النية وحب الخير لمملكته واهلها فتلذك جاءت
مقاصد سموه موافقة بكل معاني الكلمة للمشروع الخيري الذي اتهمجته
فرانسا بتونس وجريا على قاعدة هذا الود الرسيخ اعرب فخامة مسيو فليار
رئيس الجمهورية الفرنسية الحالي في اوائل العام الفارط عن مرغوبه
في زيارة المملكة التونسية التي كان زارها اوآخر المحرم سنة ١٣٢١
في صحبة سلفه الموقر جناب مسيو لوبي رئيس الجمهورية السابق على عهد
المرحوم سيدي محمد الهادي باي وتحفظ لها على ذكرى الوداد والمجاملت
شان النفوس الكريمة كما تقدمت الاشارة لذلك فتلقت الدولة الفرنسية
باجمعها مرغوب رئيسها الهمام بعلايم البشر والاحترام واخذت من شهر مارس
الموافق لاول ربيعي عام ١٣٢٩ في تحضير برنامج هذلا الزيارة السعيدة

بمشاركة جناب الوزير مسيو الابيت المقيم العام بالحاضرة ولما استهل ربيع الاخر الموافق لشهر افريل من السنة الفارطة كانت وزارة الخارجية ووزارتا الحرية والبحرية بفرنسا قد اخدت التاهبات اللازمة لانجاز الرحلة الرئيسية بالعمالة التونسية وباتحاد مع مدير التشريفات عينت الدولة يوم ١٨ افريل ١٩١١ فاتحة زيارته للديار التونسية

وقبل ان نلم باخبار هذا الرحلة التي كانت موسومة بالخيرات الوفيرة لما تخللها من نزول الغيث الجزيل بعد الضما الطويل ناسب ان نبتدي اولا بتزيين جيدها بترجمة مسيو فليار حتى تكون اخبارها مستوفاة من كل الوجوه ومعلوم ان هذا الرئيس الاكبر من الرجال الذين حنكتهم التجربة بممارسته الطويلة للسياسة العمومية بفرنسا فهو شيخ الدولة وعظيمها الموقر بسائر بلاد العالم المتمدن لانه الروح المتجسدة من فرنسا والمثل لامتها قاطبة لدى جميع دول الدنيا

اما ترجمته فخامته فهو مسيو ارمان فليار ولد في ٦ نوفمبر سنة ١٨٤١ (١٢٥٧ للهجرة) وقد دخل ميدان العمل بصفة افولت بيلد نيراك من المقاطعة المذكورة وولي عضوا بلديا بها سنة ١٨٦٨ ثم شيخ مدينة في سنة ١٨٧١ وولي العضوية بالمجلس العمومي بالمقاطعة المذكورة من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٧٦ . وفي ٢٠ فيفري سنة ١٨٧٦ انتخب نائبا بمجلس الامة فكان واحدا من الثلاثمائة والثلاثة والستين نائبا وجدد انتخابه في سنة ١٨٧٧ سنة ١٨٨١ سنة ١٨٨٥ سنة ١٨٨٩ وفي تلك الاثناء ولي كاهية لوزير الداخلية والديانات في سنة ١٨٨٠ وكاهية لرئيس المجلس البلدي سنة ١٨٨٢ ثم وزيرا للداخلية سنة ١٨٨٢ و ١٨٨٣ في وزارة

المسيو دوكلير وكان مسيو جول غريفي رئيس الجمهورية السابق كلفه بتأليف وزارة فالفها وتولى فيها زمام الخارجية ثم تولى في عدة وزارات زمام المعارف من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٥ فزمام الداخلية في سنة ١٨٨٧ فزمام العدلية من سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٨٨ فزمام المعارف والديانات من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٠ فزمام العدلية من سنة ١٨٩٠ الى سنة ١٨٩٢ دخل جنابه مجلس الشيوخ يوم ٨ جوان سنة ١٨٩٠ وجدد انتخابه للعضوية به يوم ٤ جانفي سنة ١٨٩٧ ثم ولي رئيسا لمجلس الشيوخ يوم ٣ مارس سنة ١٨٩٩ وبقي بهذا المنصب العالي الى يوم ١٣ فيفري سنة ١٩٠٦ وعندئذ استقال من رئاسة مجلس الشيوخ لتولي رئاسة الجمهورية التي انتخب لها في اجتماع فرساي يوم ١٩ جانفي سنة ١٩٠٦

هذا وقد آن بنا الاوان ان نتكلم على محل الحاجة من هذا التأليف فنقول مقتبسا ما يأتي من الجريدة الرسمية للدولة الفرنسية ومن الاوراق الرسمية وما سمعته من المصادر الثقات وشاهدته بالعين وحضرت بالذات

تحرك ركاب فخامة مسيو فليار من باريس مساء السبت خامس عشر افريل ١٩١١ وكان في معيته من الوزراء ورجال الدولة الفرنسية كل من جناب مسيو دلجكاسي وزير البحرية وجناب مسيو بامس وزير الفلاحة وجناب مسيو شومي الكاهية الوزير بالوسطة والتلغراف وجناب الوزير السابق مسيو كوشري العضو بدار الندوة وجناب مسيو رمنديو باش كاتب رئاسة الجمهورية وجناب الوزير المفوض مسيو مولار مدير التشریفات الرئيسية وجناب مسيو فارين رئيس ديوان الكتابة الخاصة بقصر

الرئاسة والقبطان البحري لوجي والكلونيل هلوت من معيني فخامة الرئيس ونجله
 مسيو اندري فليار وغيرهم من رجال الحاشية الرئيسية اما جناب وزير الخارجية
 فانه حال دون قدومه مع فخامة الرئيس تلبد سحب المسألة المغربية يومئذ
 باوروبا وكان من مرغوبه ان يرافق الجناب الرئيسي في رحلته فلما عرض
 له ذلك العارض ارسل من باريس تلغرافا لجناب الوزير المقيم العام يقول
 فيه انه بمزيد الاسف لا يستطيع مصاحبة فخامة رئيس الجمهورية اثناء
 رحلته بالمملكة التونسية لوقوع هذا الرحلة في زمن لا يمكنه فيه الابتعاد
 عن الوزارة الخارجية ولذلك فانه يرغب من جناب الوزير المقيم ان ينهي
 اعتذاره لمقام الحضرة العلية

هدا وكان ارتحال جناب الرئيس ومن معه في رتل خاص سار بهم قاصدا
 نغرتولون على طريق مرسيليا بعد ان تلقى فخامته مراسم المواعدة
 والاحترام من وزراء الدولة ورجالها وقد وصل الرتل الرئيسي لمرسيليا
 ضحوة نهار الاحد الموالي لليلة السفر فتقدم للسلام على فخامة الرئيس
 الجنرال اندري قائد مرسيليا العسكري وحيث لم يتقرر في برنامج الرحلة
 اجرا موكب قبل الوصول لطولون اكتفى فخامة الرئيس برد السلام على
 الحاضرين من عربته واقلع القطار بعد حين قاصدا طولون وكان الطقس
 جميلا والجوزاهيا بصحو الربيع فتسابق الناس لموقف السكة الحديدية
 واخذوا يهتفون بالدعاء لمقام الرئيس وللجمهورية واذك نزل فخامته لقاعة
 الاستقبال بالمحطة التي كانت مزينة بالا كسية والرياش والبيارق الفرنسية
 فتلقى مراسم السلام والاحترام من شيخ المدينة ومن حاكمها البحري ومن
 الجنرال قائد الفيلق الخامس عشر ومن عاملها واعضاء البرلمان الحاضرين

الحاضرين بها وبانفصال بوكب القبول خرج فخامته من موقف السكتة الحديد فصدحت لديه الموسيقى بالنشيد الوطني واطلقت القلاع مائة طلقة وطلقة مدفعية اشعارا بالسلام عليه واذاك تقدم فخامته نحو جهة المعسكر الفرنسي واستعرض الجيوش الضاربة هنالك وتكريم ببعض الاوسمة من درجات مختلفة على بعض الضباط والعساكر ثم توجه للفظور ومن بعدا قصد سراية المجلس البلدي بطولون وكانت رباع المدينة وشوارعها مزدانة بالرايات وبالالكاليل والناس في جدل وهيام لشدة فرحهم بالرئيس الموقر والمحبوب فحيلا عند دخوله للسرايا البلدية شيخ مدينة طولون وخطب لديه خطابا حماسيا اشار فيه لتوقد نيران الغيرة والحمية في قلوب الفرنسيين وتعلقهم تعلقا وثيقا بالنظامات الجمهورية التي يستمتتون دونها فاعجب فخامة الرئيس بهذا الخطاب الوطني المبرهن على تمكن النظام الجمهوري من المهج والقلوب وقال ان في جعل طولون مركزا افتتاحيا لسياحته الافريقية معنى لطيفا يرمي لما لفرنسا من العناية بهذا الثغر المنيع العزيز باساطيله ذات القوة والباس

وبعد ان بارح فخامته المجلس البلدي قصد ساحل المرسى فركب على ظهر نسافة حربية بصحبة وزارئه وحاشيته وقصد الدارعة المسماة « الحق » واذاك كانت كل السفن الراسية بميلاء الثغر من حربية وتجارية تخفق على اعاليها رايات الزينة والافراح وعند ما وطأت قدمه متن تلك الدارعة اخفق لمدانها فوق عمودها الاعلى راية رئيس الجمهورية وهذه الراية الخاصة بفخامة متولي الرئاسة هي الراية المثالثة الالوان بعينها سوى ان فوقها بالقلم الغليظ وباحرف ذهبية رمزا يشير لاسم صاحب الرئاسة

وادي نوتيتها السلام لجنابه واذاك تكرم فخامته فقلد الكمندان المذكور
وسام الكمندور من اللجيون دونور وانعم على بعض ضباط الدارعة باوسمة
من درجات مختلفة ثم امر فخامته بالاقلاع والسفر فسارت الدارعة قاصدة
ميلا بنزرت مخفورة باسطول ضخيم سار حسب النظام الاتي ففي المقدمة
على اليمين والشمال الدوارع الاتية :

الوطن - الديمقراطية - رينان - العدالة - الحرية - سوفرين

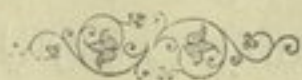
وفي الوسط : الدارعة الرئيسية

ومن خلف الدوارع الاتية :

البيادي - التريور - البهاوان - الفارس - البلطة - القانص

اما المدرعة الرئيسية فكانت لامرأة الكمندان سان بير المستشار البحري
سابقا بسفارة فرنسا في رومة وهي ذات اربعة مدافع من اعظم طراز وبها
من النوتية ٧٤٢ بحريا وقوتها تبلغ الى ١٨٠٠٠ حصان

هذا وكان سير الاسطول بفخامته بحساب ١٧ ميلا بحريا في الساعة
فقضى في البحر ليلة سابع عشر ابريل ويومها وكان البحر في اول السير
هادئا والهواء عليلا ثم اعقب ذلك حدوث عاصفة شديدة في الليلة الثانية
التي اسفر صباحها عن وصول فخامته بسلام



الباب الاول

في زيارة فخامة رئيس الجمهورية لبنزرت واستعراض الاساطيل بها
وهو اليوم الاول من رحلة فخامته (١٨ افريل ١٩١١)
قبل ان نتكلم على تفاصيل تلك الزيارة يجدر بنا ان ننقل للقاري
نبذة من اخبار بنزرت وما كانت عليه في العهد القديم ليتمكن للمطالع ان
ي ناظر بين ماضيها وحاضرها فمدينة بنزرت جاء ذكرها في معجم البلدان
بهذا اللفظ الذي هو اسمها المعروف لعهدنا هذا
ولم ندر لما ذا رسمها الشيخ محمد بيرم في رحلته صفوة الاعتبار بلفظ
« بني زرت » فكانه توهم اتسايها لقبيلة او شبه ذلك كقولنا بني خلد
وبني حسان اما كلمة بنزرت فمحرقة عن لفظ « هيبوزارتوس » الذي
هو اسمها في ايام الرومان وهي انجرت لهم من الفينيقيين قبل زماننا هذا
بما يقرب من الف عام وكانت يومئذ من ازهر ثغور الاستعمار الروماني
بافريقيا وبعد ان اخذ الرومان دورهم من العز والودد وتولى امرهم الادبار
سنة الله التي لا تتحول عاث البرابرة فيها بالنهب والفساد وساعدهم على
اتمام تدميرها امة الوندال الذين توالت هجماتهم على شمال افريقيا بعيد
المسيح فكانت بنزرت في القرن الرابع قبل الهجرة سائرة مع تيار الانحطاط
وهكذا وجدها العرب عند قدومهم لفتح افريقيا بل وهكذا بقيت قرونا
طوالا الى ان ورد عليها الاندلس من جالية عام ٩٠٠ للهجرة فحركوا رماها
ونفخوا روح الحياة في ربوعها الدارسة واحداثوا فيها المصانع والغروس
وعمروها بالبنائات ناهيك انهم اسسوا بها حومة تعرف ليومنا هذا باسم

« حومة الاندلس » الواقعة في قلب المدينة كما فعل اهل الجالية الاخيرة منهم بتونس على عهد يوسف داي (اوائل القرن الحادي عشر للهجرة) وفي القرون الوسطى كانت بنزرت مكننا لاهل اللصوصية من قرصان البحر ولها في هذا الباب شئان مع اساطيل البندقية التي كثيرا ما رمتها بالقنابل اخذا بالثار

ولبنزرت اهمية بحرية عظيمة يقال ان موقعها البحري من اهم البواعث على انتصاب الحماية الفرنسية اوية بتونس لذلك كان هذا الثغر المنيع محط انظار الدوائر العسكرية الفرنسية من حين بسط اجنحة الحماية على هذا الديار فقد انفقت فرنسا على استحكام ثغر بنزرت من المال ما دونه كنوز قارون واهتمت بهذا المرسى الاهتمام الندي جعل اليوم بنزرت في طليعة المراسي الحربية الاولى على لوحة الوجود باقرار كل موجود وفي صدر الحماية كان سكان بنزرت نحو خمسة الاف نسمة فبلغوا اليوم خمس مرات اضعاف ذلك وهذا بقطع النظر عن مدينة فريفييل المتولدة عنها والواقعة على بحيرتها بالقرب منها حيث مناخ اليد العاملة البحرية والحريية الفرنسية وقد اخذت مدينة فريفييل من سرعة التقدم ما جعلها على صغر سنها مغمورة بال عمران ناهيك ان عدد سكانها يربو اليوم على العشرة الاف نفس

لاجرم ان مثل هذا التقدم الواضح المويد لسطوة فرنسا بين الامم هو الذي جعل بنزرت مما يقام لها ويقعد في دواوين الحكومة الفرنسية وكان ابنا جيلنا الحاضر لم يزالوا على ذكر من الحظوة التي نالها هذا المدينة لثمان سنوات فارطمة عند تشرفها بزيارة فخامة رئيس الجمهورية

السابق فكيف بها وقد نمت تقدمها وتكاملت عدتها حتى صار ثغرها امنع من عقاب الجويدلك عليتها التصريحات العظيمة التي هي عنوان السياسة الفرنسية من جهة مصالح فرنسا الوطنية التي فالها بها فخامة رئيس الجمهورية عند قدومه للعمالة التونسية كما سترالا قريبا

اما وصول الاسطول الرئيسي لميلا بنزرت فكان بكرة يوم الثلاثاء

ثامن عشر افريل ١٩١١



الدارعة الرئيسية المسماة « الحق »

وكان دخول الاسطول لبحيرة المرسى على الساعة السابعة صباحا مصحوبا بمظاهر المهابة والاجلال فحيته في الحال الاساطيل الفرنسية والانكليزية والاطليانية والاسبانية التي سياتي ذكرها وهتف نوتية جميعها بالسلام واطلقت المدافع من المعامل والثكنات ومن الاساطيل المذكورة واذك تها فخامة الرئيس لقبول سمو الحضرة العلية التي تقدم مجيئها لبنزرت بكرة ذلك اليوم في رتل خصوصي مصحوبة بالوزراء الفخام وبرجال الدولتين الحامية والمحمية وعندئذ ركب سمو الامير ونجله البرنس سيدي المنصف باي وجناب الوزير المقيم العام وجناب الوزير الاكبر وجناب وزير القلم وكبار رجال الحاشية الملكية الطراداة الحربية

المسمات « هالبارد » وسارت بهم تحت الراية الحسينية نحو الدارعة
الرئيسية وعند صعود سموها اليها اخفق كمنذاتها بجانب الراية الرئيسية
البيرق الحسيني واذك ادت الدارعة الحربية الراسية قريبا من هنالك
مراسم السلام لمقامه الملوكي باطلاق احدى وعشرين طلقة مدفعية وعند
ارتقاء سموها للدارعة الرئيسية تلقاها براس المدرج جناب مسيو مولار مدير
التشريفات ورجال الحاشية الرئيسية وتقدموا بسموها نحو قاعة الاستقبال
حيث كان فخامة الرئيس في انتظاره وحوله وزراره وكان مسيو فليار بكسوة
التشريفية الكبرى وسمو سيدنا محمد الناصر باي بملابس الاعياد وعلى راسه
التاج الوهاج وصدرا موشحا بالشريط الاكبر الفرنسي وبرقبته نيشان
آل البيت الحسيني فلما دخل على فخامة الرئيس تلقاها جنابه بمظاهر
التعظيم والتكريم وبعد ان تصافحا مصافحة الكرام حيتما الحضرة العلية
بالعبارات الاتية تلقاها فخامته بمظاهر الشكر الجميل - قال -

اني اعد هذا اليوم من اسعد اوقاتي واني احقق لفخامتكم ان سروري
اصبح عظيما بقدم جنابكم لزيارة هذا الديار التي في دنف حماية فرنسا
المنبعة

واني اقدم لفخامتكم عبارات التهنية القلبية وارجو من الله ان تكون
رحلكتم مشمولة بالراحة ومقرونة بالسرور
ثم تعرف كل من جنابها بحاشية صاحبه فقدمت الحضرة العلية
لفخامة الرئيس نجلا سيدي المنصف باي ووزيرها الاكبر ووزيرها
للقلم وقدم فخامته لسموها وزير البحرية ووزير الفلاحة والكاهية
الوزيرى للبوسة والتلغراف وباش كاتب الرئاسة الجمهورية وبقية رجال

معيته ثم بعد ذلك جلس يسموهما فوق دستين توامين فخيمين وتبادلا عبارات الوداد الراسخ بما دل على تمكن صلوات الوفاق واستحكام روابط الالفة بين العنصرين المتحايين

وكان جناب الوزير المقيم اثناء ذلك محل التفات فضامة الرئيس فحيلا جنابه تحية الوداد وشكر همته عن ملازمته لمركزه العالي بالرغم عن الرزء العظيم الذي ألم به قبل ذلك يوم اذ فقد اخلا بفرنسا



جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام

ثم على اثر ذلك قدم على الباخرة الرئيسية الاميرال بوقائد الاسطول الانكليزي مصحوبا باركان حربيه فادى لفخامة الرئيس زيارة الاكرام والاحترام وعلى اثره قدم الامير اوبري قائد الاسطول الطلياني مصحوبا باركان حربيه وادى لفخامته مثل تلك المراسم ثم على اثره قدم القبطان ماركيس كمندان الدارعة الاسبنيولية وادى لفخامته نظير تلك الواجبات وكان لزيارة هولاء القواد الثلاث احسن وقع في النفوس لما قاموا به نحو

فخامة الرئيس من مظاهر التوقير والتعظيم ثم بعد ان قدم فخامة الرئيس
روساء الاساطيل الثلاثة واحدا بعد واحد للحضرة العلية انتقل وسموها
على الساعة الثامنة للطرادة المسماة « الهرج » من اسطول بنزرت واستعرضا
عموم الاساطيل الفرنسية والاجنبية المتجمعة هناك



فخامة الرئيس والحضرة العلية يستعرضان الاساطيل بميالا بنزرت
فكان منظر ذلك في آن واحد بديعا ورهيبا لما تحكيه تلك المظاهر
النارية من معاني القوة وسلامة الاوطان وفي تلك الاثناء كانت المدافع تبرق
وترعد بما يخيل انها قد قامت القيامة والمويسقى تترنم باناشيد الفخار
والنوتية يهتفون بالدعاء

ثم بعد استعراض الاساطيل ركب فخامة الرئيس بوزرائه وحاشيته
زورقا حريبا وتوجه لرد الزيارة للاميرالات قواد الاساطيل الاجنبية فابتدا
اولا بالاسطول الانكليزي حيث ارتقى للباخرة الاميرالية المسماة
« سويفتزور » وزار الاميرال بوالموفود باسطوله من قبل دولة بريطانيا

العظمى ومن بعده زار الاسطول الطلياني حيث تلقاه على متن الدارعة
« بنديتوبرين » الاميرال اوبري الموفود باسطوله من قبل دولة ايطاليا ثم
ختم زيارة السفن الاجنبية بزيارة الدارعة « كتلونيا » الموفودة بقيادة
القبطان ماركيس للسلام عليه من قبل دولة اسبانيا وبهاته المناسبة احسن
فخامته بوسامات الشرف لضباط تلك الاساطيل فللاميرال الانكليزي
بالصنف الاول من اللجيون دونور ولن سولا باوسمة من الدرجتين الثالثة
والرابعة اما الاميرال الطلياني فحيث كان محرزا من قبل على الصنف الاول
الفرنساوي فقد اهداه فخامة الرئيس وعاءا ثمينا من الفيروز يمثل شكل
المرآة « المصلية » التي رسمتها يد المعلم كاربو النقاش المشهور

وبعدئذ عاد فخامة الرئيس من زيارة الاساطيل الاجنبية فركب
والحضرة العلية ووزراؤهما رحاشيتهما الطراداة « الهرج » التي تقدم
ذكرها وساروا نحو جهة البر للنزول بينزرت



نزل فخامة الرئيس والحضرة العلية الى البر

فنزل فخامته والحضرة العلية على نغمات النشيد الوطني الفرنسي وكان في استقبالهما كافة اهل الحل والعقد ولدى نزول فخامته البر ارسل جنابه رسائل برقية لملوك انكلتيرة واطاليا واسبانيا في التشكر اليهم عن مشاركة اساطيلهم في الاحتفال بفخامته بمناسبة قدومه للبلاد التونسية مما يؤيد علائق الوداد بين دولهم والدولة الجمهورية ولا شك ان في قدوم تلك الاساطيل في الاوقات الحاضرة معنى سياسيا دقيقا لانه صادف اول مرة شاركت فيها اساطيل تلك الدول بالحضور رسميا في مظاهرات فرنساوية بالميلاد التونسية

ثم تقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامة الرئيس باولئك التدوات ومشى الموكب نحو جهة العساكر التي حشدت هنالك لاداء مراسم السلام والاحترام فاستعرضها فخامته ثم انعم بوسام الشرف من الدرجة الثالثة على الكولونيل دونال قائد الطبجية وباوسمة من الرتبة الرابعة على من دونه من ضباط البر والبحر



فخامة الرئيس يقلد الاوسمة لضباط حامية بنزرت

وكان المقام جليلا لكونه عسكريا بحثا ترنمت خلاله مويسقى الجيش
 باناشيد الفخار وانشودة المرسليلاز الوطنية التي ما سمعها احد فيه نفس
 تتحرك بين جنبيه إلا وداخله العجب وتحركت فيه دواعي الحمية وهذه
 الانشودة التي نظمها احد الوطنيين من الضباط الفرنسيين واسمها
 « روجي دلا ليزل » في سنة ١٧٩٢ كادت ان تكون اشهر من نار على علم
 حتى انها قد اصبحت في زماننا هذا انشودة العالم المتمدن باجمعه ولا شك ان كل
 واقف على اخبار الدول واحاديث الملل ام يزل على ذكر من ان خلع السلطان
 عبد الحميد خان وقيام السلطان محمد خان الخامس كان على نعمات هذا النشيد
 بلسان حزب الاحرار من الامة العثمانية وقد اعتنى المرحوم رفاة باشا الطهطاوي
 المتوفى سنة ١٢٩٠ بترجمة هذه الانشودة ورسمها في رحلته المشهورة وانا
 نقلها عنه هنا اتماما للفائدة لان ذكرها سيتكرر مرارا بهذا الرحلة ودونكها بنعمها

فهيابني الاوطان هيا فوقت فخاركم لكم تهما
 أقيموا الراية العظمى سويا وشنوا غارة الهيجا مليا
 عليكم بالسلاح أيا اهالي ونظم صفوفكم مثل اللآلي
 وخوضوا في دماء اولى الوبال فهم اعداؤكم في كل حال
 وجورهم غدا فيكم جليا بنا خوضوا دماء اولى الوبال
 اما تصفون اصوات العساكر كوحش قاطع البيداء كاسر
 وخبث طوية الفرق الفواجر ذبيح بنيكم بطبى البواتر
 ولا يقون فيكم قط حيا

(عليكم الى آخر الايات الثلاث)

فماذا تبتنى منا الجنود وهم همج واخلاق عبيد
كذا اهل الخيانة والوغود كذاك ملوك بغى لن يسودوا
تعصبتهم لنا لم يجد شيا

(عليكم الى آخره)

لمن جعلوا السلاسل والقيودا واغلالا واطواقا حديدا
لاهل فرنسة ليروا عبيدا وليس مرامهم هذا جديدا
اما هذا عجيب يا اخيا

(عليكم الى آخره)

وكيف يسوغ ان نرضى رعاعا من الاغراب ينفون ارتفاعا
ويجري شرعهم فينا شرعا واندالديهم لا تراعى
رعايا بل تكب على المحيا

(عليكم الى آخره)

فسلم ياسلام من المذله فما نرضى بان نبقي اذله
وياسرنا وقتيتنا اجله فريق بالدرهم قد توله
فكيف وقدرنا اضحى علينا

(عليكم الى آخره)

الهي كيف يقهرنا ملوك بسبل العدل ليس لهم سلوك
واندال للاستعباد حيكوا وما في الفخر يشركنا شريك
ولا احد به ابدا حريا

(عليكم الى آخره)

فقل لهم ايا اهل المظالم وارباب الجرائم والم. ثم
اما تخشون من تلغ المحارم كذا اهل الخيانة للمكارم
وظلمهم لقد بلغ الثريا
(عليكم الى آخرة)

احلوا الخوف نحوكم اماما وخلوا العدل عندكم اماما
ونقضكم لموطنكم ذماما به تجزؤون ذلا وانتقاما
وتكتسبون عند القوم خزيا
(عليكم الى آخرة)

فهاكم قد تسكرت الاهالي وسارت كلها نحو القتال
لتقتحم المهالك لا تبالي اذا مات ليث في النزال
تولد ارضنا شبلا صبيا
(عليكم الى آخرة)

صغير القوم منا والكبير يحب قتالكم فرحا يطير
نحاربكم وليس لكم نصير وليس لحربنا اصلا نظير
وحاشا فحولنا يلقون عيا
(عليكم الى آخرة)

لنا وطن به همنا غراما به تقوى عزائمنا دواما
نمانعه ونخشى ان يضامنا وناخذ ثاراه ممن تعامى
وجاروان يكن ملكا عتيا
(عليكم الى آخرة)

لنا حرية في الكون تسمو تزيد اذا الحروب بدت وتنمو
 تمنع عن بينهما ما بهم بها ثمرات نصرتهم تتم
 على نعم المثاني والحميا
 (عليكم الى آخره)

تموت عداتها موتا شنيعا اذا ما ابصروا عزا منيعا
 يحوزحماها مجيدا رفيعا فويل للذي يبغي الرجوعا
 لرق يكتسى خطأ وغيا
 (عليكم الى آخره)

سندخل سلك ارباب الجهاد كاسلاف لهم طول الايادي
 ونحونحوهم في كل ناد ونقفو فضاهم في كل واد
 ونبلغ في العلى شأوا قصيا
 (عليكم الى آخره)

نؤمل ان نكون لهم فداء وكل فتى بفخر النصر بقاء
 وان لا بعدهم نبقى مساء اذا لم نتقم لهم العداء
 وياخذ ثارهم من كان حيا
 (عليكم الى آخره)

ولنرجع لحديث رئيس الجمهورية فنقول ان فخامته والحضرة العلية
 واهل الموكب جميعا ساروا بعد على القدم بين سموط العساكر قاصدين دار
 المراقبة المدنية ببنزرت حيث تلقى فخامته مراسم التهنئة والسيلام من متوظفي
 الادارات واساتذة التعليم ومن الهيئات الرسمية والمجلس الشرعي واعيان

النزلاء والاهالي وكانت دار المراقبة وشوارع المدينة تدري عليها رايات الزينة والوجول باسمه والقلوب فرحة مسرورة بحيث انه لما خرج فخامته والحضرة العلية من موكب القبول وسار ركابهما العالي نحو قاعة غذاء الفطور بقمق المرسى كانت الازقة والبطاح تتماوج بالخلايق والناس في جموع مولفتة قد جاءوا من كل حدب ينسلون



الركاب الرئيسي والملوكي بشوارع بنزرت

ومما زاد ذلك المنظر بهجة وحسنا تقاطر جموع المريدين اهالي طرق الذكر من بنزرت والاعمال القريبة منها وكذلك عمد العربان وشيوخ احيائهم وفرسان قبائلهم فكان لاجتماعهم في صعيد واحد بصبايحهم الوجق وبخيالة النظام في ذلك الوسط المختلط اختلاط الحابل بالنابل منظر يحاكي يوم الحشر والنشر

وكانت قاعة الفطور مغطاة بالبسط الرفيعة ومحلاة بالبيارق الفرنسية والتونسية والاقليلية والاطليانية والاسبنيولية ومتوجة بالاسلحة من كل نوع

والمائدة مزينة بالزهور والرياحين وبالوانى الفخارية من نوع الخزف
التونسي فيجلس فخامة الرئيس بصدارة المقام وجلس المقام الملوكي على
يمينه فالاميرال اوبري قائد الاسطول الطلياني فجناب مسيو بامس وزير
الفلاحة فجناب مسيو شومي الكاهية الوزيرى بالبوسطة والتلغراف
فالسيد الهادي الجيلاني عامل بنزرت فجناب مسيو لوشري الوزير الاسبق
فالبرنس سيدي المنصف باي فجناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر
فجناب الاميرال بيلو قائد اسطول فرنسا بالبحر المتوسط فجناب مسيو بركلي
قنصل جنرال انلكثيرا بتونس

وجاس ليسار فخامة الرئيس جناب الاميرال بو قائد الاسطول
الانكليزي فجناب مسيو دل كاسي وزير البحرية فالقبطان ماركيس كمندان
الدارعة الاسبنيولية فجناب مسيو الابيتت الوزير المقيم العام فمسيو ارنو كاهية
المجلس البلدي بينزرت فجناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم فمسيو
سيري كاتب مجلس الشوري فجناب مسيو بوتزيني قنصل جنرال ايطاليا
بتونس فجناب مسيو ماسياس قنصل جنرال اسبانيا بالحاضرة فبقية الذوات
فمكاتبو الصحف الباريسية المصاحبون للركاب الرئيسي فاصحاب الجرائد
الفرنساوية والطليانية بتونس فمدير جريدة الزهرة اليومية فبقية الاعيان
بحيث بلغ عدد الجميع نحو ثلاثمائة حضر واكلهم تلك المادة
الانية باستدعاء من المجلس البلدي بينزرت

وفي ختام الفطور استوى كاهية المجلس البلدي واقفا ونطق بخطاب
حي فيه فخامة الرئيس وهنالا بالقدوم واقتبس من حضوره باسطول ضخيم
في ميلا بنزرت الدلالة على ما لفرنسا من العناية بهذا الشرف ثم استمنح من

فخامته استعمال وساطته الكريمة لدى جناب الوزير المقيم ليفسح المجال للتجارة بمرسى بنزرت وختم كلامه بالثناء على هممة مسيو ذلكماسي وزير البحر الذي ما انفك نصيرا لثغر بنزرت المنيع ثم شرب نخب فخامة الرئيس والحضرة العلية فصفق له الحاضرون

وتلا في الخطابة رئيس الحجرية التجارية بينزرت فاعرب عن تحمس وطنيته وغيرته وعما لمجلس التجارة من الرغائب والاماني والفت نظر مسيو فليار لاهمية موقع بنزرت من جهة التجارة القاضية بانشاء حوض خاص لوسق الفحم المستخرج من مقاطع الوزنة بالجزائر التي يومل تحويل استصداره من الميلاء الجزائرية للمياه البنزرتية ثم ختم خطابها بالدعاء للجمهورية ورئيسها بالسعادة والاعزاز

وقام بعدا مسيو سيرى كاتب مجلس الشورى والقى الخطاب البليغ الاتي ملخصه

افتتح مسيو سيرى خطابه بالاعراب عن شعار الغيرة والنخوة الوطنية التي شملت كافة الفرنسيين بالعمالة التونسية بمناسبة قدوم فخامة رئيس الجمهورية الذي هو راس الامة الفرنسية الحرة والممثل في اعين العالم المتمدن لشهامة ومجد الشعب الفرنسي

ثم تخلص لاسدا مزيدي الشكر لجناب الوزرا واعضاء البرلمان ورجال الصحافة الفرنسية الذين شاركوا كل بما في طاقته على تاييد السيادة الفرنسية بالعمالة التونسية وعلى تحقيق سعادتها ونشر اعلام التمدين فوق ربوعها

ثم عرف الخطيب بما آل اليه امر بنزرت التي اصبحت تعرفها منيعا وصالحا
لايوا' اضخم اسطول في العالم كما يستدل ذلك من حضور الاسطولين
الانكليزي والاطلياني بجانب الاسطول الفرنسي لاداء مراسم الاحترام
لفخامة رئيس الجمهورية

ثم قال ما معنالا ان فرنسا احييت هندا الارض بفضل نشاط معمرها
فاصبحت جبهاتها تزخر بالخيور كالبحور واصبح العرب اهلها في سعة من
الرزق يعيشون تحت جناح الامان والعافية

ثم اشار لارتقاء موارد الزراعة فقال ان الشجرة المباركة قد مدت
اجنحتها فيما بين سوسة وشفاس بحيث انه لا يلبث غير زمن قليل حتى
تصبح تلك الجهات مغطاة بظلالها الوردية وهذا زيادة على ما قامت به
دولة الحماية من تمهيد السبل ومد سكك الحديد وفتح المراسي لتسهيل
التاجر واستثمار كنوز الارض التي منها مناجم الفسفاط الواقعة بعمل قفصة
ثم قال وبعبارة جناب الوزير المقيم العام محل اعزاز كافة المعمرين قد
انتشر التعليم كما تم تاسيس جمعيات الاحتياط الزراعية التي اشدت بها ساعد
الاهالي والتي انقذتهم من اضرار المجاعة والربى وهذا فضلا عما منحهم
الدولة من التخفيض في ضريبة المجرى على التدرج وانتقل بعد ذلك
لللكلام على احتياج المملكة لقرض مالي فاستعطف من مراحم فخامة الرئيس
ومن وزراء الدولة الجمهورية واعضاء البرلمان الحاضرين ان يمدوا يد
المساعدة لانجاح هذا القرض الذي وافقت عليه لجنة الميزانية بهمة الوزير
المقيم العام اثناء اقامته الاخيرة بباريس

وفي الختام شرب الخطيب نخب فخامة الرئيس ودعا له ولفرنسا
بالسعادة وال عمران

واخيرا نهض فخامة رئيس الجمهورية فاستوى الحاضرون وقوفا
والتقى الخطاب العظيم الاتي نصه
سادتي

انه ليسرني جدا اهداء المملكة التونسية سلام الاخوة من قبل فرنسا كما
يلذ لي جدا انها الذكر الحسن من قبل الدولة الجمهورية لسمو سيدي
محمد الناصر باي واني لسعيد الحظ برفع كاسي على سلامة حضرته العلية
داعيا من صميم الفؤاد بالسعادة لسموه والبيت الحسيني
سادتي

انكم على علم من مقدار الاهتمام البالغ الذي تتبج به ارتقاء حمايتنا من
ورا البحر الفاصل بيننا واني لا اغرب على احد اذا قلت لكم ان ذلك الارتقاء
المتوالي عودنا على الاعتقاد بانه في هذا الصقع من ارض افريقيا حيث كان
مقر السيادة الرومانية في غابر الزمان ومناخ مدينتها التي اضاءت بنورها
اطراف المعمور قد احينا بمساعدة مواطنينا ابناء العنصر الاهلي بعد انطواء
قرون عديدة طريق السلوك بهذا القطر نحو مدارج الثروة التي ستنمو بها
قوة جميعنا لما سيعاظم بها مجدنا بين امم البحر المتوسط

وان الاشغال العظيمة التي قامت بها الحماية بمدخل بحيرة بنزرت
ليست بالقليلة الاهمية في جانب الخطوة الفسيحة التي مشيناها للامام افليس
لنا في هذا الحين نفسه شاهد عدل على ذلك في مشهد هذا الاحتفال بهذا
الثغر البسيم الذي هو كشاف طلائع المدنية والذي هو محل العناية بفضل

مشاركة سا كنيه على الخدمة في سبيل مستقبله الحسن - فلسنا بالذي ننسى
 هذا الاستقبال الباهر الذي واجهتنا به بنزرت واني اشاكر لمعتمدها البلدي
 الذي خطب الان بين يدي ارق خطاب لما اثني على كفاة اهاليها
 الجديرين كمعتمدهم المذكور بكامل العناية وادعو للجميع بخير

وانه ليروق لي تدكر زيارتي اليكم سنة ١٩٠٣ في صحبة سلفي المعظم
 ولاجله فان رئيس مجلس التجارة الحريص على مصالحكم التي هي في المعنى
 مصالحنا قد صادف المرمى اذ اشار في خطابه البليغ للتصريحات التي وقعت
 في ذلك العهد وهي تصريحات نراها قد اثمرت عيانا بفضل اجتهاد اولئك
 الشجعان الذين غرسوا شجرة عظمتنا الاقتصادية والبحرية بهدلا الارض
 المختارة فاولئك الرجال ومن اعقبهم في العمل قاموا دائما بواجب الدمة
 وعليه فاقندا بتصريحات كاتب مجلس الشورى الفرنساوي الذي مجد
 ذكرهم ا لون سعيد الحظ بتوجيه عبارات الامتنان بالنيابة عن الامة
 لكفاة المعمرين والاهالي المفتخرين بتعاقدهم بفرنسا

سادتي

قد حصل لي ابتهاج عظيم من حسن القبول الذي حيتمونني به
 فكان ارواحنا قد امتزجت بارواحكم او كان نفخا من روح الجمهورية
 بعث لضفتي البحر المتوسط ليجعل اخلاصنا رسيخا لشرائع وتعاليم ومقاصد
 وطننا العزيز العظيم واني اراكم قد ادركتم ان الغرض من رحلتي هذا
 اليكم ليس هو الاكتفاء بالتفسيح وبنعيم السياحة بل القصد منه القيام بعمل
 افعل لكم والينا - نعم اني جئت لادري واسمع واحفظ ما سيقال لي

وان الوزراء اعضاء الدولة الفرنسية جاءوا ايضا لهذا الغرض نفسه
 فمرادنا ان نستطلع الاحوال بانفسنا وان نماسسكم بالذات لنسمع مباشرة من
 افواهكم ما هي احتياجاتكم وما هي رغائبكم وجوابنا عنها سيكون
 ليس بالمواعيد الفارغة لانه لنا اليقين بان زيارتنا هذا سينتج عنها الخير
 لمشروع الحماية الذي قد نما واثمروكم من تقلبات في طريق الاصلاح
 قد حصلت هنا في ظل رايتنا اثنا هذا الثلاثين سنة

هذا وبالجمع بين بحيرة بنزرت والبحر الكبير قد اصبح في طوعكم
 ان تمكنوا عند الحاجة اقوى السفن الحربية من الالتجاء لمهرب مستعصم
 كهذا او من مساعدتها على اي اصلاح بهذا المعامل البحرية المستكملة
 النصاب

واني اهني نفسي معكم بقبول زيارة السفن الحربية الجميلة التي
 اوفدها ثلاث دول عظمى احبة لياهكم الزاهية حدوا احد اساطيلنا العظيمة
 ونعني بها تلك المدرعات التي رضيت غيرتي الوطنية بالسلام على اعلامها
 المظفرة اثنا الاستعراض البهيج الذي وقع تحت نظري في هذا الصباح
 فادلة الاعمال المحمودة التي نشأت عن الحماية قد اصبحت تفوت
 الجصر بسائر جهات المملكة ومن ذا الذي في وسعه ان ينكر المحسوسات
 فالفرنساويون الذين كانوا في عدد سبعمائة ايام معاهدة باردو قد تجاوزوا
 اليوم الاربعين الفاً ومساحة اراضي الزراعة التي اتسع نطاقها بفضل
 احيا الارض الموات اصبحت تربو على ثلاثة ملايين هكتارا وقد كان
 الهكتار من الارض في سنة ١٨٨١ يتراوح بين خمسة فرنك وخمسة عشر
 فرنكا فصار اليوم يتراوح بين المائة والخمسين والثلاثمائة واصبحت قيمة

الرباع في المدن مما يملكه الفرنسيون تبلغ على التقريب الى مائتين وعشرة ملايين وفي مدينة تونس حيث نحل هذا المساء قد بلغت البناءات التي وقع تشييدها في السنين الاخيرة الى نسبة بنائة جديدة في كل يوم ومن حيث الكنوز المعدنية قد منحت الدولة من تاسيس الحماية الى اليوم ٤٢ مقطعا معدنيا يستخرج منها بنسبة خمسمائة الف طنلاطة من الحديد والتوتية والرصاص مقابل مليون وثلاثمائة الف طنلاطة من الفسفاط

وقد امتدت الطرقات لسائر الجهات فحل حولها العمران والثروة واصبح طولها لا يقل عن اربعة آلاف ميل بعد ان كان اربعة اميال لا غير في سنة ١٨٨١ وهي عبارة عن الطريق الواقع بين باردو وتونس وبلغ طول شريط السكة الحديد الى الف وستمائة ميل تسير فوقها الارتال الان واما قريب سيرتفع هذا العدد الى الف ميل

وخاتمة القول في هذا الباب فتح اربعة مراسي عظيمة تامة العدة تتجاوز حركة تجارتها مليوني طنلاطة

وقد كان نمو الحركة التجارية على التدرج والتوالي فبعد ان كانت بنسبة ٧٦ مليونا من الفرنكات في سنة ١٨٨٤ صارت بنسبة ٢٢٣ مليونا ونصف المليون في سنة ١٩٠٩ ينوب منها المتاجر الفرنسية وحدها ١١٩ مليونا من الفرنكات اي على نسبة ٥٤ في المائة من المجموع وذلك بعد ان كانت حصة فرنسا في سنة ١٨٨٤ على نسبة ٣٥ في المائة وقيمة متاجرها نصف وستة وعشرون مليونا لا غير

ولقد كان في الوسع الإكتفاء بهذه النتائج لو كانت حياة الأمم متوقفة على مجرد استثمار مواردها الاقتصادية وحدها إلا أن هنالك قوات وموارد أخرى معنوية من المتأكد استخدامها قبل كل شيء لتدعيم هيكل الحماية على أساس متين

إن الحماية لم تهمل شيئا من الأمور التي تحوم حول مديد المساعدة لكافة المستظلمين برايتها من جميع الملل والنحل فقد اعانتهم على التعليم لتثقيف افهامهم وعلى معرفة واجباتهم لاتباع طريق الرشاد وعلى اعلاء مداركهم لتوطيد عرى الوفاق بين بني الإنسان

وفي هذا المقام يلزم اسداء الشكر لمدارس التعليم ولاساتذتها الجديرين من كل وجهة بوثوق الاباء والامهات لانهم لم يبخلوا باوقاتهم ولم يرضوا بعنايتهم ولا باجتهادهم للقيام باموريتهم الشريفة ذات المصاعب الكثيرة كما يلزم الثناء ايضا على مشروعات الاعانة العمومية والمستشفيات ونظامات التعاون والاحتياط والقروض الزراعية وبعبارة افصح يلزم ان نمجد كل صنيع من شأنه ان يطرد عن هذا القطر المصائب التي تالم منها جسدها في الماضي كالجوع والربا والوباء

والخلاصة ان هذا النور المتزايد الذي اشرق على هذا القطر انما هو بفضل ذكاء فرانس الكريمة فلذلك يسوغ لنا جميعا الابتهاج بما قد حصل ومن العدل ينبغي ان نلهج بشكر سمو الحضرة العلية عن مساعدتها العالية لمشروعاتنا في كل حين كيف لا وفضائلها وحبها لصنائع الخير وصدقتها لفرنسا وجميل ميلها لنواب الجمهورية وتمضيدها اياهم لم يحم الشك حولها قط زيادة على ما لسموا من علو المثال الذي جعله قدوة تعلم الناس مثلا

كيف يعتني امير في قصره بالوقوف بنفسه على تربيته وتعليم ابناءه
 هذا ولا يسوغ ان ننسى ايضا ما هنالك من المشاركة الحسنة التي قام
 بها النزلاء الاجانب وهي مشاركة ناطقة بشواهد تعلقهم بهذا الايالة وبالهيئة
 القابضة على ازمة امورها فلنتشكر عن ذلك لرجال الجالية الماطية ولرجال
 الجالية الطليانية القوية والقديرة التي عملت كثيرا في سبيل النهضة
 الاقتصادية والتي بحسن سلوك ابنائها قد زادت في توثيق عرى الوداد بين
 فرانس وإيطاليا

فهذا الحقائق المؤثرة تبشر بالبلوغ لاسمى المقاصد الوطنية ولذلك ارفع
 كاسي على سلامة الديار التونسية واشربه بافتخار على سعادة عصرها الحاضر
 وبامان على مستقبلها الحسن كما اشربه تشريفا وتكريما للملوك المحترمين
 الذين اوفدوا نوابا للسلام علي بميلا بنزرت اعرابا عن ودادهم العالي نحو
 فرنسا التي يزداد اعتبارها لهذا المظاهر الودادية لكونها سادرة من اولئك
 الملوك القابضين على مستقبل امهم العظام والساهرين كفرنسا نفسها على
 تاييد السلام العام وعلى خدمة الانسانية

وبعد انتهاء الخطاب الرئيسي اديرت فناجين القهوة على الحاضرين
 وكانت الساعة الواحدة اذذاك بعد الزوال فقام فخامة الرئيس والحضرة
 العلية وركبا عربة الطبخية وركب المدعون عربات اخرى وسار الموكب
 بين هتاف جموع لا تحصى الى المرسى فرأى فخامة الرئيس والحضرة العلية
 ووزرا وهما ورجال حاشيتهما الطراد المسماة « الهرج » الالفة الذكر
 وقصدا دار الصناعة بسيدي عبد الله الواقعة بداخل بحيرة بنزرت على بعد
 اثني عشرة ميلا من المدينة فتلاقهما الاميرال كوف قائد اسطول بنزرت

ورحب بقدميهما وسار في خدمة ركابهما على معنى افادتهما بما احتوت عليه
 الترسخانة من الدخائر والمصانع والمعامل المدفعية والعدة التي بها اصبح نغر
 بنزرت مرسى حريبا بحريا امنع من عقاب الجو وكانت الحضرة العلية
 تظهر اذاك مزيد اهتمامها بسماع تلك الافادات الفنية كما اظهرت كامل
 عنايتها عند مشاهدة عرض الاساطيل التي تقدم ذكرها وكان الحوض
 المعد لصنع وقذف النسافات الغواصة محل اعجاب سموها وباستيفاء زيارة
 محلات الترسخانة عاد الموكب قاصدا البرفادت طائفة من العساكر البحرية
 مراسم السلام وصدحت مويسقاهم بالجان « النوبة » الخاصة بها وعزفت
 دفوفها وطبولها واذاك نزل فخامة الرئيس والحضرة العلية والوزراء وبقية
 الذوات على مقربة من محطة السكة الحديد بينجة وركبوا في نحو الساعة
 الثانية ونصف بعد الزوال قطارا خصوصا سار بهم قاصدا الحاضرة التونسية
 ولما وصل الرتل لماظر وقف الموكب هنيهة ريشما تلقى فخامة الرئيس
 مراسم السلام والاحترام من عامل المكان ومن شيوخ وعمد الاهالي ومن
 اعيان العمرين وكان اذاك موقف السكة يتماوج بافواج الاهالي يتقدمهم
 جموع المريردين واعلام زواياهم تخفق فوق رؤسهم ومحلات المحطة مزدانة
 بالرايات والاكاليل على ابداع اسلوب فابتهج فخامة الرئيس لاحتفال
 الجميع بمقدمه وشكر بالخصوص معمرى عمل ماظر وقال انه سيصدق بالثناء
 على كدهم وجدهم عند عودته لفرنسا فهتف القوم حينئذ بالدعاء لفخامته
 وبعد ان تلقى مراسم الاحترام من اعيان الاجانب بماظر ثم من اعيان
 الطائفة الاسرائلية ركب الرتل فتحرك قطارا وجد في السير الى ان بلغ حاضرة
 تونس على الساعة الخامسة مساء

الباب الثاني

في زيارة فخامة رئيس الجمهورية للحاضرة التونسية

(اصيل يوم الثلاثاء ١٨ من افريل سنة ١٩١١ ويوم الاربعاء ١٩ منه)

قبل قدوم فخامته للعاصمة المحروسة كانت الحاضرة التونسية قد

اخذت اهبتها لاستقباله بما يليق بسامي مقامه وبما يناسب فخامة الملك

الحسيني ويشهد بتعلق الدولة المحمية بالامة الحامية فتجلت يومئذ حاضرة

تونس لزائرها الكريم في اجمل مظاهر الزينة ولبست من الحلي والحلى كل غال

وثمين وكانت الاعلام الفرنسية والتونسية والاجنبية خاققة على اعاليها

وسكانها في جذل وهيام لفرط ما حصل لهم من الفرح بالرئيس الهمام

ولا بدع فاهالي هتلا البلاد لهم سمعة حسنة منذ القديم في ضروب القرا

والتكريم

وانجازا لذلك المرغوب اتخذ المجلس البلدي الوسائل الكافية لتحقيق

راحة السكان ووفود المتفرجين المتالفة اعدادهم من الوف عديدة سيما

من جهة مرور العامة والعربات بشوارع وانهاج تونس فاصدر جناب شيخ

المدينة ورئيس المجلس البلدي قرارا في ترتيب السير مدة اقامة فخامة

الرئيس الكريم بالحاضرة وهذا نصه بعبارة

نحن امير اللواء محمد الصادق غلب رئيس المجلس البلدي بتونس

قررنا ما ياتي

الفصل الاول - لايسوغ مرور الترموايات وانواع العربات في الايام
وبالجهات الاتي بيانها

يوم الثلاثاء ١٨ افريل ١٩١١ - ساحة المحطة ونهج الصادقية ونهج
انكلترا ونهج ايطاليا وشارع فرنسا وساحة السفارة العامة ونهج هولاندا
وشارع جول فري وشارع باريس وذلك من الساعة الرابعة الى السادسة مساء
يوم الاربعاء ١٩ افريل - ساحة السفارة العامة وشارع جول فري
وشارع باريس وشارع مدريد والطريق الذي بين باردو والقصر السعيد
وساحة ونهج باب سعدون ونهج الحلفا وشارع لندرة وذلك من الساعة
الثامنة صباحا الى الزوال مساء

في اليوم المذكور - ساحة السفارة ونهج الصادقية ونهج الجزيرة
وشارع باب الجديد وشارع باب منارلا وساحة القصبه من الساعة السابعة
الى الساعة الحادية عشر مساء

يوم الخميس ٢٠ - ساحة السفارة العامة ونهج الصادقية وساحة
المحطة من الساعة السادسة الى الساعة السابعة صباحا

يوم الثلاثاء ٢٥ افريل - ساحة المحطة ونهج الصادقية وساحة السفارة
العامة بين الساعة السادسة والساعة السابعة مساء

يوم الاربعاء ٢٦ افريل - ساحة السفارة العامة ونهج الصادقية وساحة
المحطة بين الساعة ٧ و ٣٠ دقيقة والساعة ٨ و ٣٠ دقيقة مساء

الفصل الثاني - لايسوغ ايضا مرور المشاة بوسط ولا بجوانب الانهاج
والشوارع المذكورة آنفا في الاوقات المبينة

الفصل الثالث - لكوميسارات واعوان البوابس ايام ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ١٦ افريل ان يحجر وامرور التراموايات والعربات والمشاة بالجهات التي يقتضي نظرهم اخلاؤها احفظ النظام والامن العام

الفصل الرابع - في جميع الانهاج والطرق العمومية وفي الايام والساعات المذكورة آفا يحجر امام الدكاكين وخصوصا القهاري وضع الموائد والكراسي والابناك والعربات وغير ذلك من الاشياء التي من شأنها ان تعطل المرور العام كما يحجر التعلق بالاشجار وان يوضع بالشرافات او بحافات السطوح اشياء من شأنها ان تجرح المارين وكذا نشر الثياب وغيرها ولا يسوغ ايضا رمي ورق الكونفيتي ولا شرائط الكاغد ولا باقات الزهور او غير ذلك ولا اطلاق الشماريخ

الفصل الخامس - رئي الكوميسارات واعوان القوة العامة مكلفون كل فيما يخصه بتنفيذ هذا القرار

تونس في ١٥ افريل سنة ١٩١١

الامضاء - محمد الصادق غيلاب

كما ان دولة الحماية اتخذت من جهتها الاحتياطات والتاھبات اللازمة لانجاز مواكب الرحلة الرئيسية بكل ما يناسب فخرامة ضيف الاممة التونسية وساعدها على تحقيق ذلك المرغوب كتابة الدولة العامة فاصدرت لادارات الحاضرة وحكامها والمراقبين والعمال منشورات مستوفاة البسط لرسم خطة كل منهم ومن ذلك برنامج بالقلم العربي في بيان كليات وجزئيات

الرحلة المذكورة وزعته على اعيان الحاضرة والعمالة وهو البرنامج الذي
شرحناه وبسطناه فتكون منه هذا التاليف واليك نص المکتوب المتعلق
بالغرض الذي وضع لاجله

تونس في ١٦ افريل ١٩١١

سيدي الوزير المقيم العام

اني اشرف بان اقدم لجنابكم تذكارا لزيارة فخامة رئيس الجمهورية
عشر نسخ ضمنها اثنين على ورق جميل من البرنامج العربي للافراح
العمومية التي ستقوم بها المملكة التونسية اكراما لصاحب الفخامة سيدي
رئيس الجمهورية المعظم

ونعرفكم ان هذا البرنامج الذي ستولى الكتابة العامة توزيعه
مجانا على الهيئات الاهلية ووجوه واعيان المسلمين يتدكر قراة بما هو متعلق
في الازهان من الوفاق الذي لم ينفك متواصلا بين الفرنسيين والتونسيين
وحيث قد القصد من وضعه هو تلقين الامة الاسلامية بما هي متهيأة اليها
للافاحة يعني الاحتفال والاستظهار بشعائر الاخلاص نحو فرنسا اثناء زيارة
فخامة مسيو فليار لحاضرة تونس ومدن العمالة

اما تحرير هذا البرنامج المستكمل من كل الوجوه فقد اوكلت امره
للسيد محمد بن الخوججة رئيس قسم المحاسبة بالادارة العامة
وتفضلوا يا جناب الوزير الخ

الامضا - بلان

هذا وعند : ول فخامة الرئيس والحضرة العلية من القطار كان في انتظارهما بمحطة السكة الجنوبية رجال الدولتين الحامية والمحمية فالمجلس البلدي يتقدمه رئيسه وكاهيتا فروسا الادارات وكواهيهم فعامل احواز الحاضرة فالعمد والاعيان من سائر الطبقات واذاك شرف فخامته والحضرة العلية قاعة الاستقبال بالمحطة وكانت آية في الزينة والتنميق وبمجرد استواء فخامته والحضرة العلية بصدارة المقام اطاعت المدافع مائة طلقة وطلقة اشعارا بالسلام على فخامته وفي تلك الاثناء تلقى مقامهما العالي مراسم السلام والاحترام من كافة الحاضرين ثم تقدم مسيو بروسست احد كاهيتي المجلس البلدي وهنا فخامته بالخطاب الاتي

يا فخامة الرئيس

ان حاضرة تونس تهنيكم بالقدوم المبارك واهلها يتشكرون لفخامتكم عن تشريفكم اياها بالزيارة ولقد حينناكم لسنوات فارطنا اذ جئتمونا واتم رئيس مجلس الشيوخ فبقي لذلك باذهاننا اجل ذكري والان نفتتم هذه الفرصة للاعراب لفخامتكم باسم الفرنسيين سكان العمالة جميعا عمالنا من التعلق والاخلاص بالدولة الجمهورية التي بالرغم عن ابتعادنا على ارضها بقينا من ابر بنينا - هذا وستطلعون بانفسكم على المجهودات التي توخيناها لترقية وعمران هذا القطر الذي مدت عليه فرنسا جناح حمايتها فاجابه فخامة الرئيس بعبارات الاستحسان وشكر سعيه

هذا وحيث كان مسيو بروسست الكاهية المشار اليه وجناب شيخ

المدينة السيد محمد الصادق غيلب رئيس المجلس البلدي من المحرزين من قبل
على اوسمة عالية في اللجيون دونور ولم يكن الكاهية الاخر مسيو دومرق
مميزا بالوسام المد كور فقد استحضرة فخامة الرئيس في ذلك الموكب والبسه
وسام الشرف من الدرجة الرابعة

ثم انتظم الموكب وخرج من المحطة فركب فخامة الرئيس والحضرة
العلية عربية الرئاسة الجمهورية التي هي من طراز دومون وكان يجرها
اربعة من اجياد خيول عساكر الطبخية وجلس امامها جناب مسيو الابيت
الوزير المقيم العام و جناب مسيورمندو الباش كاتب بقصر الرئاسة وركب
في العربة الثانية والثالثة وزراة الدولتين وركب بقية الدوات والمديرون
ورجال الحاشيتين ببقية العربات وسار الموكب في ابته واجلاله بين سموط
العساكر مخفورا بالعساكر الخيالة وبصبايحية الاوجاق وكانت مراسم
السلام يودها الجيش ابتداء من طابور عساكر الزواف وانتهاء بفرقة عساكر
العسة الموصونة وكانت الموسيقى تترنم بنشيد المرسلين ثم بالسلام الملوكي
الحسيني وهلندا سار الموكب مخترقا للالوف المتالفة من المتفرجين
والهاتفين من كل الملل والنحل على ممر الركاب العالي ببطحاء السكة
الحديد فنهج الصادقية فنهج انكلتيرة فنهج ايطاليا حيث مناح الزينة
فشارع فرنسا الرحيب النضير فساحة السفارة الفرنسية ولدى حلوله
وسط الساحة ترنم تلاميذ المدارس وكانوا متجمعين هنالك في زهاء الالف
تلميذ بانشودة حماسية من نظم الاستاذ شانبير في تهنئة الضيف الكريم
والرئيس الفخيم وفي الحث على التعاضد والتاخي والتوادد بين الاقوام مما
سيبقى له ذكر على كثر الشهور والاعوام

موكب فخامة الرئيس ببطحاء السفارة الفرنسية يوم دخوله لمدينة تونس



ولما دخل الرئيس لدار السفارة توادع فخامته مع الحضرة العلية فعاد سموها في رتل خصوصي لقصر المرسى وتاهب جناب مسيو فليار لقبول مراسم التهنئة والاحترام من اهل الحل والعقد ومن اعيان الحاضرة التونسية . وحينئذ انتظم موكب القبول فكان واسطة عقدا فخامة الرئيس وحوله ووزراء ورجال حاشيته



• جناب ميسوري نومي
الكاتب الوزري بالوسطة والقراني



جناب ميسوري
وزير الملاحة



• صاحب السعادة ميسوري
رئيس الجمهورية الفرنسية



• جناب ميسوري
مدير الترشحات



• جناب ميسوري
مدير مكتب الجمهورية



• جناب ميسوري
وزير البحرية

و
م
ال
غ
وال
أ
الع
الت
ون
عل
قول
ان
في
وت
ا
عن

واذاك تقدم للسلام عليه المشايخ اهل المجلس الشرعي بالمدھيس
وبعد ان صافحهم فخامته مصافحة الكرام القى فضيلة شيخ الاسلام على
مسامعه الخطاب الاتي ادالا الى الفرنسية في الحال جناب مسيو بلان
الكاتب العام للامور الادارية

يا فخامة الرئيس

قدمنا اليكم نحن شيوخ المجلس الشرعي تدعونا داعية واحدة ويجمعنا
غرض متحد وهو ابداء شعائر الاخلاص في الترحيب بمقدمكم الفاخر
والاحتفال بزيارتكم السامية التي يحق لي ولهم بصفتنا نوابا عن الشريعة
الاسلامية ان نعلق عليها كل امل في دوام احترام شعائرننا الدينية ورعايتها
العوائد المبنية عليها المتقضيين اقتضاء اوليا زيادة توثيق واحكام روابط
التعاقد والاتحاد بين دولة الجمهورية الفخيمة ودولتنا سمو اميرنا المعظم
ونمو الكفالة الصادقة بمساعدة القطر واهله كما هو الامر الذي كتبتنا
على نفسها دولة الجمهورية السامية وحفظ لها فيه الذكر الحسن ولم يزل
قول عظمائها بيننا وعملهم في سبيله الهام يؤيد احدهما الاخر ومن المؤكد
ان زيارتكم هاته للقطر التونسي تجدد وتحيي في قلوبنا ما لنا من الامان
في دولة الجمهورية التي ينوب عنها فخامتكم والوثوق بولايتها اي احياء
وتجديد وحصول بحول الله على مفيد

فاجابه فخامة الرئيس بالعبارات الاتية

اني لمبتهج من شواهد الاخلاص التي صرحتتم بها الينا باسمكم وبالنيابة
عن اهل المجلس الشرعي وليكن جنابكم على يقين من ان الجمهورية

الفرنسوية ستستمر سائرة كما في الماضي على قاعدة احترام عوائدكم
 وشعائركم الدينية وعلى زيادة احكام الروابط الناتجة عنها بين الدولتين
 بفضل المساعدة على ترقية هدلا المملكة من الوجهتين الحسية والمعنوية
 وان الاهتمام بمصالح وعقائد الامة الاسلامية الذي برهن عليه جناب
 الوزير المقيم العام في كل المناسبات هو اوثق كفيلا واوضح تأكيد
 يمكنني تقديمه اليكم

وان فطنتكم العالية ورايكم الصائب سينتج عنهما بلا ريب المعونة
 التي لا انفس منها للمشروع الذي نحن بصدده
 فتلقى الشيوخ تلك التصريحات النفيسة بمظاهر الشكر وانصرفوا
 بكل توادد ووقار

قال في الجريدة الرسمية للدولة الجمهورية (العدد المورخ في ٢٠
 افريل ١٩١١) يصف هيئة المجلس الشرعي عند قدومهم على فخامة
 الرئيس « والمجلس الشرعي عبارة عن محكمة موسسة على قواعد القرآن
 (الشريف) يرأسها شيخ الاسلام الذي هو الامام الديني لمسلمي العمالة
 التونسية وكانت رؤس اهل المجلس متوجة بعمائم ضخمة واطلست من
 الكشمير العالي وعلى هامتهم برانس بيض وجوخ حريرية من افخر ما يكون »
 هذا وعلى اثر خروج الشيوخ من السفارة ابتدا موكب القبول
 الرسمي للهيآت النظامية فتلقى فخامته اولاً مراسم التهنئة والاحترام من
 متوظفي السفارة الفرنسية والمراقبة المدنية بتونس ثم قدم له جناب
 الوزير المقيم الهيات الاتية على الترتيب الاتي

- قناصل الدول بتونس
الجنرال بيستور قائد جيش الاحتلال
المأمورية المالية الفرنسية بتونس
مجلس الشورى
العدلية الفرنسية
حجرة التجارة
حجرة الفلاحة
اركان الحرب بجيش الاحتلال
ضباط الجيوش
الكتابة العامة للامور العدلية
الكتابة العامة للامور الادارية
ادارة المال العامة
ادارة الاشغال العامة
ادارة الفلاحة والتجارة
ادارة البوسطة والتلغراف
ادارة العلوم والمعارف

وفي اثناء اقبال فخامته للهيئات المذكورة القيت على مسامعهم عدة
خطب وتهنئات فقناصل الدول هنوا بالقدوم فردا فردا واعربوا لفخامته
عن كامل احترامهم للدولة الجمهورية وقد اثنى فخامته عليهم وصافحهم

مصافحة ودية، ومجلس الشورى بقسميه الفرنسي والاهلي عند تقديم
مراسم ولائم واحترامه التي كاتبه الفرنسي خطابا في الاعراب عن تعلق
رفقائه بام الوطن وعن اخلاصهم في خدمة المصالح العامة وعن رغائب
المجلس التي ترمي الى طلب التوسيع في نطاق نفوذها ليكون قائما بواجباته
نحو الفكر العام الفرنسي وقد اجابه فخامة الرئيس بالثناء على غيرة
الاعضاء الفرنسيين واهتمامهم بمصالح البلاد التونسية ثم قلد في ذلك
الموكب احد الاعضاء وهو الـ فوكات مسيو دلماس وسام الشرف الفرنسي
كما ان رجال العدلية الفرنسية عند تقديم مراسم احترامهم التي
عميدهم جناب القانوني مسيو دوماس رئيس المحكمة الفرنسية بتونس على
مسمع فخامة الرئيس خطابا نفيسا اشار فيه لاتفاق غريب وهو مرور ٢٨
عاما لا تزيد ولا تنقص على ما بين تاريخ تاسيس العدلية الفرنسية بتونس
وحفلة هذا اليوم كما اشار لنشأتها في هذا الديار بمساعدة الدول الاروباوية
التي تنازلت لفرنسا عن حاكمها القنصلية وبكرم سمو باي تونس الذي
تنازل لها عن جزء عظيم من سلطته الحكومية بما دل على صدق مودته نحو
الدولة الفرنسية وقد اجابه فخامة الرئيس بانه ممن خدم العدلية وشب
وشاب في حبها فقد خدمها بصفة وكيل وساسها بصفة وزير

ولما امتثل رئيس حجرة التجارة بين يدلا عرض على مامع فخامته
اماني ورغائب التجار الفرنسيين واكد له عناية العنصر الفرنسي بالعنصر
الاهلي وتدريبه على الكد والعمل وفقا لمرغوب الدولة الفرنسية التي
حكمت بسياسة التشريك في هذا الديار وقد اجابه فخامة الرئيس شاكرًا

له عن هذا الفهم المصيب لمعنى الحماية التي تقتضي طبعا بتوادد العنصرين
 وبمثل هذه العبارات صرح بعد ذلك لرئيس حجرة الفلاحة جوابا عما
 اكد في خطابه من ان المعمرين الفلاحيين بالعمالة بعثوا روح حياة جديدة
 في جسم الفلاحة الاهلية وتداركوا بذلك اعراب البوادي من المجاعة والفقرة
 فقال له فخامة الرئيس عبارات تقرب من معنى الحديث الشريف القايل « ارحم
 من في الارض يرحمك من في السماء » وزاد على ذلك ما معناه ان في
 تحسين حالة الامة المحمية زيادة شرف للامة الحامية

ثم تقدم للسلام على فخامته، ضباط جيش الاحتلال وفي مقدمتهم
 جناب الجنرال بستور قائد الجيش العمومي

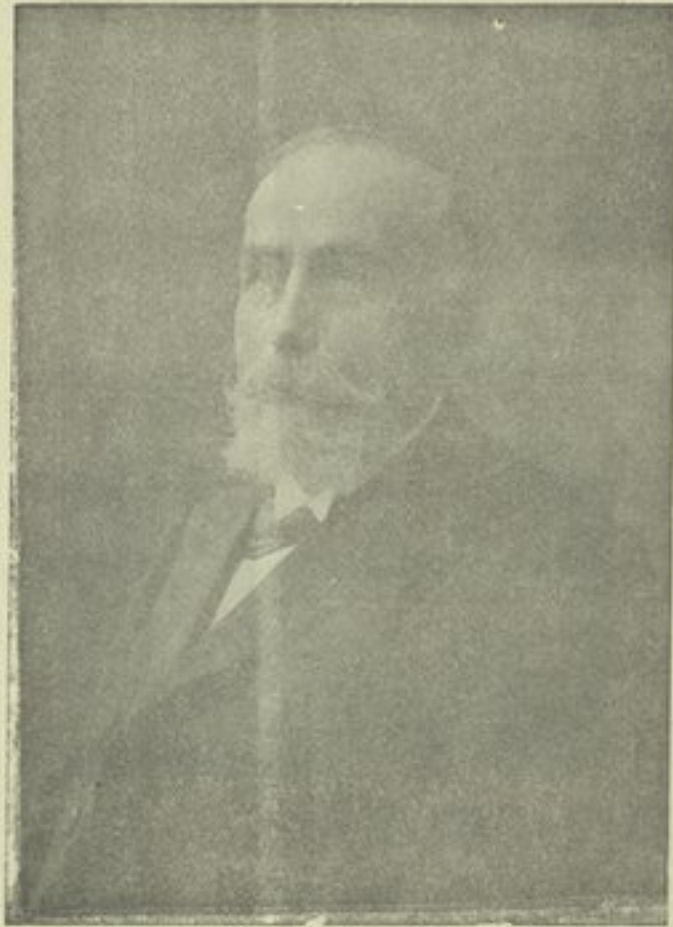


جناب الجنرال بستور

قائد جيش الاحتلال ووزير الحرب بالدولة التونسية

ولما امتثلوا لدى فخامته القى الجنرال المذكور على مسامع فخامته
خطابا نفيسا قال فيه « ان العساكر وان كان من واجبهم السكوت الا ان قلوبهم
في هذه المناسبة السعيدة ترتجف سرورا لرثن كان غيرهم من الناس
يشتهون الحرية واستقلالية الدات فهم دائما عبيد متفانون في حب الدفاع
عن الاوطان لذلك نلتبس من فخامتكم نيابة عن جيش الاحتلال قبول
مراسم ولائنا للدولة الجمهورية وشعائر احترامنا واخلاصنا لداتكم الموقرة »
وقد اجاب فخامة مسيو فليار بقوله « اراني دائما سعيدا بملاقاتي للضباط
الفرنساويين وليس من الافادة ان نظري هنا هولاء الضباط الغيورين لان
قيمة الضباط الفرنسيين معلومة لدى الجميع وليس في جيش فرانسوا ضابط
يحمل شعار خطته ويتمنطق بسيفه وهو غير عليم بما عليه من الواجبات
نحو الوطن وفي ظني بل وفي املي ان لا نحتاج لاجراج ذلك السيف من
غمدة لكن معرفتنا بقيمته تحقق لنا الفوز اذا اضطررنا لاستعماله يوما ما
هذا وان اخلاصكم ايها الضباط قد اثلج صدري وان وجود الجنرال بستور
الذي نعرفه في طبيعتكم يحملني على القول بانه على قدر اهل العزم تاتي
العزائم فلتقبلوا جميعا خالص ودادي بالنيابة عن الدولة الفرنسية التي
تتصورونها في شخصي الآن »

ولما تلقى فخامته مراسم التهنئة من الادارات العمومية اتنى بالخصوص
على جناب الوزير المفوض مسيوروا الكاتب العام للامور العبدلية وحادثه
مدكرا ايلا باجتماعه به لثمان سنوات فارطة



جناب مسيوروا الوزير المفوض

والكاتب العام للامور العدلية

كما اتنى فخامته ثناء حسنا على جناب مسيو بلان الناظر العمومي
بالوزارة الداخلية والكاتب العام للامور الادارية الذي اتقن العربية ومارس
الامور الاهلية في مدة قصيرة ووجه مثل ذلك الثناء لجناب مسيو فلوري
الكاهية بالكتابة العامة والساعد الايمن لجناب الكاتبين العامين



جناب مسيو بلان الناظر العمومي
بالوزارة الداخلية والكاتب العام للامور الادارية

واذ كان فخامته مارا بصف روساء الادارات والاقسام والاقلام بالكتابة العامة
انحنى امامه الحاضرون فجالملهم بعبارات لطيفة وصافح كلاما من مسيو فيو
مدير العدلية ومسيو مرلان مدير الانطكخانة ومسيو لوتوف رئيس قسم
المجالس البلدية والحكيم فيثان مدير الصحة البحرية والقبطان دافير مدير
السيجون ومسيو ركلو معتمد القسم الاول والسيد محمد القروي رئيس الخزنة
العامة والسيد محمد بن الخوجه رئيس قسم المحاسبات والسيد علي بن
مصطفى رئيس القسم الاول والسيد خليل بوحاجب رئيس البحث والسيد

الشاذلي صفر رئيس جمعية الاوقاف وبقية الدوات واستعلم في تلك المناسبة من مسيو ثيو مدير الاقسام العدلية احوال المجالس الافاقية والنوازل الجنائية واحسن فخامته لجنابه بعيد ذلك بالصف الاول من نيشان العلوم كما سمع بعد باذن صاغية الافادات التي قررها لديه مسيو مرلان مدير الانطكخانة فيما يتعلق بالتماثل القديمة التي استخرجها المتحف العلوي من عمق اربعين ميتر في عرض البحر بساحل المهديّة وهي عبارة عن آثار تاريخية ثمينة جدا تتصل بزمن البعثة المسيحية وكانت فيما يقال محمولة بسفينة يونانية ففرقت هي والسفينة لنحو الفي سنة فارطة واخيرا عشر عليها صيادو النشاف واعلموا بها الدولة التونسية فأجرت الغواصين على اخراجها وزينت بها متحف باردو الذي سيأتي الكلام عليه في محله

ولما تقدم له في ذلك المجلس اي عند قبوله للادارات الربيع جيرح حاخام باشي تونس وهو شيخ هرم اطل على ما وراء التسمين حيا فخامته وتكرم بمصافحته فتلقى الحاخام باشي تلك المجاملة بالشكر العميق وقبل راحة فخامته

ولما تلقى فخامته الادارة المالية قلد بيده لمسيو دوبرديو دفتر دار الاملاك العقارية وشقيق مدير المال وسام اللجيون دونور بين مظاهر الاستحسان العام وعند انفصال موكب القبول ظهر فخامته براس المدرج امام الباب فمر تحت انظار اعضاء الجمعيات الادبية والموسيقية والرياضية وكانوا نحو الاربعين جمعية وكلهم براياتهم وشعارهم الخاص بهم ومن جملتهم الجمعية الطليانية الغربلدية اي المنتسبة للقائد غاربلدي البطل المشهور المجاهد في سبيل الوحدة الطليانية والضابط كان بجيش المرحوم حسين باي بن محمود باي

اما اعيان الجزائريين من سكان الحاضرة فقد اعربوا من صبيحة ذلك
اليوم للسفارة العامة عن اخلاصهم وتعلقهم بالدولة الفرنسية واهدى رجال
الطائفة الوهرانية عنوانا على ذلك الشعور مقتظفا مزادانا بالزهور برسم فخامة
الرئيس كتبوا عليه بالخط الممولا بالذهب العبارة الآتية « هدية من
الجزائريين ابناء الطائفة الوهرانية »

هدا وبانفصال استعراض فخامة مسيو فليار للجمعيات المشار اليها رجع
فخامته لداخل السفارة ثم بعد ان استراح ردحا من الزمن اعد جنابه مادبة
خصوصية استدعى للعشاء بها وزراء ورجال حاشيته وجناب الوزير
المقيم وكاهيته

وبعد العشاء اعد فخامته ليلة انس ومنادمة كانت على غاية الاشراق
والازدهار حضرها البرنس سيدي المنصف باي ووزراء الحضرة العلية
والوزراء الفرنسيون والاميرال الانكليزي وضباط اسطوله والمستشار
البحري بسفارة انكلتيرة في باريس والاميرالان الفرنسيان وضباط
الاسطول الرئيسي واسطول بنزرت والدارعة الاسبنيولية ومدير والادارات
وبقية الذوات وعقيلات اكابر المامورين والاعيان كما حضرها مكاتبو
الجرائد الفرنسية الذين قدموا من فرانس بنية مراقبة الركاب الرئيسي في
رحلته التونسية وكانوا نحو الثلاثين صحافيا ولم يتخلف عن هدا الليلة
الآنسة إلا جناب الوزير المقيم بداعي الحداد الذي لم به لوفاة اخيه
طيب الذكر فلذلك استناب كاهيته بالسفارة لاستقبال الزائرين



جناب مسيو ديپورت
كاهية الوزير المقيم العام

ثم ان فخامة الرئيس طاف على قاعات القبول حيث تجاذب اطراف الحديث مع الحاضرين وبعد ان شرف مائدة السماط وادع زائريه ودخل بيت النوم وبعيد ذلك بقليل بارح الزائرون دار السفارة وعلائم السرور والبشر بادية على وجوه الجميع

وفي تلك الاثناء كانت احياء العاصمة التونسية وبطاحها وشوارعها تتلالا باشعة الانوار الكهربية بما قام به المجلس البلدي من ضروب الزينة والاسراج سيما باسواق التجارة الاهلية التي اسرجت بنحو ثلاثين الف مصباح وكانت مغازات التجار في تلك الليلة وفي الليلة بعدها محط رحال الزائرين من سائر الطبقات سيما مغازات التجارين الشهيرين السيد علي البربوشي

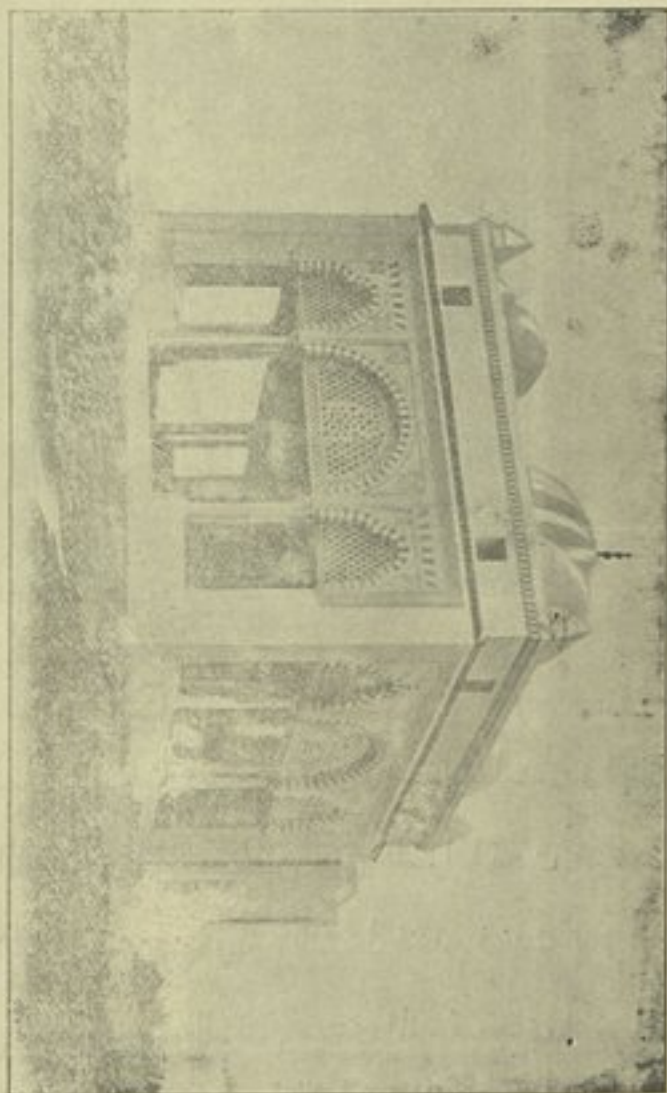
والسيد احمد جمال اللدين اصبح اسمهما بالعواصم والمعارض الاروباوية
اشهر من نار على علم ومعالم ان اسواق الحاضرة لها شهرة تاريخية بعيدة
لانها تمثل العاصمة التونسية على عهد القرون الخالية لان بعضها احدث في
ايام الدولة الحفصية والبعض الاخر وقع انشاءه على عهد الدولة المرادية

اما مظاهر الاحتفال والاحتفاء التي قامت بها ذات الحضرة العلية نحو
فخامة الضيف الكريم والرئيس العظيم فحدثت عن البحر ولا حرج ويكفي
في الكلام على ذلك ان نقول ان سمو الملك المعظم اعرب لفخامة الرئيس
عن امياله القلبية وعن مرغوبه لرد الزيارة لفخامته بباريس في العام الجاري
وانه بعد ان يقيم ضيفا رسميا على الدولة الجمهورية مدة يومين او ثلاثة
يطيل مقامه بالعاصمة الفرنسية اياما اخرى بصفة غير رسمية لاستطلاع
امورها وزيارة معاهدها ومشاهدة معالمها وتسريح الطرف في رياض
تلك المدينة عروس مدائن العالم المتمدن بأسرها

وقد كان لهذا التصريحات والانفاس العالية احسن وقع لدى فخامة
الرئيس ومما زادها ودا واعجابا بصفات المولى الامير ان جاء في مرغوبه هذا
معاني لطيفة لان الحضرة العلية لم ترحل قبل من مملكتها التونسية

هذا ولما بزغت شمس يوم الاربعاء ١٩ افريل ١٩١١ يعني اليوم
الثاني من قدوم فخامة الرئيس الهمام للحاضرة كانت مدينة تونس قد
اخذت تاهباتها للاحتفال والاحتفاء بالضيف الكريم والرئيس الفخيم ففي
الساعة السابعة صباحا اصطف فرسان الالوجاق وعساكر الخيالة بيطحاء
السفارة العامة وتولى اعوان البوليس حفظ الراحة وانتظم الموكب الرئيسي
المهيب فخرج جناب مسيو فليدار من السفارة على الساعة الثامنة مصحوبا

بوزرائه ورجال حاشيته واذاك صدحت الموسيقى بنشيد المرسلين
 وقرعت الطبول وادى العساكر السلام فامتطى فخامته عربته الراسمة
 الجمهورية وركب الوزراء وبقية اهل الموكب عرباتهم وسار ركابها
 مخفورا بالعساكر وعلى يمين العربية الجنرال قائد جيش الاحتلال راكبا
 جوادا وقصد سراية باردو المعمور مارا في طريقه على شارع باريس البهيج
 الموصل لبستان الخضراء



قبة بستان الخضراء ذات النقوش العربية الجميلة

ومن هنالك سار الموكب مارا بالشوارع التي وراء اسوار الحاضرة
 فطريق باردو لجهة باب ابي سعدون وكان ذلك بنية رد الزيارة للحضرة
 العلية واذاك كان سموها العالي في انتظار فخامته لاستقباله في موكب فاخر
 انتظم عقده بقاعة الاستقبال الكبرى بدار الملك باردو المعمور



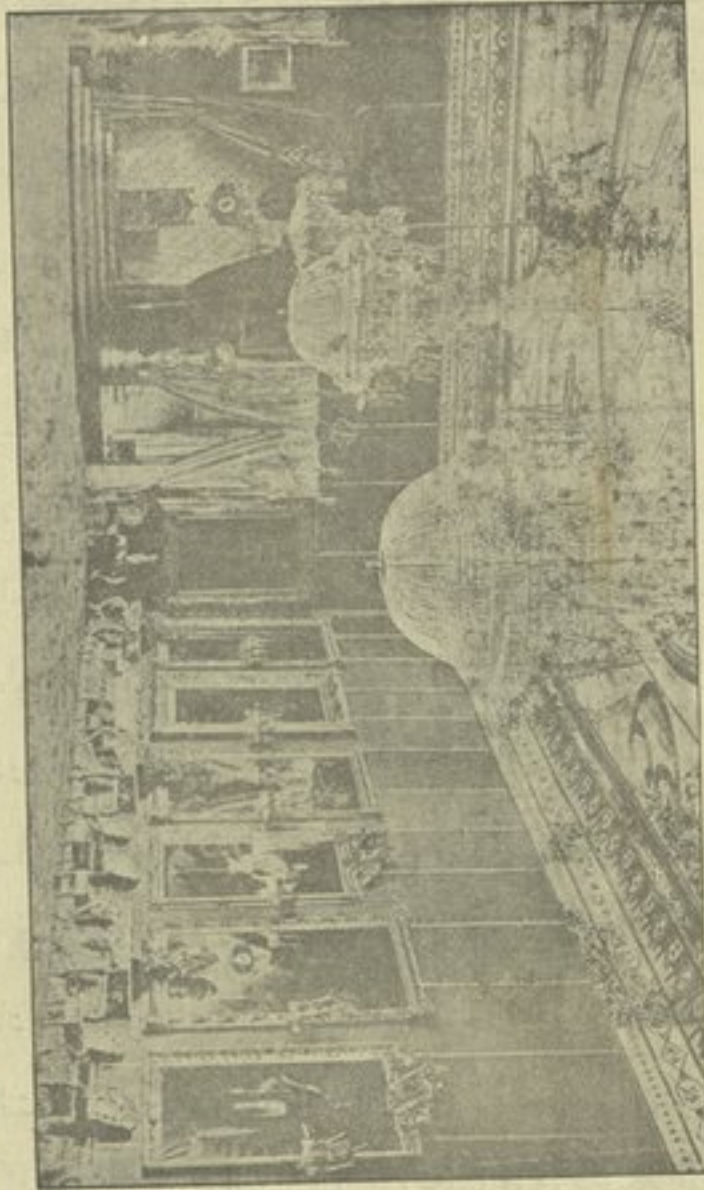
مدرج الاسود بسراية باردو

وفي نحو الساعة الثامنة ونصف وصل ركابه لباردو فادت له
 السلام العساكر التونسية وكانوا مصطفين حول السرايا تحت امرآ مدير
 وزارة الحرب الكلونيل دنجزير الحازم النشيط فتقدم فخامته نحو السرايا
 حيث استقبله على الرصيف سمو البرنس سيدي المنصف باي اكبر انجال
 الحضرة العلية وارتقى بفخامته مدرج الاسود واذاك صدحت الموسيقى

الملوكية بالسلام لفخامته وادت له عساكر العسة المصونة تحية العظماء
 والملوك وكان في مروره يلاحظ حسن اتساق القصر بجمال اعمدة
 المرمر الصقيل من النوعين الاسود والابيض القائمة عليها محلات السرايا
 اما باردو فكان موجودا في المائة الثامنة على عهد سلاطين الدولة
 الحفصية وكان مناخ منتزهاتهم وفيما يظهر ان اسمه محرف عن كلمة
 « برادو » الاسبنيولية التي معناها « الفردوس » ولما الت الدولة لنوبة
 المراديين زادوا حسنا وتفخيميا وسلك آل الحسين بن علي مسلكهم في
 عهد دولتهم واختصوا لسكنى انفسهم ثم اقتصروا على سكناء في
 الشتاء ويرحاون عنها لسوانى مصيفهم زمن القيظ وبالطبع كان دار
 ملكهم ومقر دواوين حكومتهم

هذا ولما دخل فخامة الرئيس سراية باردو وارلقى مدرجها
 الداخلى وجد في انتظار فخامته براس المدرج سمو الحضرة الملكية
 بالبسة الاعياد الكبرى واذاك تقدم له المولى الامير وتصافح معه
 باليدين الاثنتين ورحب بقدومه واكرم نزله وبعد ان تبادل
 مقامهما من جديد عبارت الوداد العالي جلسا فوق دستين توأمين
 ملكيين فخامته لليمين وسمولا لليسا

وكان امراء البيت الحسيني محدقين بالمقامين الكريمين والوزراء
 ورجال الدولتين وقوفا والناس كانما على رؤسهم الطير اجلالا وتعظيما
 واذاك خاطب المولى الامير فخامة الرئيس بقوله



قاعة التشریفات الكبرى بدار الملك بارودو المعمور

« ان فخامتكم على علم من تعلقي وصدقتي نحو الاممة الفرنساوية
 فانا اقترح على جنابكم ان تعتبروا ذاتكم الكريمة كواحد من اهل بيتي
 وان تقبلوا بتلك الصفة نيشان البيت الحسيني »
 ثم قلده بيده شعار ذلك الوسام الرفيع الشان وتلقى من فخامته عبارات
 الشكر والامتنان



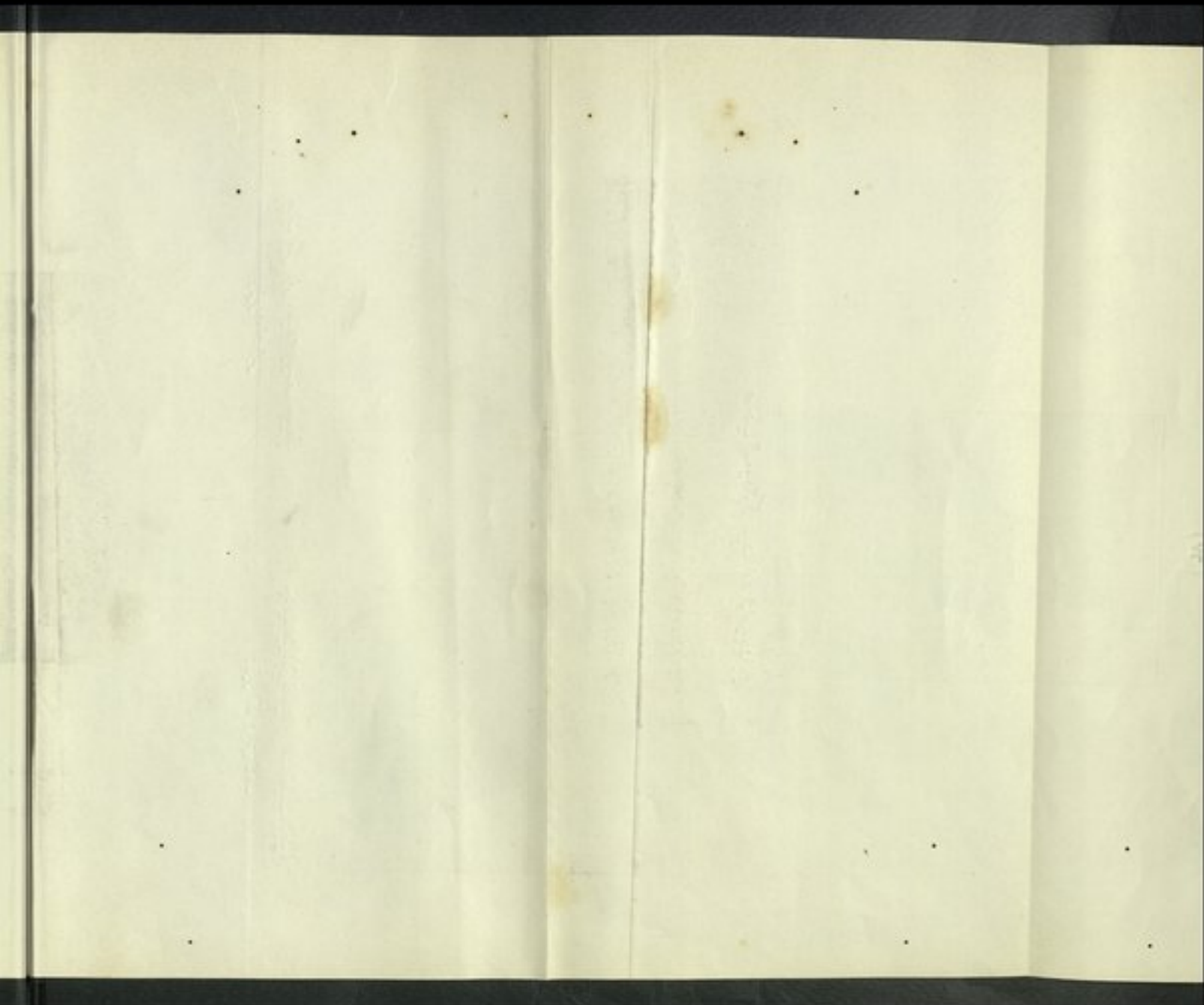
صاحب السمو الملكي سيدتنا محمد الناصر باشا باي



جناب امير الامراء سيدي محمد الطيب العبولي
وزير القلم و باش كاتب



جناب امير الامراء سيدي يوسف عبيط
الوزير الاصكبر



(٦٨)



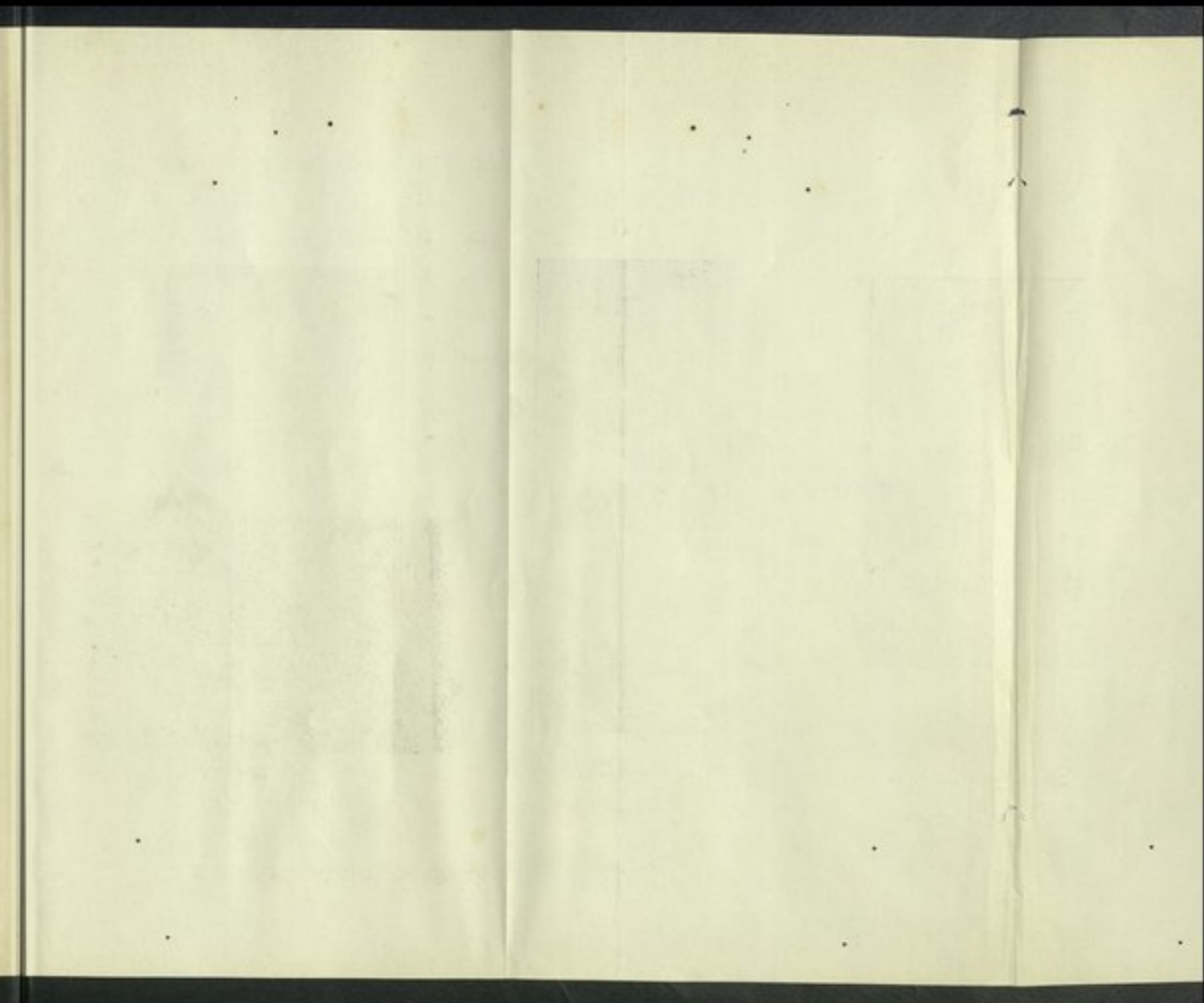
الجنرال فلنسي مدير الشريعات
ومترجم السراية العامة



الامير لاي السيد صالح بودرالت
كاهية العمدة المصونة



امير اللواء السيد عزوز بن عيسى
رئيس العمدة المصونة



وبعدئذ بارح فخامته السرايا الملكية بين مظاهر الاجلال والتعظيم
 والتحية العسكرية وقصد دار المتحف العلوي الواقعة على خطوات من
 السرايا وهي اى دار المتحف من اجل وافخر الدور العربية بناها المرحوم
 محمد باي وبالغ في تنميقها لحد الابداع والتحق بربه قبل ان يسكنها
 فاتخذها اخولا محمد الصادق باي دارا لحريره وتكرم بها من بعد اخوهما
 المرحوم علي باي فرخص في سنة ١٣٠٥ بان ينصب بها المتحف العلوي
 المنسوب اليه وهو صنيع جليل حفظ التاريخ ذكره لهذا الامير
 دخل فخامته المتحف مع وزرائه وحاشيته والوزير المقيم العام والوزير
 المفوض الكاتب العام للامور العدلية وبقية الذوات



الصحن الكبير بمتحف باردو

وزار بيوت المحل بالتمعن والنظر وكان دليل القوم في تلك الزيارة
 مسيو مرلان مدير الانطكخانه بتونس فاستفاد فخامته من هذلا الزيارة كثيرا

وابتهج لتلك الثروة الاثرية التاريخية التي اكتسبها المتحف العلوي في ظل
الحماية الفرنسية

وبعد ان تأمل فخامته طويلا من التمثال المصنوع من الفسيفسالات
الشاعر اللاتيني فرجيل الذي كان يعيش في القرن الثامن قبل الهجرة
حال نظمه وكتابه لقصيدته الحماسية المسماة « اينايد » وهي قصيدة ملأت
شهرتها اسواق الادب باروبا نظمها صاحبها بمطلب من الامبراطور اغسطس
الذي ولد على عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام



صورة الشاعر فرجيل وهو ينظم شعرا

ثم توجه لتقسيم المحفوظة به الاثار العتيقة والتماثيل المعدنية من نوع
الشهباني وهو ضرب من النحاس الاحمر في لون القلز



تمثال ايروس وهو آلهة العشق عند اليونان

(من التماثيل المعدنية التي عثر عليها ببحر المهدية)

وكان العثور على تلك التماثيل بطريق الصدفة في سنة ١٩٠٨ حيث
اكتشفها جماعة من الغواصين لصيد النشاف في عمق اربعين ميتر فوق
استخراجها من السفينة الاتينية التي غرقت بها في مبادي التاريخ المسيحي
على نحو ستة اميال من ساحل المهدية ومن بعد ذلك تأمل فخامته من نقوش
الفسيفساء البديعة والتماثيل المرمرية واوعية الخزف القرطاجنية ومن مجموعة
مصاييح وفوانيس عزيزة النظر تكاد تكون يتيمة في عالم الاثار
والفنون الجميلة ثم نظر فخامته بعين الاعتبار لسطل خاص بالتعميد
على عهد الامم الخالية ومر بالقسم العربي من المتحف مما يسميه العامة
دار العجايب وهذا القسم يشغل دار المرحوم محمد باي التي كانت تسكنها
زوجته من آل بيرم

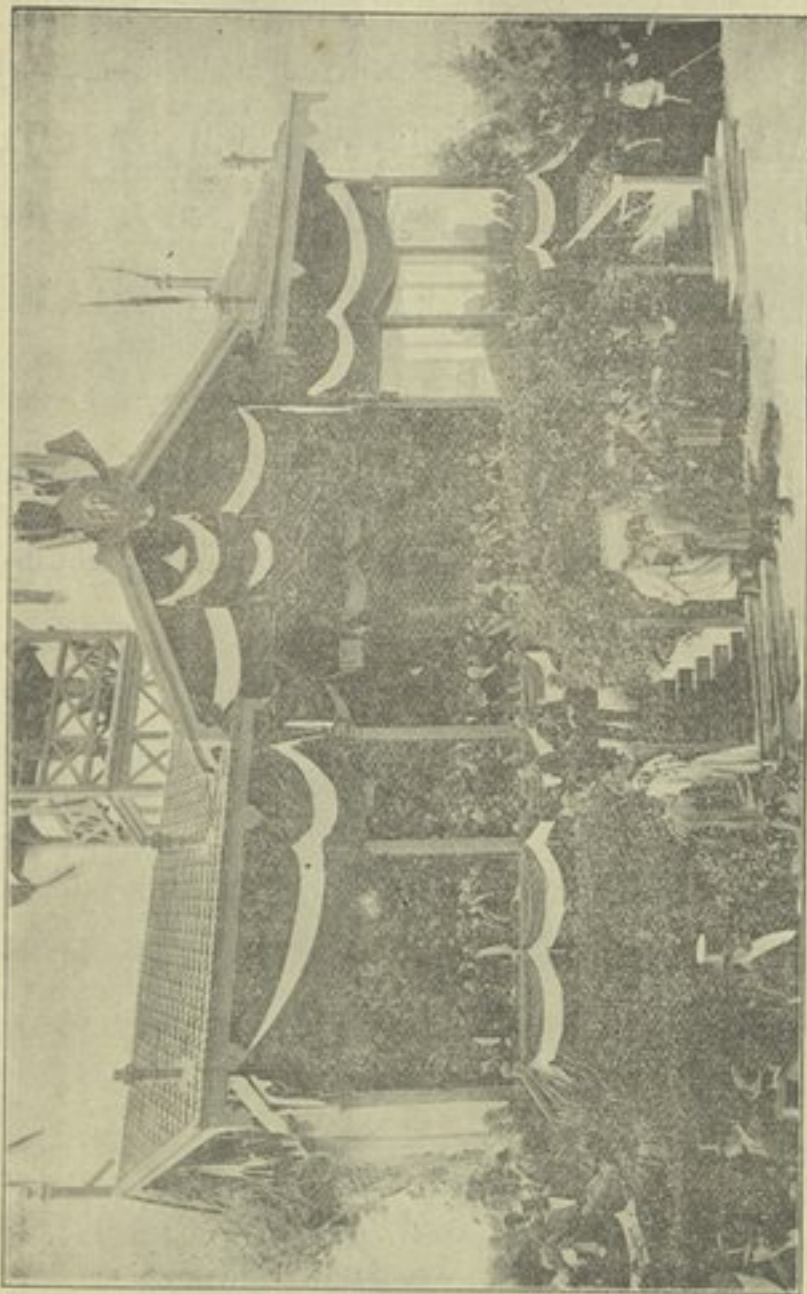


القسم العربي من المتحف العلوي
ثم بارح المتحف لاهجا بالثناء على عناية مديرة ومعجبا بوفرة
ثروتها الاثرية



فخامة الرئيس والحضرة العلية خارجان من باردو
بعد زيارة مسيو فليار للمتحف العلوي

واذاك تلاقى فخامته مع المقام الملوكي وانتظيا جميعا العربية الرئيسية
 فركب خلفها امراء البيت الحسيني كما ركب وزراء الدولتين وبقية
 الدوات وانتظم الموكب وسار مخفورا بالعساكر قاصدا مضمار السباق
 الواقع على مقربة من برطال القصر السعيد لاستعراض وفود الاهالي
 وحامية تونس ولدى الوصول لساحة الاستعراض نزل فخامة الرئيس
 والحضرة العلية فادت الجنود لهما السلام وصدحت الموسيقى بالنشيد
 الفرنسي وبالسلام الملوكي ثم صعدا بموكبهما لتختوان الشرف
 وجلسا بصدارة المقام



مختوان الشرف بمضمار استراخس الوفود بالقصر السعيد

واذاك علت ضجة لعنان السماء وهتف الحاضرون وقرعت الطبول
ودقت الدفوف والمزامير العسكرية وجردت السيوف من اغمدتها فكان

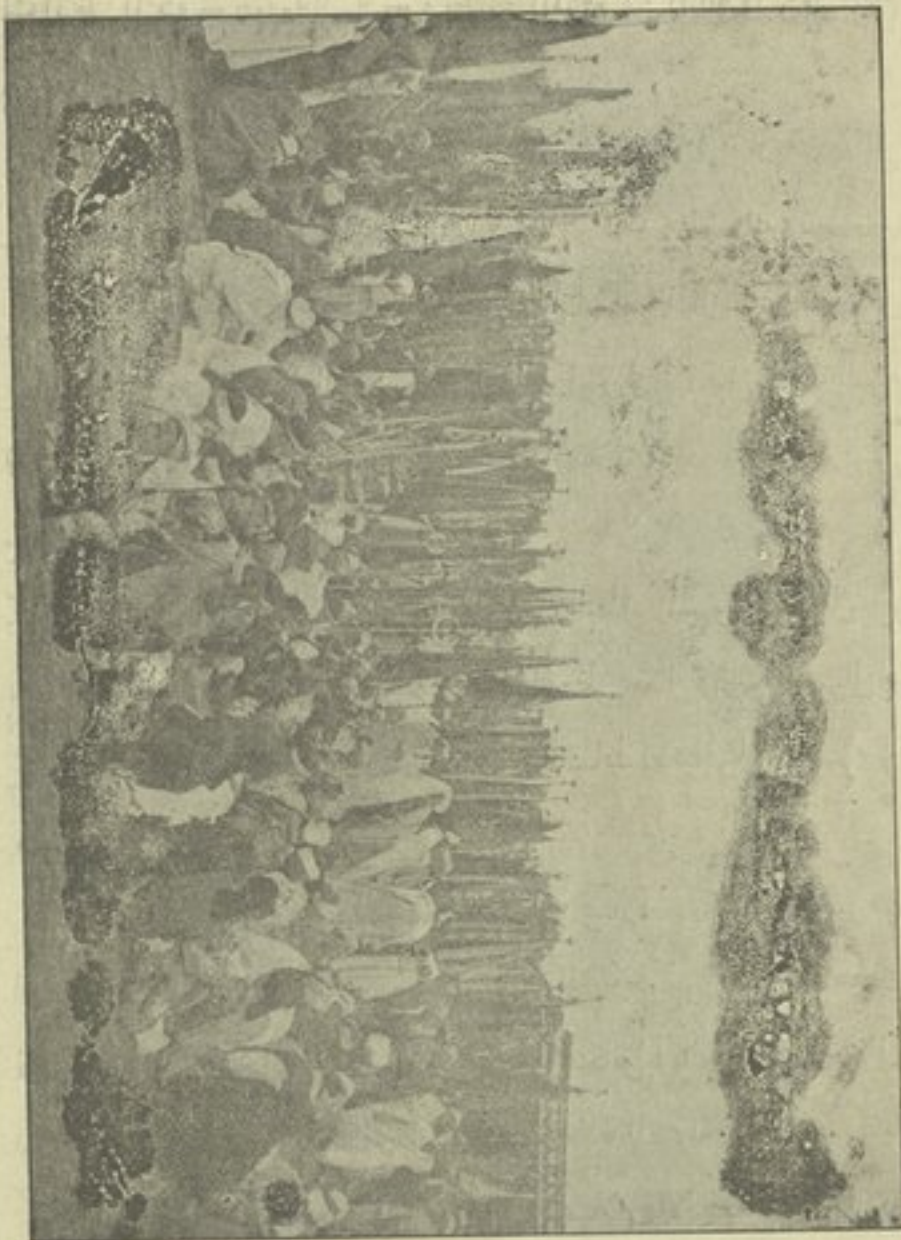
لذلك المنظر المزدوج بقعقة السلاح وبطنين المدافع من المهابة ما جعل المقام
مهيبا رهيبا

ولما اخذ الحاضرون موافقهم وجلس المتفرجون والمتفرجات بمحافل
السباق وفوق العشرة آلاف كرسي المعدة لهم وبرحاب المضمار وابطحتم
التي تسابقوا اليها من كل حدب ينسلون كان الناس اذاك يحاكون
معرضا بشريا لا تعرف هذه البلاد حصول مثله فوق اديمها قبل ذلك اليوم
اذ قدر بعض العلماء الاحصائيين جموع اولئك الخلائق بنحو مائة الف نفس
وهو بلا ريب شئ يشبه الحشر والنشر

وممن حضى بالجلوس في تختوان الشرف البطل المشهور الجنرال بايو
قائد الفيلق التاسع عشر الضارب بالجزائر كما حظى بمثل ذلك الاميرال بو
قائد الاسطول الانكليزي واركان حربه وضباط الاسطول الفرنسي
وقناصل الدول بتونس

اما الجنود التي حضرت للاستعراض فهي عبارة عن ثلاثة طواير من
عساكر التريور وطابورين من عساكر الزواف وطابور من العسكر
الخفيف وفرقة من الخيالة وثلاث فرق مدفعية فكانوا في الجملة ستة الاف
جندي يزداد عليهم نحو الاربعمائة من عساكر العسة المصونة

وكان التختوان منمقا مزر كشا ومزدانا بالاعلام والابسطة الحريرية
والرياش الفاخرة على اجمل شكل يخطر بالبال وكان الى يسار التختوان نحو
الالف رجل من مشايخ وتقباء وشواش وسقايمت واخوان ومريدي الطرق
القادرية والشاذلية واليساوية والتجانية والرحمانية وغيرها وبين ايديهم
مباخرهم ورشاشاتهم



جموع المريدين ووفود الدا كرين من اهل الطرق الربانية

وسناجق زواياهم وطبولهم ونفراهم وبقية الالات الخاصة بهم فكان

لمجموعهم منظر في بابه غريب وقد تجمع خدوهم خلائق لا تحصى من



السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة

ووقف فيما يلي جموع الاهالي اعيان الجزائريين والوهرانيين والمزابيين والاسرائيليين واذاك وقع افتتاح الموكب بتقليد فخامة الرئيس عدة اوسمة من درجات مختلفة لضباط الجيش الفرنسي على رؤس الاشهاد وكان فخامته يقبل كل ضابط ممتاز ويهنيه على اثر ذلك بالوسام الذي استحقه ثم وقع الشروع في الاستعراض فمر في طليعة القوم وفود الحاضرة يتقدمهم شيخ المدينة واعقبهم في المرور عامل الاحواز يتبعه وفود عمله ثم جموع طرق الدكر يتقدمهم الشريف السيد محمد البشير شيخ مشايخ الطريقة الرحمانية ثم جموع الطوائف الجزائرية ثم اعيان الطائفة الاسرائيلية وكان كلما مر وفد بتختوان الشرف هتف رجاله بالدعاء لفخامة الرئيس وللحضرة العلية

وكان جناب الرئيس مظهرا في تلك الآونة مزيد انشراحه لما قام به
اولئك الوفود من شعائر الولاء والاحترام ومما زاد انشراحا حضور جموع
الطرق على الهيئة وبالنظام والالات الخاصة بهم التي تقدمت الاشارة اليها
وفي تلك الاثناء قدم من الحاضرة باجنحة الطير على طريق الجو
مسيوبوفي راكبا طيارته ومابحا على صفحات الفضاء الاوسع فحل
وسط سماء المضمار وجعل يصعد وينزل حتى يكاد يمس الارض ثم يفر
الى علو شاهق طائرا من هنا وهناك وطائفا على سطح الجو حول تلك
الخلايق التي اعجبت جميعا بجسارته ومن اجسر ايسر

وعلى الساعة العاشرة ونصف اخذ الجنرال يستور في استعراض جيوشه
فكان هذا البطل المشهور راكبا لفرس كميت من الصافنات الجياد فمر
امام التختوان حيث ادى السلام بسيفه للمقامين العظميين ثم مرت عساكر
الزواف فالتريس فالتريور وكانت الموسيقى العسكرية تشف اذالك الاسماع
ثم مرت عساكر السعة المصونة يتقدمها انفار الموسيقى الملكية ويتلوها
عساكر الطبجية التونسية وختم الاستعراض العسكري بمرور الخيالة حيث
حملوا في سيرهم حملة الفرسان الشجعان وكان الموكب بالغا حدلا من البهجة
والجمال لصفاء الجو واعتدال الربيع وكانت ارياح الفخار تحمل من بعيد
روايح الزهور والرياحين من البساتين الواقعة على مقربة من مضمار السباق
ولوايح البشربادية على وجه الحاضرين حتى ان الحضرة العلية لم تتمالك
عن التصريح باعجابها لبهجة ذلك الاستعراض ولمهارة الجسور ابي جناح
بوفي الذي راق طيرة واخذلا وردلا في الهواء باعين كل الحاضرين

هنا وقد وجه فخامة الرئيس في نهاية الاستعراض مكتوبا للجنرال
 بستور في الشاء على الجيش الذي استعرض امامه ونصه
 فارريقي العزيز

ان الاستعراض البهيج الذي حضرته الآن مع الحضرة العلية سيبقى
 ذكرا منقوشا بذهني ذلك ان بهاء طلعة العساكر التي قامت به، وصراحت
 استعدادهم دليل على صفاتهم الحربية السامية فلا غرو ان جاءوا على قدم
 ضباطهم المختارين والمتامرين عليهم وعلى اهبة متواصلة للقيام بالواجب
 والدفاع عن الراية التي تظلمهم وعليه فالمرغوب منكم ان تبلغوهم تهنئاتي
 الفايقة وان تقبلوا اتم يا فارريقي العزيز شعائر عواطفي النبيلة
 الامضاء - فليار



فخامة الرئيس والحضرة العلية

خارجان من استعراض الوفود بميدان القصر السعيد

ثم انفصل الموكب وعاد الركاب الرئيسي الملوكي في ابتهه قاصدا تونس
ولدى مروره بقصر باردو رجعت الحضرة العلية ووزرائها وحاشيتها للسرايا
الملكية بعد ان تصافحت مصافحة الكرام مع جناب الرئيس
اما ركاب فخامته فقد عاد للسفارة الفرنسية مخترقا للصفوف بين
هتاف الالوف



سراية السفارة العامة الفرنسية بتونس

واعقب ذلك رجوع الخلائق الذين حشدوا بالمضمار للفرجة والاستعراض
فعادوا للحاضرة ولاحوازها على طريق السكة الحديد حيث رتبت لهم
شركة بونالملة ارتالاسارت على التوالي لارجاعهم لتونس ومن هذا الارتال
ما كان الركوب فيها مجانا وخاصة بالوفود الاهلية وجموع الطرق والمريدين
وعند زوال ذلك اليوم اعد فخامة رئيس الجمهورية مادبة كبرى
بقصر السفارة الفرنسية اكراما لسمو الحضرة العلية حضرها بالاستدعاء
كافة الوزراء والدوات والاعيان فجلس بصدارة المائدة من احدى جهتيها

فخامة الرئيس وقابله بصدارة الجهة الأخرى سمو الحضرة الملكية وجلس
الى يمين فخامة الرئيس

جناب الجنرال بوقائد الاسطول الانكليزي

جناب مسيو كوشري الوزير السابق

جناب الجنرال يستور قائد جيش الاحتلال

جناب البرنس سيدي المنصف باي

جناب مسيوروا الوزير المفوض والكاتب العام للعدلية

جناب مسيو انيوناكيس قنصل اليونان

جناب مسيو دييورت كاهية السفارة الفرنسية

جناب مسيو مولورئيس البعثة المالية

جناب مسيو دلا فاج مدير الاشغال العامة

جناب الكولنيل سولي

القبطان البحري ريكل

السيد محمد الفوراتي كاتب القسم الاهلي من مجلس الشورى

القبطان البحري موتيز

مسيو دوفو العضو بمجلس الشورى

اليتان دوفان فولدين من ضباط البحر

الكولنيل هيلو من رجال الحاشية الرئيسية

القبطان جوان معين المقيم العام

القبطان اركس

مسيو دلكاسي نجل وزير البحر

- مسيو اندري فليار نجل فخامة رئيس الجمهورية
 وجلس الى يسار فخامة الرئيس
 جناب مسيو دلكاسي وزير البحر
 جناب مسيو الابتيت الوزير المقيم العام
 جناب القبطان مركيس كمندان الدارعة الاسبنيولية
 جناب مسيو رمندو باش كاتب قصر الرئاسة
 جناب سيدي الطيب الجلولي وزير القلم
 جناب الجنرال تروملت من امراء جيش الاحتلال
 جناب الكونت لوكوليتي
 جناب مسيو دوماس رئيس المحكمة الفرنسية بتونس
 جناب الكونيل ريفرتيكات
 جناب مسيو برات مدير البوسطة والتلغراف
 جناب الكونيل توبان
 جناب مسيو لوجون مدير الفلاحة والتجارة
 جناب مسيو كرانصي كاهية ادارة المال
 القبطان البحري فان لوجي
 جناب مسيو دوجان الكاتب الثاني بالسفارة
 جناب السيد احمد السني صاحب الطابع
 جناب الفريق فلنسي مدير التشريعات
 جناب السيد عزوز بن عيسى امير لواء العسمة المصونة
 جناب السيد مصطفى دنقزلي عامل الاحواز

الملازم البحري معين قائد الاسطول الفرنساوي بالبحر المتوسط

مسيو ثيولو

اما الحضرة العلية فجلس عن يمينها

جناب مسيو بامس وزير الفلاحة

جناب الاميرال بيلو قائد اسطول فرنسا بالبحر المتوسط

جناب مسيو بوتزيني قنصل جنرال ايطاليا

جناب مسيو بيركلي قنصل جنرال انكلتيرة

جناب مسيو ماسياس قنصل جنرال اسبانيا

جناب الاميرال كاشار

جناب القبطان البحري هوار من ضباط الاسطول الانكليزي

جناب مسيو تريلات مدير شركة بون قائم

جناب مسيو مولا مدير التشريعات الرئيسية

جناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف

مسيو فاتيل

مسيو بروست كاهية المجلس البلدي

مسيو فيسي كاهية وكيل الجمهورية

مسيو بونيون

مسيو ريفيل

الضباط البحري ثاني معيني الاميرال الانكليزي

مسيو مارك فارين رئيس ديوان الكتابة الخاصة بقصر الرئاسة

القبطان بوا معين المقيم العام

وجلس عن يسار سموها

جناب مسيو شومي الكاهية الوزير بالوسطة والتغراف

جناب الجنرال بايو قائد الفيلق التاسع عشر بالجزائر

جناب الجنرال شايبي من امرا جيش الاحتلال

جناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر

جناب الاميرال لوكونف قائد اسطول بنزرت

جناب مسيو فان شر بنزل تيم

جناب مسيو مورو

جناب مسيو مونس نجل رئيس الوزارة بفرنسا

جناب الكونت فون هردنبرغ قنصل جنرال المانيا

جناب مسيو سيرى كاتب مجلس الشورى

جناب الكولنيل دلا بويار

جناب مسيو بلان الكاتب العام

جناب مسيو بوسنيار

جناب مسيو سير المراقب المدني بتونس

جناب امير اللوا السيد الصادق غيلب شيخ المدينة

جناب مسيو سان روماس

جناب الحكيم ريكار طبيب فخامة رئيس الجمهورية

جناب الكولنيل فيز من ضباط الحاشية الرئيسية

جناب الكمندان تيسون

جناب مسيو يوباش كاتب السفارة الفرنسية

جناب مسيولاكور كيت

وكان مجلس الطعام بالغا للنهاية في الموانسة والمنادمة وموسوما بشعائر
الوداد ومظاهر السرور وكانت المائدة بدعة في الحسن والجمال مزدانة
بالرياحين وصحونها واوعيتها من تحائف معامل الخزف بسيفر ذات الشهرة
المطبقة باروبا وكان الملاعق والشوك والسكاكين من الفضة وهذه الادوات
التي هي من مستملكات رئاسة الجمهورية جلبت كلها من باريس للمبالغة
في مكارمة الحضرة العلية وبقية المعزومين للفظور وفي آخره القى المقام
الملوكي بلسان جناب وزير القلم الخطاب العظيم الاتي نصه

اني اعد نفسي اليوم سعيد الحظ بالتمكن من الاعراب لفخامتكم
عن السرور البليغ الذي دخلني والذي تشاركني فيه امتي بمناسبة اقبالنا
بهذا الارض التونسية للجناب المفخم رئيس الجمهورية الفرنسية ذلك
الرجل العظيم والموقر الذي يمثل بافخر اسلوب الامة النبيلة الحامية

هدا وقد ارادت فخامتكم ان تقيم بهذا القطر شاهدا لانزاع فيها على
العناية التي ما برحت الدولة الفرنسية منذ ثلاثين سنة تبديها نحو هدا
الديار وتعضد بها سيرها في سبيل الرقي والمدنية

وان جنابكم الذي سيتجول باطراف هدا الايالة وسيتقدم في رحلته
لجهاتها القاصية الواقعة على ابواب الصحرا سيمكنه اثناء حلول فخامتكم
بين اظهر الاقوام التونسية المتعلقين بارضهم والمتحدين في حب وطنهم بالرغم
عن اختلاف عناصرهم مشاهدة التقدم العظيم الذي حصل بعد انتصاب
الحماية الفرنسية

وان فرانسوا التي لم يسمح راياها السيد وخبرتها الكبيرة بمعاكسة نهوض الامة المحمية قد اخذت على نفسها توسيع نطاق قوتها الاقتصادية والعقلية بواسطة اجراءات تدريجية لاصلاحيات وضعت بعد تأمل دقيق وقد كانت الغاية المحمودة الناتجة عن ذلك المسلك الرشيد اوضح شاهد على ان تلك الجهودات وذلك الثاني كانت مكللة بالنجاح الباهر

وان بيتنا الحسيني يرى من الشرف مشاركته بالقلب في هذا المشروع العظيم

اما انا فيروق لي ان امنح مساعدتي بدون استثناء لعمدة الدولة الجمهورية الذي هو محل اعزازي واتهز هذه الفرصة الثمينة لنكرر مباشرة لفخامة رئيس الدولة الفرنسية عهد الصداقة والاخلاص التي كنت صرحت بها لجنابكم عند جاوسي على كرسي الملك الحسيني

ولما فرغ سمو الملك المعظم من خطابه نهض جناب الوزير المقيم العام والتي ترجمته الى اللغة الفرنسية ثم قال
يا سيدي رئيس الجمهورية

اني سعيد الحظ بما لقيته على مسامعكم من ترجمة عبارات التحية والتهنئة التي خاطبتكم بها الحضرة العلية ولا شك ان شعائر الصداقة والاخلاص التي برهن عنها سموها لجديرة بامتثاني حيث كنت انا المعتمد للدولة الجمهورية لدى مقامه العالي

ان الحضرة العلية لم ترض علينا ابدا بمساعدتها التي هي ثمرة راياها المستير وان اتساع مكارمها القلبية لا يضاهاها إلا مقدار حبها في العدل والانصاف وهذه المناقب الغريزية املاها على سموها مجرد حبه للخير

ومساعدته من تلقاء نفسه على تعضيد مشروعاتنا بما عندنا من السلطة العالية
 والمطاعة لتأييد صنيع التقدمات المادية والادبية بهذا الديار التونسية
 وقد امكن بفضل تلك الاعانة الاستمرار بدون مصادمة ولكن بغير
 عجز على المشروع الطويل التديل الذي وقع القيام به في ظل الدولة
 الفرنسية تحت نظر وزرائها للخارجية ذوي الراي السديد بواسطة
 اسلافي في خطة السفارة بتونس الذين من اعظمهم قدرا آخرهم عهدا
 ذلك الذي امكبه ان يستخلص من خلال تجربته السياسية التي دامت
 ربع قرن القاعدة التي من شأنها تخويل دولة الحماية كامل سطوتها ونعومتها
 ولياقتها وكم من حسنات يمكننا اليوم ذكرها زيادة على تلك التي كان
 صرح بها في هذا الدار نفسها جناب مسيويشون الوزير المقيم كان بين
 يدي فخامة مسيولوبي رئيس الجمهورية السابق عند زيارته لتونس في
 سنة ١٩٠٣ فالمراسي البحرية اخذت حظها من التوسيع والطرقات العمومية
 والسكك الحديدية تطاول شريطها بفضل ما توقعنا له من استعمال اموالنا
 على ما يرضي مجلس الامة الفرنسي

والحق يقال ان الفضل في انجاز هذا الترقى العاجل انما هو ثمرة
 الاتحاد البالغ حداه الحاصل بين متوظفينا الذين هم من خيرة المامورين
 لان رؤساء ادارتنا ممن تغبطننا فيهم اغنى الدول ذات الطموح الكبير نحو
 المعالي ونواب المعمرين الفرنسيين بالمجالس البلدية وبالبحجرات الانتخابية
 وبمجلس الشورى بل وهذا الجمعية بسميها قد برهنوا انشاء شهر نوفمبر
 الفارط على حبهم في الاعمال النافعة ذات الخيرات الوفيرة وعلى مزيد تعلقهم

ووفاقهم وهو الامر الذي اشار له مسيو سيرى كاتب القسم الفرنسوي
بمجلان الشورى في خطابه، بينزرت ذلك الخطاب الذي تمحض
غيرة ووطنية

هدا وقد شاهدت فخامتكم بالامس قيمة المجهودات الفرنسية في حوزة
الدفاع عن الاوطان اما الجهات التي مربها ركابكم بعد مبارحته لثغر بنزرت
المنيع والجهات التي ستشرفونها بحضوركم بعد فانها تنادي بلسان آخر وبمعاني
اخرى ناطقة بتوفيق الجنس الفرنسوي وجدارته باحيا واعلاء ييارق السلام
فوق هذه الربوع الرومانية فالفرنسيون اصالحوا على التوالي كل ما افسدته يد
الهمجية في الاجيال الخالية وقد اصبحوا بفضل مثافتهم على العمل مثافنة تكاد
تكون عنادا على مقدرة من تدليل نواصي العزلة ومن التغلب على تاثير
الحوادث الجوية مع سلوكهم باهالي هدا القطر مسلكا محمودا حيث توافرت
في البلاد الخيرات وامتدت الطرقات وسهلت القطارات الحديدية على
السكان وسائل النقل والبيع والشرا بحيث ان العنصر الاهلي قد انفك قيد
سبانه واستسلامه لانه سارت فيه عدوى روح العمل فآل امره لتحسين
حاله المادية

والعمارات الزراعية الفرنسية المزدانة بالبساتين البديعة والحدائق
النضرة قد عمل المحراث في اعماق ارضها ما جعلها راموزا وحديثا لذيذا
فالمعمرون قد احيوا الارض وقطعوا الصخور وازالوا الادغال النباتية
التي سمحت ببقائها سداجة اهالي العصور القديمة لذلك اصبحوا متغلبين
على الزمان يمثلون معنى الاقتدار على بلوغ المراد ولاجله سيكون حصد
اعمالنا خصيبا طافحا بالخيرات الشاملة لكافة هدا القطر فجزا تلك

المجهودات المتولدة بفرنسا الزراعية التي اشتد ساعدها بالكد والجهد وانتظمت
احوالها بفضل التكاتف والتعاون هو ان الدولة تصرح بوجود العناية
الحثيثة تلقاء تلك المساعي الناشطة

وكما ان الكنوز المعدنية ظهرت ثمارها سريعا كذلك يلزم امداد
اراضي الزراعة بالامور الفنية الصالحة لها وفي هذا المقام فان من اوكد اعمالنا
تعضيد المصالح الخاصة بهذا الجانب على معنى توسيع نطاقها واكمال نصابه
واذا كانت المثانفة على العمل والشهامة كافيتين لاقامة الادلة فان لنا
في سنيق الفرنسيين الضاريين بهذا الديار ما يعني عن البحث لايجاد
وسائط اخرى لتنشيط الهمم المتقاعسة - نعم ان درس الاشياء بالتجربة
يستدعي زمانا طويلا ولذلك يلزم مخاطبة الناس من ابناء جيلنا الحاضر
ثم الدين سيكونون رجال المستقبل بان نشرح لهم ما هي اعمالنا بهذا
القطر وما هو وجه وجودنا فيه والذي يظهر لي انه قد اتى الزمان الذي
سيمكنهم من فهم كلامنا لان مقصدنا لا يحوم حول الاستحواذ على الناس
بطرق القهر لردهم عن معتقداتهم وحملهم على التمهذب بفلسفتنا وعلى تقدير
ن تسامحنا لم يحكم علينا باحترام كل ما يمس باعمال القلوب فان لنا في
ترقياتنا العلمية ما يكفي للدلالة على بطء السير في تقلبات ادوارها ولا
شك اننا ممن يفتخر بقوته العلمية ولا يرضى إلا السير على قواعدنا وحينئذ
فلا نبتغي من العنصر الاهلي إلا مجرد اعتناقه لمذهب الاقتصاد لان المزاحمة
الاروباوية التي تنشأ عنها خيرات كثيرة هي ايضا ذات اخطار لا تنكر
فاليد العاملة والالات الاروباوية ربما تنذر المتقاعسين والمتقاعدين عن

السير في سبيلها باخراجهم عن جادة الحضارة واذاك يفوتهم ادراك القافل، ولبس مرادنا ان تكون دية الترقيات العامة هي رجوع الضعيف بالخيبة لان السياسة التي ترمي لمصادرة العنصر الاهلي قد انطوت ايامها وعلى تقدير ان البعض لم يزل عاملا بها فان تلك احلام زمان مضى واسلوب اتقضى لاجرم انه ليس مقصودنا تاسيس السيادة الفرنسية فيما وراء البحور بالحروب الصليبية وبامتلاك الرقاب لان فرنسا الجمهورية باعتمادها على سطوتها وعلى حقوقها تآبى الضغط والحقد على الناس ولا تسمح لاعوانها الموثمين على سلطتها بان ينسوا ما على الامه الحامية من الوجبات

وليس لفرنسا الجمهورية ساحة افسح مما لها من النشاط والعناية بالتربية الاقتصادية فلذلك نفتخر اليوم يا فخامة الرئيس بعرض مقدمات عملنا على نظركم السديد

سلكنا بالتعليم مسلك محاذاة ضروريات الحياة فجعنا مشروعنا رابعا للمدرسة بالحياة ارتباط الحياة بالمدرسة كما اسسنا دراسة الصنائع والفلاحة بمشاركة جميع القوات الحية في هذه البلاد فذلك هو مقدمة اعمالنا يا حضرة الرئيس الفخيم

وسنسير على خطة مساعدة العنصر الاهلي واقناعه واعانته على مقاومة الاخطار المبيدة التي هي عثرة في سبيله فاطبانا واعواننا للصحة ومستشفياتنا التي يديرها متوظفون فرنساويون انقطعوا بصفة عجيبة لخدمة الانسانية

اصبحوا من الد الخصوم للامراض الفاتكة بالضعفاء والمساكين وجميعياتنا
الاحتياطية والتعاونية اصبحت بيد العنصر المذكور كسلاح للمقاومة والفرار
من اثنين مرعبتين قديمتين وهما الربا والجوع

وقد نتج عن هذا المسلك صيرورة المشاركة في العمل منهجا سياسيا
بعد ان كانت حبرا على ورق وصار اسلوبها قاعدة اديبة لانخشي معها
شيئا وباعثا على احتقار السخريات

وعندنا في هذا المقام شاهد عدل وهو البرهان الساطع الذي جاءت
به الحضرة العلية عند اجتماع العساكر الفرنسية والتونسية في صعيد
واحد واقتتلهم كتفا لكتف بالمغرب الاقصى في سبيل المدينة تحت العلم
المثلث ولا شك ان صنيعهم قد افصح على شيء دونه الطاعة ودونه الشجاعة
التي شربوا لبنها من ثدي واحد اذ هو يرمز لما لنا من حسن الاستقبال في
ارض فرنسا الافريقية

واني التمس من فخا متكم ياسيدي الرئيس ان تاذنوا لي عند ختم
خطابي هذا بان اعرب لجنابكم عما للمملكة التونسية من الامتنان اليكم
لما تحفظتم لها من الذكري المزدوجة بالعبارة من حين زيارتكم القصيرة
التي شرفتم بها الحاضرة لثمان سنوات افارطة

وان القطر التونسي عبارة عن مملكة صغيرة جدا واغاب سكانها
قرا لذلك كانت مظاهر اقبالهم لفخامتكم مقرونة بالاحترام فجنابكم
لا يرى في رحلته هذا فخامة العواصم الاروباوية الا انه لما كانت هذه

الديار في ننف حماية الدولة الفرنسية التي يمثل جنابكم امتها قاطبة كما
يمثل علو كعبها واتصارها للضعيف ووثوقها بسلامة المستقبل الانساني قد
مهدت فخامتكم المصاعب والمتاعب من كل نوع وجئتم الينا لزيارة هذه
البلاد والارتحال حتى الى الجهات التي لم تثر نصيبها من المدينة لتقول
لساكنيها في هذا الوقت الذي تم فيه سير الارتال الحديدية باهم اصقاعها
ان الدكاء العلمي الفرنسي لا ينفك ساهرا على مصالحها اما القطر التونسي
فسيكون مفتخرا بالتشريك بين اسم جنابكم واسم طيب الذكر (جول فري)
ورسهما معا في جبين واجهة احدى مدارسنا الكبرى التي حكم نجاحها
العاجل بانقسامها لمدرستين

وان المملكة التونسية تتحد معي بشراشر قلبها في هذا الوقت الذي
حانت فيه نوبتي لرفع كاسي نيابة عن المعمرين الفرنسيين شاربا بكل
احترام على سلامة فخامة رئيس الجمهورية

وعند ختام هذا الخطاب الانيق قام فخامة رئيس الجمهورية ونطق
بالخطاب العظيم الاتي نصه

انه ليروق لي جدا ان اتشكر لحضرتكم العلية عن العبارات التي
خاطبتموني بها وان الدولة الجمهورية تقبل بارتياح شعائر الصداقة
والمودة التي افصحتم عنها كميثاق جديد وعزيز يبرهن عن الامان العظيم
الرسوخ الذي يجمع البيت الحسيني السني والامة التونسية بالامة الحامية
الفرنسية

هذا وقد ترجم سموكم عما له من الاعتبار نحو المشروع العظيم الذي
قامت به فرنسا ولذلك فان الدولة الجمهورية بما لها من الشعور والرغبة

في القيام بما عليها من الحقوق نحو هذا القطر الذي سلكت به سبيل الرقي والمدنية قد قدمت لصاحب المملكة التونسية في هذا الثلاثين سنة عربون الاخلاص الذي لا تنحل عرالا وبرهنت عن حسن نيتها وصلوحية حمايتها فالمملكة التونسية قد اصبحت سائرة تحت كنف الدولة الفرنسية في سبيل التقدم المتوافر الخيرات وسعيدة بفضائل آلاء العلم والعدل التي وقع بثها في ارجاء البلاد قاصيها ودانيها

ولاشك ان تلك النتائج الباهرة والجازمة هي ثمرة المساعدة الكاملة التي منحها سموكم وسلفه المقدس لعمدة الدولة الفرنسية بتونس وان اهتمام حضرتكم بمساعدة رعاياكم التي ملكتم قلوبهم بالاحسان يمكن سموكم من الاعتماد على مساعدة الامة الحامية للاستمرار على السير بالاقوام التونسية في مدارج الاصلاح والتحسين

سادتي - ليس لنا بعد مرور ثلاثين سنة على مشروع الحماية الذي انتم امثل واخلص الناس اليه ان نقيم الدليل على لياقة اسلوبه وعلى فوائد تأثيره انما المراد ان نوكد على كل حال بان السياسة الجلية والصريحة التي فتحت فرنسا بابها في تونس لم يحم حولها تغيير قط وانها لجديرة بان تفتخر بهذا الرسوخ الموافق لمبادئها ومقاصدها

انا لم نجى لهذلا البلاد لاجلا امة اجنبية احتلت من القديم ارضا خدت دورها من العظمة والانحطاط او لحمل اهلها على التمدد غير عقائدهم فقد راي الناس ان مشروعنا مبنلا ليس السيف وانما مبنلا السلام لذلك كنا نجهد اليوم في توزيع المنافع بطريقة عادلة بين جميع الناس

وفي توفير نصيب من خيرات المدينة للاقوام التي لم تدركها قبل اولم
توفر لديها عواملها وان هي اصبحت اليوم مشاربه لتلقف ثمارها
فمن ذا الذي ينكر الان ما حصل من احياء الارض الموات وجعلها
صالحة للانمار ومن اقامة الالات المتقنة للحرث مقام آلات اخنى عليها
الدهر ومن تعويض المزارع الرحال بالمزارع القار الذي يسهر على سلامة
مزارعه بعين الحارس الغيور على كنوزه ومن مد طرق المواصلات لكل
جهة ومن نصب سكك الحديد للجمع بين تلك الجهات ولتنمية علاقتها مع
بعضها ومن فتح المراسي للتجارة مع الامم الاخرى واستدرا الاموال بالبيع
والشراء معها ومن ذا الذي ينكر ايضا ان من البحر الى تخوم الصحرا قد
اصبحت البلاد تزخر بالخيور كالبحور بعد ان كان الفقر حليفها والجوع اليقها
مدة قرون متعاقبة

ان هذا المشروع الذي سيخلد في بطن التاريخ اسم طيب الذكر
جول فري لجدير بتحريك شاهية امة عظمتي ولقد قامت به فرنسا بشجاعة
عظيمة كما سلكت به مسلك التبصر والثبات واستعانته عليه بحكمتها
وتوكيل الامور لاوقاتها لانها بدون الاتكالي على الزمان لا يتم شي
متين ومستديم

فرنسا والحالة هذا انها امان في قوتها هذا العبرة وفي سلطان الحق
مما يحماها على الاستمرار في السير بالناس نحو مدارك العرفان سيرا تقدر
الاجيال القابلة منافع العميمة

ومن الوهم ان يظن ان مجرد حكم اداري او قرار ترتيبى تحصل به المساواة بين الناس ولكن لما كان تفاوتهم في الدرجات بحكم الاقدار فعلى اهل المنازل العالية ان يتعطفوا نحو اهل الطبقات التي دونهم وان يمدوا لهم يد المساعدة ليكون ترفعهم عليهم مبنيا على مجرد الاحسان الذي ينجر منهم لتلك الطبقات وفي هذا المقام يازم ان يكون مجهودنا منصرفا دائما نحو تقريب العنصر الاهلي من عنصر الاستعمار

فالاهلي كان وبقي محل عنايتنا على الدوام ومن الواجب في كل حال ان لا يفشل احد في استعمال الشدة نحو كنجوبة الناس لحماهم على الخضوع للقوانين والطاعة للحكومة ولكن هناك امرين لا يجوز نسيانهما تالقا الخضوع الاختياري وهما الرفق الجالب للنفس والعدل الجالب للامان عند ما يدوق المرء لذته او يشاهد شعشة نورا

فهذا هو مسلك ادارة الحماية التي هي على بينة من خطتها ومن واجباتها في مشروع مدينتها بهذا القطر وهذا هو رأي اعوانها من ارفعهم شاننا لاقلمهم مقاما حيشما كانوا بخطة دولية بل وهذا هو الذي يحكم به على كل من يجسد عن الطريق السوي ذلك الرجل العظيم اندي بيده زمام الحماية ومقاليد الامر والمحرز على كامل ثقة دولة الجمهورية وهو نفس مفهوم مجلس الشوري على ما حققه لي امس بينزرت احد كتبها في خطاب بليغ ولا شك ان هذا المجلس المختار حيث ملتي اهل المدارك والاراء المتولفة مع اهل الخبرة والمواهب الصالحة لا يعبا بالمتاعب في خدمة البلاد

لان استقلالته واخلاصه في مصلحة المجموع يعطيان لارايه ولرغائبه قوة
 لامحيد عن اعتبارها في ميزان المصالح العالية التي تهم البلاد والعباد فللكافة
 الذين شاركوا في المشروع العظيم الذي نحن بصدد اهدي ثناء وهناء
 دولة الجمهورية كما اهديهما للمعمرين الفرنسيين والتونسيين والاجانب
 من كل الطبقات الاجتماعية لان نشاطهم ومشاربتهم على العمل بالرغم عن
 المصاعب المتنوعة التي يلاقونها هما راس الثروة ولان المواطنين التي نبديها
 لهم تحرك فينا داعية الافتخار بالحمية الجنسية حيث نشاهد مساعدتهم على
 تدعيم هيكل الحماية في ظل الراية الفرنسية ذلك الامر الذي ينادي
 بتعظيم شانهم في مستقبل الازمان

وان ايتلاف العنصرين الفرنسيين والتونسيين بهذه الارض التي
 تجددت بهجتها امام انظارنا في هذه الثلاثين سنة لم يكن بالعقيم تلقاء
 غيرتنا الوطنية التي يحق لها ان تشرح لتعارف الجيلين على صعيد واحد
 في مدارسنا حيث تعلموا التعاضد وعقدوا عليه الخناصر ويا للفرح يوم راينا
 نحن تسابق ابناء تونس من كل الاجناس والعناصر لمزاحمة عساكرنا في ميدان
 الشجاعة والنزال بالمغرب الاقصى يقاتلون معهم ككتف لكتف في مواطن
 كان الشرف حليفها

وفي الختام ارفع كاسي شاربا على سعادة المملكتة التونسية وممازجا
 الدعاء بالخير للمعمرين وللاهابي جميعا وداعيا بالعز للحماية وبنجاح مستقبلها
 وبختم هذا الخطاب العظيم صدحت المويستقى بالنشيد الفرنسي

ثم بالسلام الملوكي ثم بعد ان دارت فناجين القهوة والمرطبات على الحاضرين
انفصل الموكب فتوادم فخامة الرئيس والحضرة العلية وعاد الركاب الملوكي
لسراية القصباء



موكب الحضرة العلية بشوارع تونس

واما فخامة الرئيس فقد ركب مع وزرائه وبعض حاشيته عربات سيارة
 وخرج بصفة غير رسمية على الساعة الثالثة لزيارة المناظر والمواقع الجميلة
 بجهات قرطجنة وجبل المنار والمرسى فحل ركابها اولاً بقرطجنة حيث زار
 متحف كنيسة سان لويس وكان في استقباله هنالك الرهبان من طغمة الاباء
 البيض يتقدمهم كبير الدير دلاتر وهو من علماء الارخيلوخيا اي طبقات
 الارض ووكيل المتحف المذكور فكان بالطبع دليل فخامته في تلك الزيارة
 التي شاهد اثناءها تلك الكنوز الثرية المستخرجة من بطون ارض قرطجنة
 نفسها بفضل المثافة والحزم والثبات الذي ابداه اولئك الاباء البيض من
 حين تاسيس طغمتهم بعناية الكردينال لافيغري الى هذا اليوم فاستفاد
 فخامة الزائر الكريم من مجموعة تلك الاثار التي امكن بواسطتها ضبط
 سائر اطوار المدينيات التي اجتازتها مدينة قرطجنة حول العصور

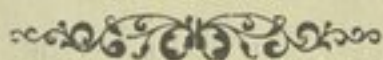
ومعلوم ان قرطجنة بنيت على عهد الرومان ودمرت اولاً قبل الاسلام
 ثم ثانياً عند الفتح العربي وبقيت على حالة الخراب نحو اثني عشر قرناً
 ثم اقامت فرنسا فوق اطلالها كنيسة على عهد المرحوم حسين باي احياء
 لتذكر الملك سان لويس الذي جاء لغزو تونس على عهد الدولة الحفصية
 اي قبل عصرنا هذا باكثر من ٦٥٠ سنة

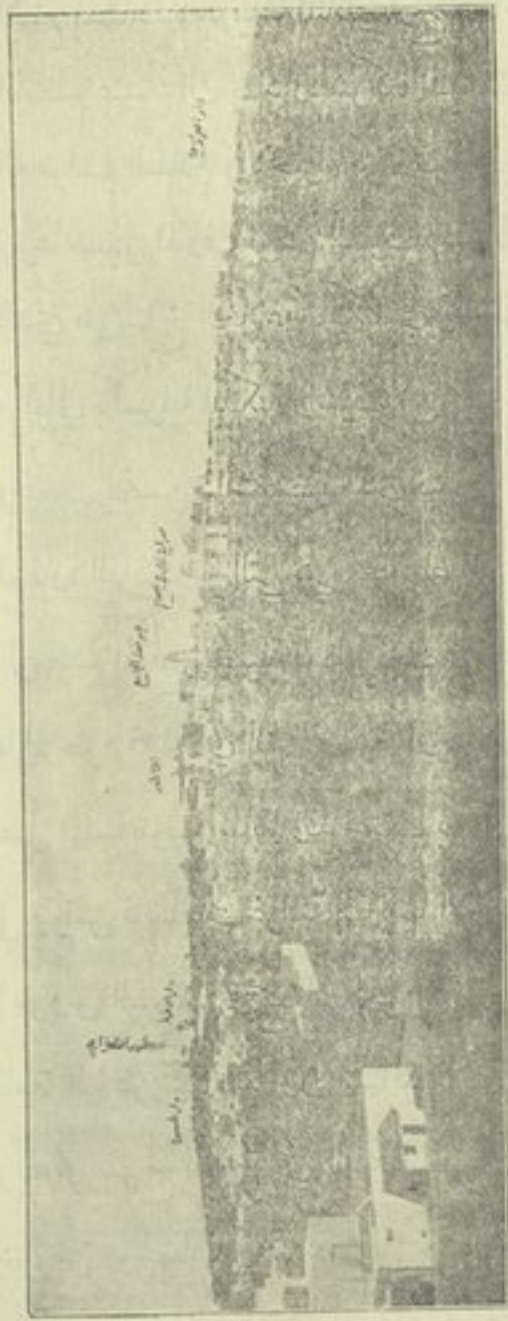
واخيراً احيها الوزير مصطفى خزندار اواسط القرن الفايث اذ اقام
 بها مركزاً للاصطيفاف وازدادت شهرتها واتسعت عمارتها بعد الحماية باقامة
 المباني الجميلة والمنتزهات والبساتين النضرة التي منها دوار الشط وصلنبح
 ودرمش وسانت مونيك الخ

هذا وبعد زيارة قرطجنة توجه الركاب الرئيسى قاصدا جبل المنار
 حيث مناخ خلاعة اهل تونس فارتقى الى البلد من الطريق الجديد ونزل قرب
 سراية جناب مسيو بلان كاتب الدولة العام المظلة على شاطي كرسى الصلاح
 واذاك تحادث فخامته مع جناب الوزير المقيم عن اهمية ذلك الموقع العزيز
 النظير وسرح طرف الطرف في هاتيك المناظر الجميلة وكانت البلدة عندئذ
 لابسة ثوب الافراح ومجلسها البلدي وقاضيه الشرعى وشيخ زاويتها على
 قدم وساق احتفالا بالزائر الكريم والرئيس الفخيم وفيما كان فخامته قادما
 اليها مرتحت انظاره بالطريق جم غفير من جموع طرق الذكر والمريدين
 يتقدمهم شيخ شيوخ الطريقة الرحمانية

اما جبل المنار فهو لما قدمنا مناخ خلاعة اهل تونس واقدم مراكز
 الاصطياف نشا اثناء المائة السابعة وموقعه وحيد في بابه سمعنا من السواحين
 الثقات الذين طافوا بلاد البحر المتوسط في الطول والعرض ان جمال موقعه
 لم تر العينان قط نظيرا لبلاد اخرى فهو حيثئذ الفاضل وما سوا المفضول
 والى حسن منارته يشير الاستاذ الاكبر شيخ شيوخنا مولانا الشيخ سالم
 بوخاجب بارك الله في انفاسه

وبالناظور اشعار بجود لان به مقام ابى سعيد





منظر من بلد جبل المنار بأحوال تونس

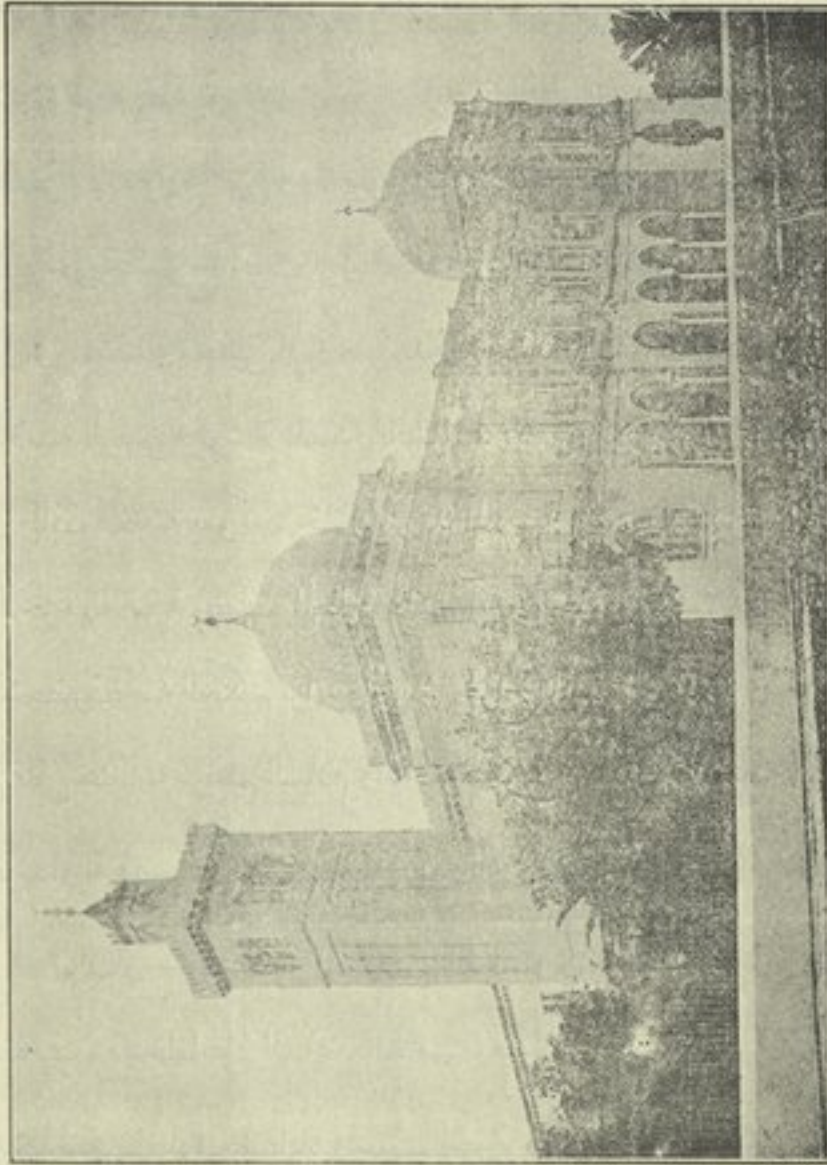
ثم بعد التمتع بمشاهدة هاتيك المناظر بارح فخامة الرئيس جبل المنار
وقصد المرسى فانتظم عندئذ انك بادارة شركة السكة الكهربية موكب
جميل تلقى اثنائه مراسم السلام والاحترام من متوظفي الشركة ثم انعم
فخامته على مديرها مسيو بلدوف بوسام الشرف وعاد للتفسيح في اجراء هذا
البلد الجميل الذي هو مناخ الخلاعة الملكية في القديم وفي الحديث وبعد
ان اجتاز ركابه العالي بالسرايا الملكية واشرف من جهة قهوة الصفصاف على
ساحل البحر واعجب بحسن ذلك المنظر الذي انشرح له اي انشراح قصد
ركابه سراية السفارة الفرنسية التي هي محل اصطيف جناب المقيم العام
وهذا السرايا الوحيدة الموقع الجميلة المنظر كانت في الاصل من السرايات
الملكية فاهداها المرحوم محمد باي للدولة الفرنسية اكراما لحبيبه مسيو
ليون روش قنصل فرنسا بتونس سابقا وقد اعتنت بها دولة الحماية على عهد
وزارة مسيو ملي بتونس فاصلحت غرامة بساينها الانيقة وحسنت عمارتها
لدرجة جعلتها عروس البساتين ومجمع الرياحين
وكان فخامة الرئيس عند مروره ببساتين المكان يستنشق رائحة
الزهر وهواء الربيع ويسرح الطرف في تلك المناظر البديعة - قال الشيخ
الباجي المسعودي من موشحة له

يا شاطبي المرسى السلا م عليك يا نزهة العيون

هذا وبعد ان زار فخامته قصر السفارة بالمرسى وتناول قهوة الاكرام
من يد جناب الوزير المقيم وزوجته الكريمة ركب رجال الموكب سياراتهم

وعاد فخامته وابعاهم قاصدين حاضرة تونس فمر ركابه في طريقه بجهات سيدي داود فطريق سيدي فرج فالعويينة فطريق تونس الموصل لباب الخضراء فالشوارع التي وراء سور الحاضرة فبطحاء باب ابي سعدون فباب حومة العروج حيث نزل فخامته ودخل المستشفى الفرنسي حيث كان في استقباله مجلس ادارته يتقدمهم جناب السكاتب العام مسيو بلان بملاسه الرسمية موشح الصدر بالشريط الاكبر من نيشان الافتخار وبعد ان طاف فخامته بموكبه خلال مرافد المارستان فيبت العمليات الجراحية فالاجزخانة فبقية جهات المحل وكانت آية في حسن التنسيق وجمال المنظر استحضر فخامته الحكيم برا كهواي باش جراح بالمستشفى وقلده وسام الشرف ثم تلقى هنالك مراسم السلام والاحترام من مجلس الجمعية الخيرية الفرنسية وانعم على رئيسها مسيو كورتلان بالوسام المذكور

ثم بارح موكبه المستشفى الفرنسي وقرصد فخامته المدرسة الصادقية فدخلها على الساعة الخامسة مساء وكانت المدرسة قد اخذت اهبتها لتلقي زيارة جنابه ولبست اجمل حلة فكانت شرافات بهوها الكبير وارقتها مزينة افخر زينة تاخذ بمجامع القلوب وكان مدير المدرسة ومعلموها على قدم وساق وتلاميذها قد اخذوا موافقهم بكل انتظام فكان لمجموعهم بيزتهم العربية المتزجة بجمال الطلعة وطلاقة الوجه بدون تكلف منظر يستحسنه كل ذي ذوق سليم



المدرسة الصادقية

ومن المعلوم ان المدرسة الصادقية احدثها الوزير الخطير خير الدين التونسي سنة ١٢٩٢ وخصص في البدء لاتصافها قشلة الزنايدية وهي بناية لم يكن القصد من تاسيسها لتكون مدرسة عمومية سيما وانها واقعة في قلب احدى العارات الكثيرة العمران زيادة على تضاييقها بالنسبة لعدد ساكنيها من

التلاميذ فكانت عرضة بمجموع الآراء للاخطار من كل نوع لذلك رأت
دولة الحماية ان تبني المدرسة الصادقية لنفسها مقرا من مال اوقافها الذي
عمرت به خزينتها فشيدت لذلك بنايتها الحالية واتصبت بها سنة ١٣١٥
والحق يقال ان هذا البناء من احسن البنايات العمومية بل هي اجمل
بناء تراها عين الناقد الخبير بالعاصمة التونسية

فلما دخل فخامة الرئيس لهو المدرسة الكبير المشرف على بستانها
الانيق اعجب بحسن شكلها وجمال موقعها لانها جاءت موضوعة في صعيد
واحد مع قصباء تونس فهي مطلة على جميع الحاضرة واطرافها يتخللها
الهواء النقي في كل صباح وعشي ولدى حلول فخامته بالمدرسة استقبله
كل من جناب الوزير المفوض مسيوروا الكاتب العام للامور العدلية
وجناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف فقدم له جناب مدير العلوم
متوظفي المدرسة مبتدئا بمديرها المستعرب الاستاذ الكبير مسيو دلماس
فصافحه فخامته مصافحة الكرام ثم تعرف فخامته بالشيخ محمد بن شعبان
امام المدرسة وحيلا وبش في وجهه ثم صافح الاستاذ الشيخ الطاهر بن
عاشور فالاستاذ الشيخ حسين بن الخوجه فالاستاذ الشيخ الصادق بن
القاضي فبقية الاساتذة فالمعلمين فوكيل الوقف فالعدول فالمامورين
باقلام الخدمة ثم تقدم الموكب نحو صفوف التلاميذ فاعجب فخامته
بانظامهم وبيزتهم التونسية واذاك تقدم احد نجبائهم وهو التلميذ
سي صالح مزالي المنستيري والقي على مسامعه الخطاب الاتي باللسان
الفرنساوي الفصيح



التلميذ سي صالح مزالي يخطب بين يدي رئيس الجمهورية
يا سيدي رئيس الجمهورية

انه بالنيابة عن تلاميذ المدرسة الصادقية اشرف جدا بتقديم سلامنا
واحترامنا وبتهنئتك بالقدوم المبارك - هذا وان حضوركم بيننا تطاولت به
اغناقنا واكسبنا فخرا ولا شك ان زيارتكم هتلا تدل على ما لفرنسا
العظيمة من العناية بهذا القطر الذي احبته بمساعدتها ولكن من واجبنا
بالخصوص يا سيدي الرئيس ان نشكر اليكم عن تشريفكم لمدرستنا لان
زيارتكم الينا فيها برهان نفيس على ما لفخامتكم من العناية بالناشئة التونسية
وباعث على تنشيط هممنا للاقبال بجزم وعزم على التعلم والشرب من منهل
العلوم التي اصبح موردها بكرمكم طافحا لدينا

ولا شك ان هذا المسلك هو المنهج الوحيد لتحقيق نجاحنا وتقديمنا
لمصاف الرجال النافعين لبلادهم والجديرين بالنصائح التي تهياهم لنوال

تلك الصفات وبالناخي والتوادم مع الامة العظيمة التي اخذت بلادنا في
 كنف حمايتها وهو كنف يوسع من دخل في حملا
 هذا وانا نتقدم بعبارات الشكر والامتنان للدولة الفرنسية ولذاتكم
 الشريفة ولنتمس من فخامتكم في هذا اليوم المشهود ان تتكرموا بقبول هذه
 الباقة من الزهور اكراما واحتراما واعزازا من تلامذة المدرسة الصادقية اه
 واذاك تقدم النقيب التلميذ سي اسكندر حيدر حفيد المرحوم
 سيدي محمد الهادي باي ودفع لفخامة الرئيس تلك الباقة الجميلة المشار
 اليها في خطاب رفيقه فاخذها الرئيس وعلائم البشر بادية على محيلا وافصح
 للتلميذ الخطيب ولبقية التلاميذ عما يتمنى لهم من الخير والسعادة وحتم
 جميعا على التعلم والقراءة وعلى مزاولته اللغة الفرنسية بكل جد واجتهاد
 ثم قال فخامته « انا جئنا هذه الارض لنغرس محبتنا في قلوب اهاليها - اما
 انا فسا بقى متحفظا على ودكم ولا انساكم بعد اليوم ورجائي انكم تقابلون
 ذلك المثل فتجعلون نصب اعينكم حب فرنسا التي تحبكم كثيرا والتي ساصدع
 فيها عند الرجوع اليها بما شاهدت هنا من الادلة الناطقة بسلامة الاستقبال »
 ثم ان فخامته تقدم لصف رفقاء الشبان ابناء الامراء الحسينيين وكانوا
 نحو العشرة وقصد بالخطاب البرنس الاسعد الانجب سيدي محمد باي رابع
 انجال الحضرة العلية البالغ سنه للثالثه عشر من عمره فحشا على الاقبال
 على العلم وهنالا وهنى بقية البرنسات المزاولين للعلوم بالمدرسة بما
 حصلوا عليه من الترقى بعناية صاحب السمو والدهم الكريم الذي قصد
 تعليمهم التدرج بهم في مدارج الكمال وبعد ان صافحهم واحدا واحدا
 واثنى على اهتمام المستعرب الكبير مدير المدرسة جناب مسيو دلماس

استحضر لديه نخبة من الاعيان كان وقع استدعائهم للحضور بتلك الحفلة
وقلدهم بيداً على رؤس الاشهاد وسام الشرف وهناهم بذلك مباشرة فاحسن
بالرتبة الثالثة ترفيعاً

للسيد محمد القروي رئيس خزانة المكاتب العامة بالدولة التونسية
والسيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة
واحسن بالرتبة الرابعة

للسيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى
والسيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة
والسيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى
والسيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط
وللمسيو فيتوسى العضو بمجلس الشورى
والسيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي
والسيد محمد الفوراتي العضو بمجلس الشورى

وكان فخامته عندما يوشح صدر كل واحد منهم بالنيشان المختص
به يلاطفه بجميل القول فمن ذلك قوله لهذا العبد صاحب هدلا الرحلة
« انك تحمل شعار العلم فلتحمل معه الآن شعار الشرف » وقوله لصاحبنا
عامل الاحواز « نرفع قدرك في مدارج الشرف لانك خليك بذلك واني
لم ازل على ذكر من الليلة الانسة التي حضرتها بدارك سنة ١٩٠٣ - اما
سهرية هدلا الليلة التي ستفتحون لها ابواب داركم فانه يحول دون مجيئي
اليها وجوب حضورى بالمادبة الملكية التي ستقيمها الحضرة العلية هذا
المساء » الى غير ذلك من العبارات والمجاملات التي اثلجت صدور الجميع



السيد محمد القروي رئيس اللجنة العامة



السيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة



السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة
هدا وقد هني بعض الادباء هولاء الاعيان بايات نصها

رئيس الخزانة القروي يهنا باوفسي اجيون دنور
وذقزلي عامنا النشيط يهني مثلما بنمو نور
وبالشفلي يهنا الشيخ عالي وزاوش ويصحب بالسرور
وكاتب قطرنا الخوجي يهنا بدا النيشان اكليل الصدور
وخير الله والفوراتي ايضا نهنيهم وفيتوسي بالكثير
وبالكيلاني نختم ذي التهاني وندعو للجميع الى النشور

وكان هدا الانعام من فخامته بتسم نياشين في مجالس واحد على نخبة
من الاهالي محل الشكر العميم لانه اقام بذلك دليلا على تقدير الدولة
لمزايا المخلصين في خدمة الحماية سواء كانوا من المامورين او من غيرهم



المسيو فيتوسي العضو بمجلس الشورى
والمحامي المشهور



السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس
الشورى وعميد النشأة التونسية



السيد الكيلاني شلبي العضو البلدي
بتونس والمعلم الفلاحي المشهور

وقبل ان يبارح فخامته المدرسة الصادقية تلقى جنابه بها مراسم السلام والاحترام من مجلس الجمعية الخلدونية واستعلم من رئيسها السيد عبد الجليل الزاوش عن كيفية نظامها وسير التعليم بها ثم اثنى على همة الفضلاء الذين اسسوا مشروعها بمساعدة الدواة الحامية وتكرم على صندوق الجمعية بالف فرنك اعانة لها على القيام بشؤونها العلمية

ثم بارح موكبه المدرسة وقصد المستشفى الصادقي ونزل فخامته من عربته على رصيف بطحاء القصباء وسار وحاشيته على القدم مخترقا لصفوف العساكر وكانت واجهة المستشفى ومحلاته مزدانة بالرايات الفرنسية والتونسية وشعار الافراح وهذا المستشفى الذي اصبح محل عناية جناب الكاتب العام للامور الادارية من تاسيسات الوزير خير الدين الان انتصابه لم يتم الا في سنة ١٢٩٦ وقد اقيم بقشلة البشامقية فدخله فخامة الرئيس مصحوبا بالكاتب العام المذكور وكان هنالك لاستقباله مجلس ادارة المستشفى يتقدمهم جناب مسيو فلوري كاهية الكتابة العامة يعضدا شيخ المدينة ورئيس جمعية الاوقاف وبقية اعضاء المجلس واذاك طاف فخامة الرئيس بمحلات المستشفى واعجب بانتظام امورها ونظافة قاعاته وتمام عدل قاعة الجراحة واستكمال نصاب عقاقيرته فائى على همة وبراعة مديره الباش حكيم برنصفيك ثم احسن له بوسام العالم من الدرجة الاولى كما احسن بمثله من الدرجة الثانية لمعاونه الحكيم حسين بوحاجب

وقبل ان يبارح المستشفى زار بيوت المرضى وسال عن معاشهم ثم زار بيت النسوة المريضات وتلطف نحو زوجية عليا اتقدها حكيم المستشفى من

الموت لتأخير اجلها فتنازل فخامته لسوالها مباشرة عن صحتها بما انطق
لسانها بالدعاء الجزيل لفخامته

واذاك قد ارخى الليل جناحه وبزغت في سماء البلاد اشعة الكهرباء التي
حلت محل اية النهار فخرج موكبه من هنالك قاصدا مدرسة جول
فيرى الانائية مارا بشارع باب منارة حيث اقام النشيط سي صالح الكشباطي
زينة فاخرة عربية امام قهوته هنالك وكان كلما مر ركابه بجمع من الخاليق
المتماوجة بالشوارع والطرقات هتفوا له بالدعاء والسلام فدخل المدرسة
على الساعة السابعة مصحوبا بمدير العلوم والمعارف وتلقى مراسم التهنئة من
المديرة والمعلمات كما تلقى تهنئة تلميذاتها اللطيفات بلسان رفيقتهن الماجدة
الاصيلة مادموزيل البتيت كريمة المقيم العام وبعد ان احسن مجاملة
المعلمات والمتعلمات تكرم عليهن براحة ثلاثة ايام تضاف لراحة عيد
الفصح ثم بارح مدرسة البنات بين عبارات النشيد الوطني بلسان التلميذات
فكان صدا غنائهن مستملكا للمهيج والقلوب

ومن هنالك قصد ركابه مدرسة كارنو العليا فدخلها مصحوبا بمدير
العلوم وكان التلاميذ في عد المئين منتظمي الصفوف فلما حل بينهم هتفوا
مرارا بالدعاء لفخامته فانشرح لذلك انشراحا بانث آثاره على اسارير وجهه
وحصل له من شدة الوقع والاستحسان ما ادركه التلاميذ فاعادوا كرات
التهنئة بحماسة وطنية غريبة كان لها دوي في الاذان وتأثير في القلوب
واذاك تعرف فخامته بالمديرين والنظار والاساتذة وحل وسطهم وقد
رئيسهم الا كبر العلامة الاستاذ الاشهر مسيو شرليتي المدير العام للعلوم
والمعارف وسام الشرف الفرنسي وقبله وهنالا



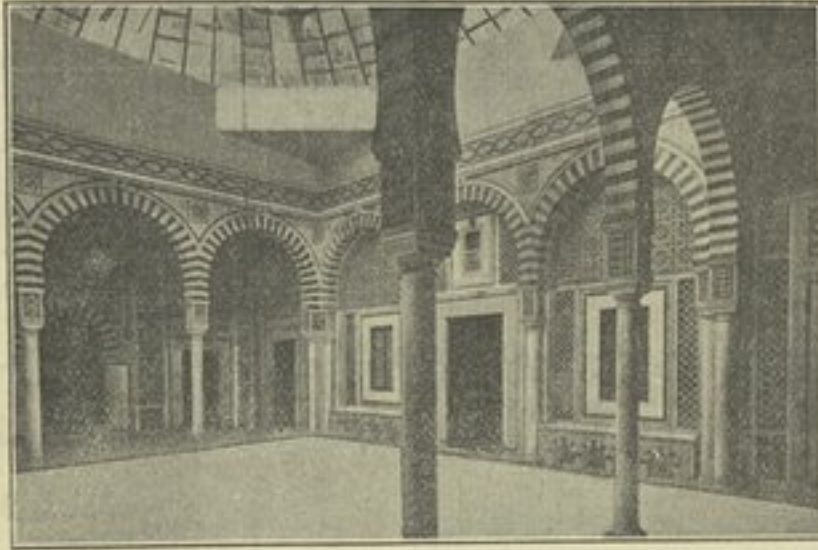
جناب مسيو شارلتي المدير العام للعلوم والمعارف

فحدثت عندئذ بين عموم الحاضرين هزة فرح بلغ صداها لعنان السماء وانقلب سرور التلاميذ لحالة جدل وهيام ثم ان فخامة الرئيس منح التلاميذ ثلاثة ايام راحة زيادة على المعتاد وخرج موكبه من مدرسة كارنو قاصدا زيارة المعرض الصحي بسراية الشركات الفرنسية وكانت السراية وما ادراك ما هي في الحسن والبهاء والفخامة والرياش وضروب الزينة يحفها كوكبة من العساكر والناس حولها متجمعون الوفا الوفا فدخلها فخامة الرئيس بين ضججات تلك الجموع بالهتاف البليغ المسموع وقد تلقوا بباب السرايا مدير المعرض مسيو لتورنور وطاف به حول المعارضات الصحية فاستحسن نظامها واعرب عن ابتهاجها لحسن اتهاجها وانتساقها وكان القسم الخاص بالمياه المعدنية على انواعها محل انظاره ومزيد تدبرا واعتبارا ثم تلقى من جمعية غراسية الزهور اكليل من الياحين وتعرف بجمعية الفواكه البواكر وتلقى بعدئذ مراسم التهنئة والاحترام من جمعية

بث التعليم واللغة الفرنسية بين الاقوام ورفع رتبة رئيسها مسيو كمونو
 لدرجة ايسي من اللجيون دونور بين هتاف الحاضرين
 ثم ان جناب المقيم العام قدم لفخامته مسيو دلا فارين رئيس الجمعية
 الفلاحية واتنى على همة هذلا الجمعية واعانتها على المشروعات الزراعية
 وتنمية عمران البلاد فشكرا فخامة الرئيس واحسن له بالصنف الرابع من
 الوسام المذكور كما احسن لكاهية الجمعية ولاعضائها باوسمة الفلاحة من
 درجات مختلفة وبارح الموكب سراية الشركات الفرنسية بين مظاهر
 الاجلال والتوقير واذاك رغب فخامته ان يمر موكبه باحياء البحيرة مناخ
 الزينة البلدية فتجول في شوارعها بين الجموع والصفوف وهتاف الالوف
 ثم عاد ركابه لدار السفارة الفرنسية على الساعة السابعة ونصف مساء وبعيد
 ذلك بدقائق معدودات خرج فخامته ووزراءه وحاشيته في موكب رسمي
 بهيج لحضور مادبة العشاء التي اقامتها الحضرة العلية الملوكية اكراما لفخامته
 بسراية القصباء

ولكن قبل ان نتكلم على هذلا المادبة نقول ان هذلا السراية اشاها
 المرحوم حمودلا باشا سنة ١٢١٨ وهي فسيحة الجوانب رحبية الزوايا
 والمناكب ازدادت محلاتها اتساعا بما احده فيها الوزير خير الدين
 من البيوت المطلة على بستان القصباء وعلى الاسواق التجارية الجميلة التي
 حاول بواسطتها احياء معالم التجارة الاهلية التي غفت رسومها وهي
 اسواق صارت فيما بعد دواوين لادارتي الاشغال العامة والمالية عند احداثها
 حوالي زمن الاحتلال وايضا تعاضم وتشامخ بناها بما اضافت لها دولة الحماية
 من البناءات الجديدة لاستكمال نصاب اقسام الادارة العامة التي تحولت

اليها بعد اجلائها عن سرايات باردو القديمة في سنة ١٣٠٠ بحيث ان
سزاية المملكة بتونس ويطلق عليها في العرف الاروباوي لفظ « دار الباي »
لانها بالفعل كانت في القديم مسكنا للبايات ثم في النصف الثاني من القرن
الفارط دار ضيوف للملوك والعظماء الواردين على تونس ومقرا للباي
وحاشيته مدة شهر رمضان وليلة المولد الشريف هي عبارة عن



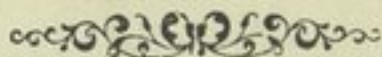
بهو الطاق العلوي بسراية المملكة

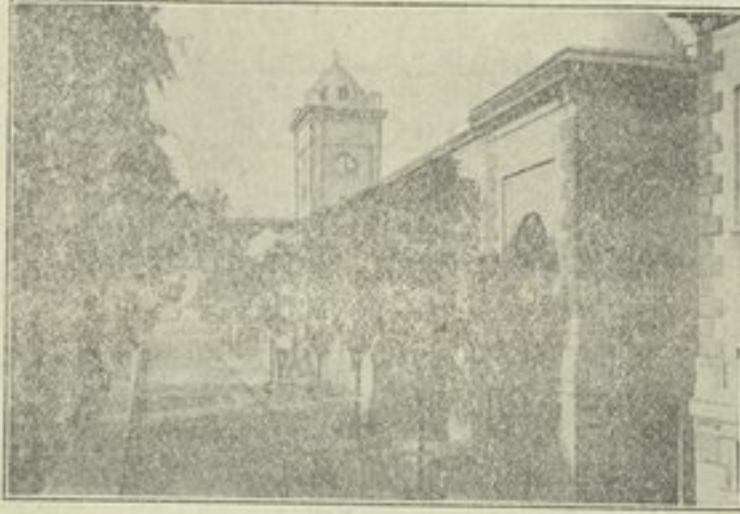
قسمين شامخين من البناء احدهما على الاسلوب العربي الجميل وهو
الطاق العلوي الذي اسسه المرحوم حمود باشا والاخر على النمط الاروباوي
او ما يقرب منه وهو ما بني على عهد خير الدين وعلى عهد الحماية ويرى
الناظر في الرسم الذي زين به هذلا الصحيفة جمال ذلك الصنع الذي
يحاسكي احسن ما ابرزه الذوق العربي من مبتدعات هندسة البنائات
الاندلسية

اما المادبة الملكية فقد اقيمت بقاعة التشريعات الكبرى المشرفة على
 البستان البلدي الانيق وكانت ليلتئذ محلات السرايا وسقيفها وبهوها مغطاة
 بالابسطة الحريرية والزرابي الفاخرة والمتكثات والاكسية والرياش وكانت
 انوار الكهربائية البالغ عدد مصابيحها نحو الالف بين ثريات وفوانيس
 واسرجة تناطح الشمس فكان لمجموع ذلك منظر يحاكي احدى المناظر
 المتحدث عنها في كتاب الف ليلة وليلة ايام دولة هارون الرشيد ووزير
 جعفر

وكان تنميق ذلك وترصيعه بالزهور والرياحين ونشو النخيل والوقوف
 على استكمال ترتيبه وصنعه منوطا بذوق الشاب النشيط مسيو دولور
 كاتم سر جناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام بالعدلية حتى ان الحضرة
 العلية لم تتمالك عن اظهار استحسانها واعجابها بما قام به الشاب المذكور
 من الخدمة لمقامها العالي مما استوجب عليه الشكر باسان سموها مباشرة
 منها اليه

وكانت زينة مدخل السرايا بذوق عسكري جميل فكانت واجهة
 الجدران مزينة بالاسلحة وبالسيوف والخنجر من كل نوع وعصر ولما كانت
 الساعة الثامنة وصل الركاب الرئيسي لبطحاء القصبا مخفورا بالعساكر





بطحاء القصبة

واذ ان ادت له عساكر العسة المصونة مراسم الاحترام وترنمت الموسيقى
بالسلام ثم دخل فخامته وحاشيته للسرايا حيث كان المقام الملوكي في
انتظاره براس المدرج فتلتا بوجه بسيم وتصافح وفخامته مصافحة ودية
قلبية ثم دخلا بيت المادبة يتبعهم الندوات من المعزومين للطعام في صحبة
جناهما الفخيم

فجلس بصدارة المقام فخامة الرئيس والحضرة العلية وجلس حولهما

الى اليمين والشمال الذوات الاتية اسماءهم

جناب مسيو دل كاسي وزير البحرية

جناب مسيو بامس وزير الفلاحة

جناب مسيو شومي الكاهية الوزير بالبوستة والتلغراف

جناب البرنس سيدي المنصف باي

- جناب سيدي يوسف جعيط الوزير الاكبر
جناب سيدي الطيب الجلوي وزير القلم
جناب مسيو مولار مدير التشريعات
جناب مسيو رامندو باش كاتب قصر الرئاسة
جناب الجنرال بيستور قايد جيش الاحتلال
جناب الجنرال شاي من امراء جيش الاحتلال
جناب الجنرال تروملت فايير مثله
جناب الوزير المفوض مسيو روا الكاتب العام للامور العدلية
جناب مسيو بلان الكاتب العام للامور الادارية
جناب مسيو دلا فاج مدير الاشغال العامة
جناب مسيو دو برديو مدير المالية العام
جناب مسيو شرلتي مدير العلوم والمعارف
جناب مسيو بربرات مدير البوسطة والتلغراف
جناب مسيو لوجون مدير الفلاحة والتجارة
جناب مسيو فلوري كاهية الكتابة العامة
جناب مسيو مولو رئيس البعثة المالية
جناب القبطان البحري موتز باش كاتب وزارة البحر
جناب مسيو بيريل باش كاتب وزارة الفلاحة
جناب مسيو دوفو باش كاتب البوسطة والتلغراف

جناب مسيو يوباش كاتب السفارة الفرنسية

جناب مسيو اندري فليار نجل رئيس الجمهورية

جناب مسيو دل كاسي نجل وزير البحر

جناب الكلونيل قيز من ضباط العسة الرئيسية

جناب الكلونيل هيلوت مثله

جناب مسيو دجان الكاتب الثاني بالسفارة

جناب مسيو لوجي

جناب مسيو بونيون

جناب الحكيم مسيو ريكار طيب فخامة رئيس الجمهورية

جناب الكمندان طيسون رئيس اركان الحرب بجيش الاحتلال

جناب مسيو مارك فارين كاتب الراسة الخصوصي

جناب القبطان جوان معين المقيم العام

جناب السيد عزوز بن عيسى امير لواء العسة المصونة

جناب امير اللواء السيد الصادق غيلب شيخ المدينة

مسيو تريالات مدير شركة بون فالمة

وكان مجلس العشاء موسوما بمظاهر الوداد العالي من الجانبين والخدمة

الناولون للاطعمة من العبيد وكانوا في عدد اثني عشر زنجي متجميلين بلبوس

ذات الوان ساطعة تناسب سواد بشرتهم مما زاد في انبساط الحاضرين

وحملهم على الاعجاب بكمال تهديدهم وقيامهم بوظيفتهم خير قيام



راموز مصغر من قائمة الاطعمة بالمادبة الملكية

وفي منتهى العشاء التقى المقام الملوكي على مسامع فخامة ضيفه الكريم
العبارات الآتية

اني اهنيكم هنا من جديد بالقدوم المبارك واني لسعيد الحظ بان
اكرر لجنابكم العالي شعائر ودادي واخلاصي نحو الامة النبيلة الفرنسية
ونحو فخامة رئيسها الموقر

فاجابه فخامة الرئيس بقوله

اني اشكر لحضرتكم العلية عما ترجمت عنه من شعائر احساساتها
الكريمة واني لسعيد الحظ بان اكرر لسموها تحت قباب هذا القصر الذي
كان سلفها الجميل الذكر تلقى فيه زيارة سلفي الرئيس مسيو لوبيي شعائري
الدائية الممتزجة بالدعاء لحضرتكم ولال بيتكم بالعزيز والسعادة

واذاك ترنمت المويستقى بالنشيد الفرنساوي ثم بالسلام الملوكي الحسيني
ثم دارت فناجين القهوة على الحاضرين وفيما بين ذلك استحضر فخامة
الرئيس الحكيم لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية وانعم عليه بوسام الشرف



الحكيم ميسو لوفي رئيس اطباء الحضرة العلية

وبعد ان تجاذب المقامان الكريمان اطراف الحديث والمنادمة تصافحا
مصافحة الكرام وعاد ركبهما فقخامة الرئيس لدار السفارة والمقام الملوكي
بارح الحضرة عائدا لسراية المرسى العامرة



منظر من موكب الركاب الملوكي خارج الحاضرة

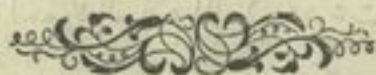
وفي هاته الليلة نفسها اعد المجلس البلدي مادبة اكرام بخان « قصر تونس » لضباط الاساطيل الاجنبية والاساطيل الفرنسية الراسية بميالا بنزرت ولاصحاب الجرائد الفرنسية الوافدين على تونس في جملة اهل الركاب الرئيسي وكان مدير نظام تلك المادبة الانيقة النشيط مسيو جوزاف فلنسي مدير الاقسام الادارية بالمجلس البلدي حضرها بالاستدعاء نحو الثلاثمائة من ضباط البحر ومن اعيان فرنساويين واعيان الجالية الانكليزية والجالية الطليانية وفي ختامها شرب كاهية المجلس البلدي نخب جلالة ملك انكلتيرة وجلالة ملك ايطاليا وجلالة ملك اسبانيا ثم خطب خطابا نفيسا في الترحيب باولئك الضيوف الكرام وطلب من اصحاب الجرائد ان يشهروا باصقاعهم محاسن الحاضرة التونسية ويلفتون انظار السواحين لصحو سمائها الجلي ولجمال اسواق تجارتها الاهلية ثم شرب على ذكر ضباط الاساطيل وعلى سلامة الصحافيين بالنيابة عن عموم سكان مدينة تونس وفي تلك الاثناء كان الهمام الاحزم السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة قد اخذ تاهباته لاقامة ليلة انس فاخرة بدار سكنه ليا ب البنات اكراما لوزراء الدولة الجمهورية لضباط البحر والجنرالات قواد الجيوش ولبقية الدوات والاعيان وبالغ في ذلك للحد الذي جعل منزله سماء مرصعة بالنجوم تخفق فوقها الاعلام ويظلمها الجلال والاكرام فكان العامل المذكور وخلفاؤه ورجال ادارته على قدم وساق يستقبلون الزائرين بكل لطف ولين ولما احتبك المقام كمل الانس بقدم جناب الوزراء والجنرالات والكاتب العام ونجل فخامة رئيس الجمهورية ونجل رئيس الوزراء الفرنسية واذاك دارت على الحاضرين لئوس المسرة فكان

المجلس يحاكي بجماله ائمن درة وكانت اناشيد الفرح تتلى واغاني السرور
والفخار ترنم بها الافوا فتعيدها نغمات الاوتار

وممن حضر هذلا الليلة الانسة ارباب الصحافة الفرنسية مكاتبو
الجرائد الكبرى الباريسية كالطان والماتان والجورنال وغيرها وقد آتسوا
من مكارم رب الدار واحتفاله واحتفائه بهم ما حملهم على قضاء ليلتهم كلها
بندلك المجلس الانيس

وقد امتاز بين اولئك الضيوف من اصحاب الجرائد الاخباري اللبيب
مسيو دوفوفي محرر جريدة « توليون » اذ ارب عن لطف وسمر ومشاركة
في مظاهر الزهو والحديث الانيس ضرب صدا فيما بين تونس وجرجيس
حتى ان بعضهم لقبه بدوفوفي باشا لانه اتى من ظروف الظرف بما شاءوا
وبما شاء

وكانت هذلا الليلة الانسة خاتمة احتفالات اليوم الثاني من قدوم
فخامة الرئيس لتونس حيث تقرر ارتحال جنابه صبيحة اليوم التالي
للجهات القبيلة



الباب الثالث

في ارتحال فخامة رئيس الجمهورية لزيارة قصر الجم وافتتاح سكة
حديد صفاقس (يوم الخميس ٢٠ افريل ١٩١١)

قبل ان يبارح فخامته العاصمة التونسية تلقى جنابه بالتلغراف رسائل
الشكر من ملوك انكلتيرة واطاليا واسبانيا عن التلغرافات التي ارسلها
لجلالتهم يوم ١٨ افريل ١٩١١ بعد استعراض الاساطيل بميالا بنزرت
وكانت هذه الرسائل آية في التلطف تعرب عن علايق الود الراسخين دول
اولئك الملوك والدولة الجمهورية - ولما اصبح صباح اليوم المذكور كانت
الادارة العسكرية قد اخذت تاهباتها وحشدت الجيوش على ممر الركاب
الرئيسي فيما بين السفارة العامة وموقف سكة الحديد الجنوبية

ومعلوم ان ارتحال فخامته لقصر الجم هو من الابواب المهمة المقررة في
برنامج زيارته للعمالة التونسية لان القصد من ذلك حضور فخامته لافتتاح
السكة الحديد المحدثه اخيرا بين سوسة وصفاقس كما سيرى القاري
تفصيل ذلك في محله من هذا الباب

فتحرك الركاب الرئيسي من السفارة مخفورا بعساكر الخيالة على
الساعة السادسة ونصف وقصد المحطة على نغمات النشيد الفرنسي وقرع
الطبول والدفوف واذاك بزغت شمس الركاب الملوكي من جهة شارع
باريس فلما كان موكبها على مقربة من النادي العسكري بشارع فرنسا
اعت مويستى الزواف لسمولا السلام الملوكي وقرعت الطبول والدفوف
فتوجه الركابان يتلوا احدهما الاخر للمحطة المذكورة وعند الوصول اليها

ارتقى فخامة مسيو فليار ووزراولا وحاشيته للعربة الرئيسية بعد ان وادعه جناب مسيو دلكاسي وزير البحرية حيث عاد ذلك اليوم لبنزرت ومنها لجزيرة كرسبيكة كما وادعه الاميرال بوقائد الاسطول الانكليزي واركان حربها لتقرر رجوعهم لميلاء مالطة حيث تمت ماموريتهم

اما الحضرة العلية فقد ركبت القطار نفسه حيث استوت بعربتها الملكية مصحوبة بوزرائها وبرجال المعية السنية واذاك سار القطار بين هتاف الهاتفين ودعوات الداعين يشق ضبابا كثيفا تحت غيوث وابلة تعذر بها على الراكبين ان يسرحوا النظر في طريقهم ويشاهدوا خصب وبركة هذا العام المبشر بوفرة الزرع والضرع

وكان تقدم سفر هذا الرتل الرئيسي الملوكي قيام رتل خصوصي خرج من تونس بكرة ذلك اليوم حاملا لاعضاء مجلس الشورى ولارباب الصحف ولمن دون رجال الحاشيتين من الاعيان

فلما وصل الرتل السامي لمحطة بير بورقبة من الوطن القبلي نزل فخامة الرئيس وتلقى مراسم السلام والاحترام من اهالي المكان وكانوا في جمع عظيم يتقدمهم شيوخ الطرق وعمدهم واعيانهم وكانوا يضربون طبولهم وينفخون في مزامرهم المسماة « زكرة » ويهتفون بالتحية والسلام للمقامين العظميين ويرتلون الادعية والاذكار فشكر فخامة الرئيس سعيهم وارتقى لعربته بعد ان تناول شيئا من الاكل بمطعم المحطة ثم سار الرتل حتى بلغ محطة النفيضة باولاد سعيد من عمل سوسة واذاك نزل موكب فخامة الرئيس لهذا المركز الاستعماري الخصب الذي له علاقة مستحكمة بالاسباب

التي اعقبها نصب الحماية على تونس وهذا النفيضة عبارة عن هنشير واسع
 الاطراف يتراوح بين ستة آلاف وسبعة آلاف ماشية ملكها المرحوم الصادق
 باي للوزير خير الدين ومنه ابتاعتها قبيل الحماية الشركة الافريقية الفرنسية
 التي احيتها واقامت بها العمارات العظيمة والمصانع واسست بها المدارس
 والاسواق وكل ما يلزم لجعلها مدينة قابلة لسكنى نخبة من كبار المعمرين
 الفرنسيين واتباعهم فهي اول مركز استعماري فرنساوي بالعمالة التونسية
 فلما حل بها فخامة الرئيس والحضرة العلية كانت البلدة متهيأة لقبول هذا
 الزيارة واعلام الفرحة تدر على اعاليها وكان المعمرون واعيان الاهالي على اهبة
 تامة فاحقق اخوان الطرق سناجقهم ورددوا ذكركم وهتفوا بالدعاء للمقامين
 الكريمين واذك تقدم مدير شركة النفيضة والقي على مسامع الرئيس
 خطبا اشار فيه للمجهودات والمصاعب التي غالبتها الشركة وتغلبت عليها
 ايام انشاء هذا المستعمرة الزراعية المرتبطة ارتبطا له معنى بتاريخ الحماية
 الفرنسية ثم تعرض للترقيات التي احرزت عاينها النفيضة فيما بعد حتى
 اصبح بقلبها مدينة زاهرة لا يقل عدد طلبة العلم فيها عن ثلاثمائة تلميذ
 بين اوروبائين وتونسيين وختم خطابه بشكر فخامة الرئيس والحضرة
 العلية التي لها المنزلة العالية في قلوب رعاياها والاحترام العظيم في انفس
 سائر الاروبائين نزلاء المملكة التونسية

وقد اجابه فخامة الرئيس وكان مكشوف الراس بالرغم عن تهاطل
 الامطار وابدى له عبارات شكره عن هذا العواطف والتصريحات الفايدة

واضاف لذلك ما نقله بحروفه (واني لمبتهج برايكم المصيب الذي حملكم على
 الاعتقاد بانه لانجاح للمشروع الذي كتبتكم على انفسكم انجازة إلا بالاتحاد
 المتواصل بين العنصر الاستعماري والعنصر الاهلي وفي ذلك ما لا يخفى
 من تحقيق وتنمية ثروة وعمران هذا القطر) ثم صافحه مصافحة قلبية وعاد
 الموكب للرتل فجد القطار في السير بين هتاف تلك الوفود وجموع ذلك العقد
 المنضود

ثم بعد هنيئة لما وصل الرتل لمحطة سيدي ابي علي وقف ليتزود
 الماء اللازم لما كتته واذاك تقدم تحت انظار فخامة الرئيس والحضرة
 العلية جموع اهالي تلك الجهة ومن انظم لهم من الجهات السحيقة وكانوا
 في عدد عظيم فتلقى منهم المقامان الكريمان شعائر الطاعة والاخلاص
 وجمالهم فخامة الرئيس ببعض عبارات تناسب المقام اداها لهم بالعريئة
 مسيو لويطو المعمر المشهور ومما خاطبه به اولئك الجموع اعرابهم لفخامته
 عن استبشارهم وتفاؤلهم خيرا بزيارته المباركة المخضرة العقب المبشرة
 بسلامة المزروعات وخصب هذا العام الذي سقت غيوثها الارض بخيرات
 وفيرة فانشرح فخامته لذلك الرجاء ودعا لهم بتحقيق الامال ثم تنازل
 فخامته فتكلم مباشرة مع شاب اهلي حيدلا باللسان الفرنسي الفصحى
 الفصيح وشكرا عن ثمره تعلمه بالمدارس الفرنسية وحثه على ترغيب بني
 جنسه في الاقتداء بمثاله ثم اذن باستئناف السير فتحرك القطار قاصدا
 سوسة حيث ارسى على الساعة الحادية عشرة صباحا

ولما كان المطر غزيرا وسيوله مفعمة تعذر حينئذ اقامة موكب كبير كما قرر
 ببرنامج الزيارة ولذلك استقر الراي على تاخير الموكب العمومي لمجيء
 فخامة الرئيس بعد رجوعه من الجهات القبلية وزيارته للقيروان وحينئذ
 اكتفى فخامته بتلقي مراسم السلام والاحترام من الجنرال ديزورتي
 القايد العسكري بالساحل ثم من المراقب المدني ومن عامل سوسة وقد
 كانت المدينة اذاك بالرغم عن تهطل الامطار بدعة في الزينة والاحتفال
 اقيمت باحيائها اقواس النصر واخفقت على دورها ومعالمها الوية الفخر وكان
 اهاليها من كل الملل والنحل وتلامذة مدارسها قد خرجوا من قبل للتشرف
 بمواجهة الجنابين الكريمين فعمروا الشوارع والبطاح ولم تصدهم تلك
 الامطار الغزيرة التي كادت ان تكون طوفانا عن ابداء اميالهم وتعلقهم
 وولائهم للرئيس المرغوب والملك المحبوب وفي تلك الاثناء استدعى
 فخامة الرئيس لعربته كلا من مسيو كاليني كاهية المجلس البلدي بسوسة
 ومسيو لوكور كر بانتي مدير « الديش تونزيان » وكلاهما من اعضاء
 مجلس الشورى ومن اصحاب الافكار الراجحة والمسامي الناجحة فحظيا
 بالجلوس لديمه وتجاذب معهما اطراف الحديث في المسائل والامور
 التونسية

ولم يدم وقوف القطار بمحطة سوسة سوى جلستا خطيب ثم
 استأنف سيرة مارا على شريط السكة الحديدية قاصدا قصر الجم وكان
 المطر في ازدياد والارض باسمه مخضرة والشجرة المباركة تسحر بجمالها
 العقول وكان فخامة الرئيس يدير دولاب الاحاديث في فنون الزراعة

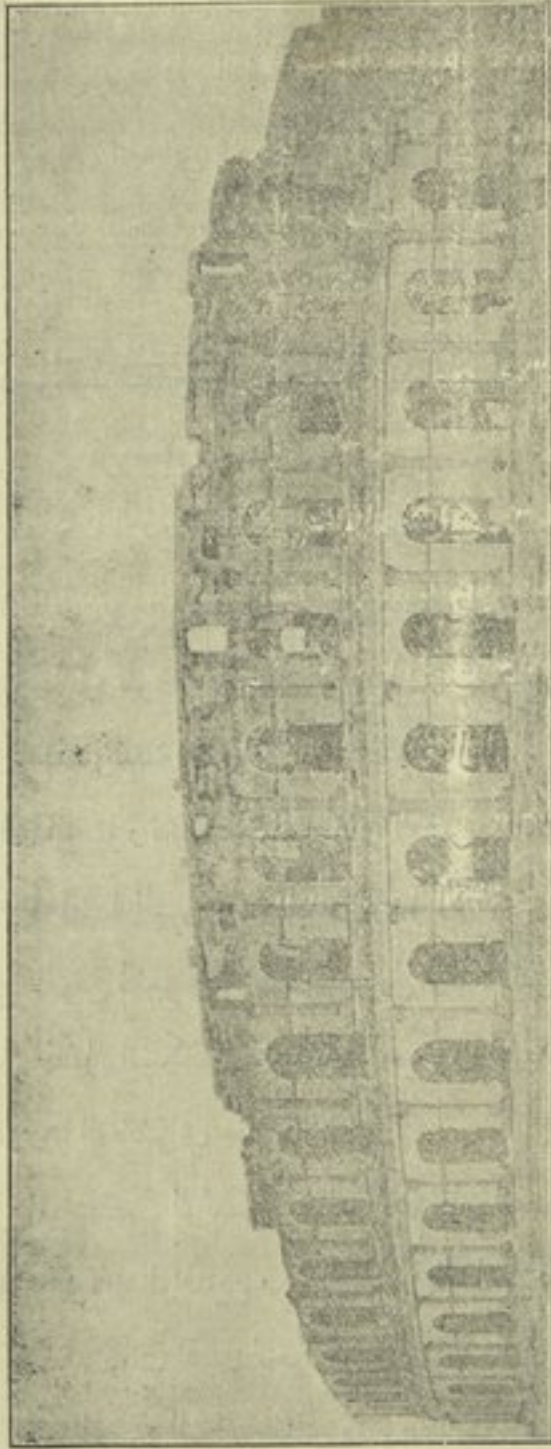
التي لها احاطة بها من قبل حيث كان باشرها في شبابها وبقي مولعا بها
ومحشا عليها واذاك وصل الموكب الرئيسي الملوكي لمحطة قصر الجهم
ودخلها على الساعة الواحدة بعد الزوال

وهنا لا مندوحة لنا قبل التكلم على احاديث ذلك الموكب من التعريف
بهذا القصر الازلي الذي بقي خالدا حول العصور ولم يعبا بكر الدهور
فقصر الجهم عبارة عن هيكل شكله بيضي طوله ثلاثمائة ذراع في
عرض مائتين بناه الرومان ايام شباب استعمارهم بافريقيا اي حوالي المائة
الثانية للميلاد على اثر بناء نيرون الجبار لهيكل رومة الباقية اطلاله لهدنا
هذا وكان تشييدهم للقصر المذكور بنية جعله مرسحا لمصارعة الثيران
وللاحتفالات والمشاهد العمومية في قلب مدينة زاهرة عفت رسومها بعد
كانت تعرف لهدهم باسم « ثيسدروس » وكانت هي مناخ خلاعتهم
وتفسحهم يقدمون اليها من دواخل البلاد التي عمرها كدقة وسيطلت
وغيرها قال السيد البشير صفر في جغرافيته التاريخية كان الرومان « يجلبون
اليه العبيد الآبقين وغيرهم من ذوي الجرايم فيدخلونهم في ساحة المرسح
ويناولونهم اسلحة دفاعية ثم يطلقون في تلك الساحة بعض السباع الكاسرة
فتصارع اولئك المساكين ويصارعونها فان قتلوها خلي سيلهم وان قتلوا
افترستهم السباع ونفذ فيهم القضاء »

اما مدينة « ثيسدروس » المد كوردة فلم يقع العثور عليها إلا في السنين
الاخيرة لذلك كانت قبل الكشف عليها اذهان علماء الآثار حائرة في فهم
السر الذي حمل الرومان على تشييد ذلك الصرح الفخيم بغلاة من الارض

لا عمارة بها لانهم لم يفعلوا شيئاً سدى مثل الفراعنة الذين ابنىوا اهرام مصر
فكشف الغيب في السنين الاخيرة على اطلال باقية تحت الارض لمدينة
متلاوحتة الاطراف كانت موجودة حول قصر الجم يظهر من آثارها انها
كانت طاوغة بالعمران لتوفر اسباب المدينة فيها اذ هم عثروا في ثنيات ذلك
الطلل البالي على حمامات وكنائس ويبيع شان المدن المتمصرة في هاتيك
العصور

ويقول الاثريون ان قصر الجم وحيد في نوعه لا يعرف له مثل غير
مرسح رومى المشار اليه على ان التلاشي الذي اصاب هذا اكثر من
الذي اصاب ذلك - واما المرسح الجميل الذي اقامه الرومان ايضا ولم
يزل قائم الدات الى الان بمدينة نيمه من اعمال فرنسا فهو ايضا على شكل
قريب منهما إلا انه دونهما في العظم والشموخ وقد زرتة سنة ١٣٢٥
ووقفت على اطلاله موقف النظر والاعتبار إلا ان العناية به منذ زمن
بعيد جعلته مصاناً عن عبث من لا يفهمون معنى لآثار الامم الخالية
والقرون الماضية وهم بقطرنا اكثر من الكثير لذلك قد عبثت ايدي
الهمجية بقصر الجم ازماناً طويلاً حتى تلاشى منه ما ليس بالقليل ودام
ذلك الى انتصاب ادارة الانطوكانة وهي من التأسيسات الاولى
التي زينت بها الحماية وجه هذه البلاد في جملة ما ادخلت عليها من
الاصلاحات فاستصدرت اواسط دولة المرحوم علي باي قرارا في حفظه
واعتباراً اثر تاريخياً يجعل قدره عن التلاشي والاهمال



منظر قصر الجم

وقصر الجم كان في زمانه ياوي ستين الفاً من المتفرجين وهو ذو ثلاث طبقات وعلوه شاهق يربو على الخمسين قدماً ويظهر ان ارتفاعه قبل كان اكثر من ذلك قال التجاني في رحلته وارتفاع قصر الجم مائة ذراع ومنه كانت العرب ترصد النجوم وبها ظهر لهم نجم سهيل ولم يكن يظهر لهم بتونس ولا ما قاربها اه

هذا وللقصر المذكور شهرة مطبقة عند علماء الانار باروبا اجمع ويجيئه الزوار من كل مكان سحيق

ونعرف لصاحبنا الاديب الشيخ محمد الحشايشي قصيدة يربو عدد اياتها على الثلاثمائة رثى بها قصر الجم بقي بمحفوظي مطلعها وهو قوله
للجم اطلال تلوح كأنجم لا كنها وجمت فلم تتكلم
يبدو به القصر الذي شرفاته شدت باذيال السها والمرزم

وعلى توالي العصور نشأت حول اطلال القصر مداشر اسلامية صارت فيما بعد قرية ياهلها اليوم من البدو نحو الاثنتي عشرة مائة نسمة لكن جريا على ناموس النمو والارتقاء سيحصل لهذا القرية من التقدم في القريب العاجل بفضل السكّة الحديدية ما سيكون لها به حديث وشان ويدخل به دورها الحاضر في خبر كان

ولما وصل الموكب الرئيسي لبلد الجم كان القصر محققا بجموع المشايخ والعمد والعربان الوافدين من كل اعمال الساحل للسلام على فخامة الرئيس الآن السماء كانت اذاك تجود بمدارها فحالت الغيوث المنعمّة دون اجراء الملعب العربي العظيم الذي قدم بقصد المشاركة فيه هنالك اكثر من الف فارس بخيولهم المظهمة ولبوسهم البهيجة فاكتفى الجميع

بالمهتاف والدعاء للمقامين الكريمين ودخول الموكب ساحة الهيكل حيث نصب خيام كبير جدا كان القصد من وضعها وقاية الزائرين من حوش الشمس فقدر الله ان يكون لهم ستر من البرد والمطر اقيمت داخله على نفقة الدولة التونسية مادبة عظيمة بالغة حد الغاية في التكليف والتنسيق والترصيع زادتها يد مسيو موكري مهندس السكة الحديد جمالا لانه زجج حواجبا وعمونها بكل غال وقيم فكانت اية في الحسن والبهاء وكانت الوان الاطعمة حسب البيان الاتي

مفتح متنوع

مرق سمك المهديّة

فروخ دجاج على اسلوب التايهين

جلبانة على الاسلوب الفرنسي

شوا من اللحم الطري

سلاطة على اسلوب بتاوي

حلاويات مثاجة

جبين متنوع

فواكه

حلاويات ناضجة ومرطبات

واذاك جلس حضرة الرئيس والحضرة العلية بصدارة المائدة وجلس ليمين فخامته جناب مسيو بامس وليسار المقام الملوكي جلس مسيو شومي وجلس بقية الوزراء والذوات بالمناصب المخصصة لكل منهم حسب الترتيب الذي وضعه لذلك مدير التشريرات فكان عدد المتجمعين حول الطعام نحو

المائتين والخمسين وفي الختام نهض الافكات مسيوغالييني كاهية المجلس البلدي بسوسة والعضو بمجلس الشورى والقى خطبا باهدا ماخصه

ترجم الخطيب اولاً عن متمنالا الذي يحوم حول الجمع بين المدينتين الاختين سوسة وصفاقس اللتين كانتا تجمعهما روابط العمران في اقدم العصور كما يدل عليه وجود قصر الجم فيما بين هذين البلدين التوامين ثم قال ان هذا الجمع اصبح اليوم متحققا بفضل قولة الذكاء الفرنسي الذي ربط المدينتين بالسكة الحديد فلتلك ترى اليوم نواب صفاقس ونواب سوسة مجتمعين في صعيد واحد ومنتفين حول فخامة رئيس الجمهورية الكريم الذي ختم بطابعه صك اتحاد المدينتين الزاهرتين ثم اشار الى ما تطوي اطلال قصر الجم من عبر الزمان الماضي وقال انه ولئن داست الاقدام آثار تلك العصور فان في موكب هذا اليوم المنعقد فوق تلك الاطلال الباقية ما ينطق باتحاد الاجناس المختلفة في ظل العلم الفرنسي

ثم ترجم الخطيب عن مراسم التهاني الجديرة بمقام الرئيس الفخيم الذي استهل افق هذا القطر بمقدمه الحاكي نسيم الربيع ووقت الزهر وتخلص بعد ذلك للكلام على المنهج السدي سلكه الفرنسيون بتونس تلقاء العنصر الاهلي فقال انه يحوم حول تبادل المصلحة والاشترك في العمل والخدمة لما فيه الصالح العام مع مراعاة عوائد البلاد واخلاق اهاليها وبذلك يكون صنيع فرنسا نحو العنصر المذكور مرموقا بعين الاستحسان لانه جاء موافقا على خط مستقيم لنفس السياسة التي اتخذتها دولة الجمهورية للاستعمار في بلاد الاسلام

وبهذا يظهر انه لا مجيد عن هذا المسلك لان تقضه يفتح باب الاخطار
 والمساعي العقيمة ولان فرنسا ليس من قصدها استعمار البلاد بالفتوح
 القهري ولكن بيت آلاء التمدن بين اهلها نعم ان المدافع الفرنسية اسمعت
 في عدة مناسبات اصواتها الرهيبة ولكن حلم فرنسا اعقبها فمحي آثارها من
 العقول وبسط عوضها اجزة السلام والامان والحرية على انحاء البلاد
 ثم تكلم الخطيب على الخلافات العارضة التي ربما نشأت بين
 الفرنسيين وقال ان تلك الخلافات هي دليل واضح على حياة الامة وعلى
 كل حال فانها عارية عن اي تاثير لان النتيجة كانت دائما حسنة على ان
 جناب الوزير المقيم العام اوثق كفيل لحماية كل المصالح وغيرته
 الدستورية هي الامان بعينه

ثم قصد الخطيب بالكلام سمو الحضرة العلية فاشار لانه كان حظي
 بتهنئتها نيابة عن مجلس الشوري يوم صعود سموها على كرسي الملك وها هو
 اليوم يجدد عرض مراسم احترامه لدى مقامها العالي الذي مركزه قلوب
 عموم التونسيين والذي هو محل الصداقة والاخلاص للدولة الحامية

ثم وجه مسيو كاليني مراسم ثنائه واحترامه لجناب مسيو كروبي
 وزير الخارجية بصفته قيما على القطر التونسي و لجناب وزير البحرية
 مسيو دلكاسي وشكر غيرتهما وهمتهما العالية واخيرا حي الخطيب اعضاء
 البرلمان الفرنسي

وختم كلامه بتقديم ابلغ عبارات التهاني واصدق شعائر الولاء
 لفخامة الرئيس المعظم داعيا له بالبقاء وللجمهورية بدوام العز والارتقاء

ثم تلاه المسيو تريالات رئيس مجلس ادارة شركة بون فالمة والتي
مخطابا اعرب فيه عن فرط الشرف الذي لحقه من القيام بمأمورية فتح
سكة حديد صفاقس امام رئيس دولة الجمهورية وذكر بداية
خدمة السكك الحديدية بالقطر التونسي والمنح التي حصلت عليها
شركة بون فالمة وما في هذا السكك من الفوائد التي يقتضيها العمران
وبعد انتهاء خطابه قام مسيو تريالات رئيس شركة بون فالمة
الحديدية ونطق بخطاب هذا محصله

قال انه لم يكن له في الحسبان ان ينال هذا الشرف الذي مكنه
من قبول مهمة استغلال هذا الخط الحديدي الجديد من يد الدولة بحضور
فخامة رئيس الجمهورية

ثم قال وهذا الخط سيبقى له ذكر في تاريخ الترقيات الاقتصادية
التي اعانت شركة بون فالمة على تحقيقها بهذا الديار اما ليست هي التي
ساعدت بارتالها وقطاراتها الحديدية على تعبئة وحشد جنود جيش الاحتلال
ايام نصب الحماية على المملكة في سنة ١٨٨١ وبسط اجنحة السعادة
والامان على ديارها

ثم شكر للدولة عنايتها بالشركة المذكورة التي اصبحت تملك بيدها
لمدة ٢٥ سنة قابلة اجازة الاستغلال والانتفاع في العمالة بخطوط حديدية
طولها ١٦٥٠ ميلا واثني في هذا المقام على هممة الوزير المقيم وعلى مجلس
الشورى واعضاء الدولة التونسية

ثم صرح لفخامة الرئيس بوقوف شركته في مشروعها موقف الجد

لتنمية ثروة البلاد و وعد نيابة عن متوظفيها ومستخدميها باستعمال اقصى
 مجهودهم في خدمة الصالح العام
 وعند انتهاء مسيو تريالات من الخطابة قام فخامة رئيس الجمهورية
 ونطق بخطاب عظيم هذا نصه وفصه
 ايها السادة

ان حركة الذكاء الاستعماري الفرنسي قد تحققت بفضلها ظنون
 كثيرة بهذا الارض العتيقة وان من المعجبات اختيار هذا الهيكل العظيم
 الذي هو من بدايع مدينة العصور الخالية لاجراء احتفال هذا اليوم الملتحف
 باردية المدينة الحديثة التي قد اغمرت بمحاسنها المؤثرة كل جهة مدت اليها
 رواقها

فلقد صور لنا الخطيب بدوقه السليم مثالا جامعا بين المناظر العالية
 والافكار الصائبة والاقوال البليغة مما سيبقى خالدا بحافظتي مدة سفري
 كلها ولذلك اراني سعيد الحظ من جهة الاتحاد مع الخطيب مسيو فاليني
 في المنشا وفي الشعور ولاجله نفتخر جميعا بسلو كنا الذي جاء موافقا لقواعد
 الانقلاب العظيم الفرنسي ذلك الانقلاب الذي سرنا بفضل نوره في
 مسالك الحكمة والاحتياط والانسانية كما ستقر وتعترف لنا بذلك الازمان
 القابلة وان حفلة الجرم ستكون فاتحة عصر للرقمي مؤيد بالسك الحديدية
 الجديدة التي نعلن بافتتاحها للسير في هذا اليوم وهي سكة جديدة بان
 يبقى ذكرها محفوظا بافهام اهل هذا العصر لانها ربطت ربطا لا ينحل
 بعد بين جهتين من العمالة كاتنا بالامس مفترقتين وهذا الامر وحده بما ينجر

عنه من تسهيل النقل على جموع المسافرين وعلى المتاجر فيه كفاية لاستتصار
الأكلاف التي تحملتموها من جهة بناء هذه السكة

واني اهني نفسي بما وقفت له من جعل استخدام هذه السكة
واستغلالها في عهدة شركة بون قائلة التي يدها ايضا سكك الحديد
بالقسم الشمالي وبالقسم الاوسط من العمالة فان كل الناس يعلمون ما لهذا
الشركة من الايادي البيضاء منذ عهد بعيد اما انا فاني اصرح بذلك مباشرة
لرئيسها المكرم الذي له من الغيرة الوطنية مقدار ما لديه من المنزلة
العالية ومع ما لي من العلم بما يحف هذه المأمورية من المصاعب فان
وجودها بيد رجل مثل جناب الرئيس الموما اليه ونخبة من الموظفين
كالذين في اعانتهم ومستخدمين مخلصين كستخدمي الشركة المذكورة
التي شملتهم بعنايتها الحققة مما يحقق ان مصالحنا بعيدة عن عبث الايام

واني ارفع كاسي بيد مملوءة بعبير الازمان واخرى قابضة على الوثوق
بحسن المستقبل واشربها على سعادة السكة الحديدية الجديدة كما
اشربها على ذكر المدينتين الاخنتين سوسة وصفاقس وعلى ذكر شقيق
الفصاحة رئيس المجلس البلدي بسوسة الذي ما زال صدى خطابه النفيس
يتلذذ به سمعي وعلى ذكر رئيس شركة بون قائلة مسيو مارسيل تريبات
المتجمل اصالة بحسبه ومجدلة العزيزين اهل العلم والجدير ذاتيا بودادنا
اجمع

ثم دارت على الحاضرين فناجين القهوة واخذ القوم يتآسئون فيما
بينهم بلطيف الحديث وكان في العزم ان فخامة الرئيس والحضرة العلية
يطوفان خلال اطلال الهيكل ويستعلمان خبرة وامرأ في ايام شبابه من

مدير الانطـكـخـانة إلا ان توالي الغيـوث حال دون ذلك فاكفـتـي المقامان بالاستفادة عنه بمجرد الحديث دون الوقوف على الاثار التي عفت رسومها واذك استـحـضـر فخامة الرئيس جناب مسيو تريـلات السالف الذكر ووشح صدره بوسام الفيسي من اللجيون دونورين هتاف وتصفيق الاستحسان من الحاضرين ولما حانت ساعة الرحيل تبادل المقام الملوكي والمقام الرئيسي عبارات الوداد الوثيق وخاطب سموه فخامة الرئيس بما معناه اني اجدد هنا لفخامتكم وانتم على اهبة الارتجال لاقصى جهات بلادي التي عمتها الخيرات الناتجة عن الحماية الفرنسية عبارات ودادي الوثيق ومزيد اخلاصي نحو الدولة الجمهورية وارجو من الله ان يصاحبكم بالسلامة في الضعن والاقامة

وقد اجابه فخامة الرئيس بعبارات دلت على ما لدولته العظمى من العناية وعلى ما لفخامته من الوداد والاعزاز للمقام الملوكي ثم تصافحا مصافحة الكرام وركبا على الساعة الرابعة بالسكـمـة الحديد فالحضرة العلية ارتقت لرتل خصوصي قام بسموها وبقناب الوزير المفوض كاتب الدولة العام وبناب وزراءها وحاشيتها قاصدا تونس على طريق سوسة وفخامة مسيو فليار ارتقى للرتل الرئيسي ومعه وزراءه وحاشيته وكاتب الدولة العام للامور الادارية قاصدا مدينة صفاقس وسار الرتلان بين مظاهر الاجلال متقدما احدهما نحو الشمال والاخر نحو الجنوب واذك كانت السماء تجود بمدرارها فصدعت تلك الالوف المتألفة من الفرسان والبوادي بالهتاف الكثير والدعاء الوفير لفخامة الرئيس ولسمو الامير

وفيما كان الرتل سائرا بين الجم وسوسة قدم جناب وزير القلم

للحضرة العلية صاحبنا السيد البشير صفر عامل سوسنة فتشرف بلثم راحتها
الكريمة وبقي ملازماً لخدمة ركابها الى ان وصل القطار لسوسة واذاك
كانت محطة السكة الحديد لابسة ثوب الزينة ومحلاتها وبطاحها الرحبية
تتماوج بجموع الاعيان والاهالي للسلام على المقام الملوكي وكانوا يهتفون
بالدعاء من اعماق قلوبهم لسمو اميرهم المحبوب فتكرم جنابه العالي
بالنزول لموقف السكة حيث تشرف الجميع بلثم راحتها الكريمة وكان
في مقدمتهم شيوخ المجلس الشرعي والشيخ حامد زين العابدين نقيب
الاشراف فتلى على مسامع سموه دعاء بليغا ناتى على عبارته هنا اتماما
للقاعدة ونصه

اللهم يا من وسع كل شىء علمه . وشمل الداني والقاضي شرفه وحلمه .
وجعل السرور اجناسا وانواعا . ومتع بالتلذذ بموجباته ابصارا واسماعا .
نسالك ان تطيل بقاء مولانا وسيدنا محمد الناصر باشا ولي النعم والهبات .
وتديم افاضة عنايتك على ما لمقامه من سمو الدات . وتمتعنا باستمرار
سروره وهنالا . وتبلغه من استقامة رعيته ما يتمنالا . اللهم لك الحمد على
ما انعمت به علينا من الشرف بمشاهدة ذاته الملوكية . وسحائب بركات
مرورنا باوطاننا الساحلية . واختتم هذا العجالة بمسك ختام اعاداة الدعاء
للحضرة العلية . بدوام الاقبال والسعادة السرمدية . وحفظ انجاله ووال
بيته ووزرائه . واتصال النجاح باصالة كمال آراءه آمين

كما ان الشيخ خليفه القروي باش مفتي القى على اسماعه الملكية

قصيدة غراء هذا نصها

لك العز والاقبال يا طلعة البدر ومنا لك الاخلاص يا مالك القطر
بمة دمك الاسنى ترادف بشرنا واخصب مرعانا بغيث من الدر
بكم سوسة اضحت تميمس تفاخرا بلثم يمين الناصر الملك الوتر
بكم سوسة فاقت على سوس مغرب واضحت بوجه الارض باسمه الثغر
وجرت على العايبا ثوب فخارها بناصر دين الله في السهل والوعر
مليك لها ارمان) جاء ملييا فاعظم به من حايط حوزة القطر
لدعوتكم قاد الاساطيل خلفه تمر مرور السحب في سرعة السير
علامتها (فليار) عمدة دولة ال فرنسيس اهل الحزم في مرتقى الدهر
طوى الارض طي الرق في يمن حازم

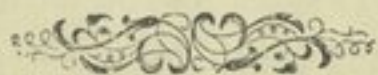
على الصافات الدهم في لجج البحر

فاكرم به ضيفا الى المالك الذي اليه ملوك الارض تخضع في الامر
هو الملك القرم الهمام سيمدع مجلي ميادين الملوك مدى العمر
عطايا لا في الافاق جلت عن العد فلا المزن يحكيها ولا المد في البحر
فلا زال للعلياء تاجا مرصعا وكهفا لمن يرجوا في العسر واليسر

وبعد ان تلقى سموه مراسم الطاعة والولاء من الخاصة والكافة تناول
والوزراء ورجال الحاشية طعام العشاء ثم تفضل باسداء شكره العالي
واعرب عن رضاه وعماد داخله من التاثر الجميل لهاتيك الاحساسات
الشريفة التي ترجم عنها اعيان سوسة ثم اذن بالرحيل فسار به الطائر الميمون
قاصدا تونس وكان في اثناء هذا السير تلوح على محياله الكريم مظاهر
البشر والانشراح ويتجاذب اغنة الحديث مع جناب الوزير مسيوروا

الكاتب العام مظهرا سرورا وانبساطه لهذا الرحلة السعيدة التي طفق
فيها كأس البشر بغيوث الرحمة وسيولها المتدفقة مما توفرت به بركات ذلك
العام وفي حدود منتصف الليل وصل القطار لتونس فعاد المقام الملوكي
لسراية المرسى العامرة

اما قطار فخامة الرئيس فقد جد في السير نحو جهة صفاقس وكان
اسلوب سيره على شريط السكة الجديدة دالا على قوة رسوخها واحكام
وضعها ودراية المهندسين الذين رسموا خرائطها وتعقبوا اشغالها ولما كان القطار
على مقربة من صفاقس حكمت الاقدار بانكفاف الغيث برهة زمانية
فوصلها الركب الرئيسي ودخلها على الساعة السادسة مساء



الباب الرابع

في الكلام على جهة صفاقس وغاية زياتينها وثروتها

وزيارة فخامة رئيس الجمهورية لمدينة صفاقس واحوازها

صفاقس وما ادراك ما هي . بلد الكد والجد . بلد الخيرات والبركات .
 بلد الرجال اصحاب العزائم الثابتة . في العصر الحاضر وفي الازمان الفائتة .
 بلد الثروة الواضحة . والتجارة الرابحة . بلد الاسواق الناققة . والزيت
 الدافقة . فجدير بكل تونسي ان يفتخر بها وبابنائها وان يبحث ابنا جلدته
 على الاقتداء بمثالها والنسج على منوالها اذ هي المدينة الفاضلة وما عداها
 المفضول هذلا انجم وتلك شمس لا يعترىها افول

اصلها من المدين التي احدثها الرومان وكانت تعرف على عهدهم
 باسم « طبارورا » واسمها الحاضر محرف عن لفظ « سيفاكس » وهو
 علم على امير بربري اشتهر بعداوتة للرومان فلما سقطت دولة الرومان
 تلاشت صفاقس في جملة المدن والبقاع التي دمرها البرابرة حلفاء الهمجية
 واعداء العمران وعاد احياءها بعد الفتح الاسلامي شيئا فشيئا فكانت اولا
 عبارة عن محرمس اي قصباء وبرج لسكنى الغزاة يرابطون فيه ويترصدون
 به اساطيل العدو كما سيأتي بيان ذلك في الباب التاسع عند الكلام على
 قصر الرباط بمدينة سوسة ثم بتوالي السنين نشأ حول ذلك البرج مداشر
 وقرى ضئيلة تكون من مجموعها فيما بعد مدينة واسعة الاطراف بنى لها
 الامير ابو ابراهيم احمد بن الاغلب سورا من الطوب في سنة ٢٤٥ على يد
 ابي الحسن علي بن سالم الجبنياني جد الشيخ ابي اسحق الجبنياني

صاحب المقام المشهور بصفاقس لعهدهنا الحاضر وفي تاريخ الشيخ مقديش
الصفاقسى ما يؤيد صدق هذه الرواية وزاد على ذلك قوله « ان ذلك السور
جدد بناءه بالجص على عهد السلطان ابي فارس عبد العزيز من ال بنى
حفص »

ومن هذا يفهم القاري ان الوصف الجميل الذي وصفها به ياقوت
الحموى في معجم البلدان انما ينصرف للعصر الذى اشتد فيه ساعدها
وظفح فيه عمراتها الا ترى انه يقول ما ننقله عنه بحروفه « بها اسواق
كثيرة ومساجد وجامع وسورها صخر واجر وفيها حمامات وفنادق
وقرى كثيرة وقصور حمة ورباطات على البحر ومنابر يرقى اليها في مائة
وستين درجة في محرس يقال له بطرية (لعل مركز التعمير المسمى مطرية
الواقع اليوم على مقربة من صفاقس محرف عن لفظ بطرية المذكور)
وهي في وسط غابة الزيتون ومن زيتها يمتار اكثر اهل المغرب وكان
يحمل الى مصر وصقلية والروم ويكون فيها رخيصة جدا يقصدها التجار
من الافاق بالاموال لايتباع الزيت وعمل اهلها القصاراة (بكسر القاف)
والكمارة (بكسر الكاف) مثل اهل الاسكندرية وينسب اليها ابو حفص
عمر بن محمد بن ابراهيم البكري السفاقسى المتكلم لقيه السلفي وانشده
وقال كان من اهل الادب وله بالكلام انس تام وبالطب انتقل الى
مصر واقام بها الى ان توفى في شهر ربيع الاول سنة ٥٠٥ وكان يعرف
بالذهبي وكان مولعا بالرد على ابي حامد الغزالي ونقض كلامه اه
والخلاصة ان صفاقس كانت في اواخر المائة الخامسة مدينة حضارة

زاهرة وسوقها بالادب نائمة يدلك عليه ان من علمائها في ذلك العصر من
 كان كفوا للرد على حجة الاسلام الغزالي وما ادراك ما الغزالي
 وهذا الرحالة ابن بطوطة زارها اواخر عام ٧٢٥ ووقف جوارها على
 قبر الامام ابي الحسن اللخمي المالكي صاحب كتاب التبصرة في الفقه
 وامتدحها واتى عليها فمن ذلك ما نقله عن ابن جزى منسوباً لعل بن
 حبيب التنوخي وفيه اشارة لطيفة لحركة المد والجزر يبحرها
 سقيا الارض صفاقس ذات المصانع والمصلى
 محمى القصير الى الخليج فقصرها السامي الملى
 بلد يكاد يقول حين تزور اهلا وسهلا
 وكانه والبحر يحس سر تارة عنه ويملا
 صب يريد زيارة فاذا راي الرقباء ولى

ومن شعراء صفاقس المجيدين ابن الضابط واسمه عثمان بن ابي بكر
 الصدي بعث له شعراء القيروان يسالونه ان يرسل اليهم ديوان شعراء
 فقال للرسول انه في مسوداته فقال هاته كما هو فزودا ايالا وكتب
 له ارتجالا

خطبتم بناتي فارسلتهن اليكم عواطل من كل زينة
 لتعلموا اني ممن يجود بمحض الوداد وليس ضنينت
 فلما وصل اليهم الديوان اجابوا

اتنا بناتك يرفلن في ثياب من الوشي يفتن زينه
 فلما سفرن فضحنا الشموس وسرب الضبا واخجلن عينه
 ولما نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه

افي بابل نحن ام في العراق وفوق البسيطة ام في سفينه

فدعني اراقب ضوء الجميع لنسمع من كل مدح عيونه

وابن الضابط هذا توفي بعاصمة الروم سنة ٤٤٤ حيث سيرلا حاكم
القيروان لقضاء حاجة له عند امبراطور بيزنطة التي صارت مدينة الاستانة
متد فتحها الاسلام سنة ٨٥٧ وتاريخ هذا الفتح « بلدة طيبة »

ومن ادبائها المتأخرين ابي الحسن الغراب الذي طفحت دواوين الادب
بجيد شعرا وكان لا يخلو نظمه من جناس فمن ذلك قوله متغزلا في شاب كان
يقتطف حب الزيتون وفيه ذلك اشارة لمسجدين من المساجد التونسية
اولهما له ريع واسع وثانيهما لا وقف عليه

جمعت هدى ضبي وقد كانت جامعا

لزيتونة من فوق اغصانها استوى

ايا جامع الزيتونة الفاتن الوري

تفضل بمعروف على جامع الهوا

واهل صفاقس كانوا ولم يزالوا اصحاب نفرة وشكيمة تآبى انفسهم الضيم
ويستملك قلوبهم العدل وهكذا كان امرهم في كل عصورهم ومن طباعهم
انهم اذا عاهدوا وفوا لذلك لما ثارت ثأرتهم عن طيش عند نصب الحماية
وشق بعضهم عصا الطاعة في وجه الحكومة بما حملها اذ انك على رميمهم من
البحر بمدافع الجنرال غارنولت يوم ١٥ يولييه ١٨٨١ تسابق عقلاهم لرد
الزائغين عن جادة الحق فندموا عما صدر منهم واعلنوا بالاخلاص وبالخضوع
وطلبوا الامان من الدولة فامنتهم واعادت عليهم مكاسبهم وارزاقهم بل
واسقطت عليهم جانبا مهما من العشرة ملايين التي ضربتها غريمة حرية

عليهم اثر ذلك الهيجان فانقلبوا للاقبال على شانهم ووجهوا مهجهم وافئدتهم
 للمساعدة على توفير الثروة العامة بناحياتهم التي اصبحت بفضل كدهم
 وجدهم عروس البلاد ففرسوا البساتين الزاهية بكروم العنب والتين والرمان
 والبرتقان والنارنج والليمون والورد والياسمين واستخرجوا من ارواح
 زهورها العطورات الفاتقة والروايح الذكية وانشاوا فيما وراءها غيب
 الزياتين الممتدة لبعده ستين ميلا عن صفاقس وشجرها اصبحت عدلا في درجة
 الملايين بحيث ان جهتهم بعد نحو عشرين سنة من نصب الحماية صارت ذات
 متاجر رابحة واسواق نافقة استكمل نصابها بفتح مرساها في سنة ١٨٩٧ ثم
 بتأسيس سكة الحديد الجامعة بينها وبين قفصة والمتلوي لنقل الفسفاط
 واصداره على طريق صفاقس لجهات المعمورة

فلما قدم لزيارتها فخامة رئيس الجمهورية مساء يوم الخميس ٢٠ في
 افريل ١٩١١ كانت مدينتها قد لبست من لبوس الزينة ثوبا قشيبا واهاليا
 واعيانها قد تاهبوا لتلقي الرئيس العظيم والضيف الكريم بما يناسب فخامته
 من الاجلال ويشهد بتعلق واخلاص عموم الصفاقسيين للدولتين الحامية
 والمحمية ولدى نزول فخامته لرصيف المحطة ادى له مراسم التهنئة والاحترام
 جناب مسيو سلمون المراقب المدني يتبعه كاهيته وخليفته العمل لتعذر
 حضور عاملها السيد العربي الجاولي الذي عاقه المرض عن المشاركة في
 ذلك الاحتفال وكان وراء المراقب والخليفة جماهير الاعيان والمتوظفين
 من كافة الطبقات وفي جملتهم الادارة البلدية والعلماء وقواد الجيوش
 واذاك تقدم جنابه لبطحاء السكة الحديد حيث صفوف السبايس
 وجموع المرادين ووفود الاهالي واستحضر نخبة من العساكر الذين كانوا

حاربوا بالمغرب الأقصى ووشح صدورهم بالميدالية المراكشية ثم رفع رتبته
 الماجور شانبنوا كمدان الاي السبايس للصف الثالث من وسام الشرف
 وبعد ان نظر لجموع المريدين ووفودهم وشكر صنيعهم انتظم موكبه
 وسار خلال شوارع المدينة وكانت تتمايل طربا وسرورا وانهاجها مرصعة
 بالجيش من كافة الاسلحة وكان الناس في خليط عظيم فوق صعيد
 فالقت اختلاطهم انظار فخامتة لامتزاج العنصر الصفاقي بالعنصر
 الاروباوي مما حمله على الاعتقاد بكمال استعداد الاهالي هناك وكانت
 نوافذ البيوت ومشارف الدور غاصة بالمتفرجين وهتاف السرور تلهج به
 صدورهم فيردد صداه قرع الطنبور وعزف المزامير وقعقة السلاح وكان
 رجال الكنيسة وهم قوم يركضون في كل ميدان ويهبون مع كل ريح
 يضربون نواقيس بيعهم وديورهم بافراط غريب فكان مجموع ذلك يحاكي
 منظرا من مناظر مدينة بابل ايام تبلبل الالسنة قبل مناجاة الكلیم
 ودك الطور



البطحاء البلدية بصفاقس

وبعد ان طاف ركابه باحياء المدينة قصد دار المراقبة المدنية وهناك
انتظم في الحال موكب القبول فتقدم اولاً للسلام على فخامته نواب المعمرين
واذاك القى عميدهم مسيو شاتيل رئيس الحجرية الزراعية التجارية خطاباً
قال فيه

يا فخامة الرئيس

ان في زيارتكم ضمناً نفيساً ودليلاً على العناية العزيزة التي لكم
نحو الجالية الفرنسية النشيطة المشهورة بالشجاعة وباتلاف عناصرها
المتحدين على تحقيق امنية وحيدة الا وهي احياء هذه الناحية وغرس
محبة فرنسا في قلوب اهاليها - وان لنا الرجاء الوطيد بان هذه الزيارة تبقى
لها بمحفوظكم ذكر جميل يبعث فينا روح النشاط والحث على العمل
فاجابه فخامة الرئيس بخطاب نفيس هكذا عبارته

انه لا يروق لي ان اشكركم على هذه الاحساسات الوطنية التي
عرضتموها علينا باسم النزلاء الفرنسيين بصفاقس واني ابلغكم عبارات
التحية والاعزاز بالنيابة عن ام الوطن واهنيكم عن اخلاصكم الذي جعلتم
به مدينة صفاقس عاصمة فرنساوية بكل معاني الكلمة اذ كلنا نخدم
لاعلاء العلم الفرنسي الخافق فوق رؤسنا - هذا ولا شك انكم قد
فهمتم معنى حضور الاساطيل الثلاث التي وفدت للسلام علي بميلا بنزرت
واستدلتم منه على عظمة شان فرنسا في نظر دول العالم اما انا فاني لمفتخر
بذلك نيابة عن بلادي وعنكم انفسكم لانه حرك فينا شعار الغيرة والنخوة
الوطنية اذ ترجم على ما لفرنسا من الاعتبار في الدنيا واني لغني عن الاعراب
اليكم بما ذا سيقى خالداً بمحفوظي من زيارتي لصفاقس وكذلك عما

سبقتي منه بخلد وزراء الدولة الجمهورية القادمين معي لاستطلاع احوالكم
والكشف عن رغائبكم .

ثم ان فخامة الرئيس تلقى زيارة خليفة العمل يعضدا لشيخو المجلس
الشرعي والخلفوات والمشايخ والعمد والاعيان فالقى الخليفة المذكور على
مسامحة العبارات الآتية

ان قدوم فخامتكم لصفاقس قد سمح لنا بالاعراب عما يختلج بضمائرنا
من الاعتراف بالجميل للامة الفرنسية التي بسطت على مدينتنا الوية
التمدن والخيرات الوفيرة وهذا الاعتراف دين عن قرض اخذنا منها لذلك
لا نبرح عن الوفاء به باظهار تعلقنا البالغ حد النهاية بامتكم العظيمة - هذا
ونبتهل الى الله ان يضاعف انشراحكم في رحلتكم هذا وان يديم علينا
التفاتكم ويبقى ذكر صفاقس متعلقا بدهنكم بعد رجوعكم للديار الفرنسية
كما نسأل تعالى ان يديم حياتكم وحياة الدولة الجمهورية

واذاك قامت ضجعة بلغت عنان السماء لان عموم الاهالي الحاضرين
نادوا بقولهم « ابعش فليار ولتعش الجمهورية »

وقد اجابه فخامة الرئيس بالعبارات الآتية

نهنيكم عن هذا المقاسد الحسنة بالنيابة عن الامة الفرنسية والدولة
الجمهورية ونصرح لكم بما هو متعلق في اذهانكم من كوننا لانرضى
إلادوام الالفة بين الفرنسية والتونسين لان فرنسا امة كريمة
وهمتها منصرفة لازالة العثرات التي يمكن ظهورها بينكم وبيننا - هذا
وقد قلت لانا انكم تحبون فرنسا فانا اقول لكم ايضا ان فرنسا تحبكم اما
ما يخص عقائدكم وشعائركم الدينية فانه لا يخطر ببال احد العبث بها

لان مرادنا الوحيد هو القيام في هذه الارض بمشروع مسماها الحماية
والمسالمة وهو مشروع قدمنا لكم فيه عربون صداقتنا - من اجل ذلك
يكون اشتراككم في العمل معنا بضم مجهوداتكم لمجهوداتنا مصدر خير
يعم الجميع لانكم تمثلون عنصرا من العناصر الدائمة على تحقيق عمران
بلادنا وهو الامر الذي يمنحكم حق الاعتماد علينا ويحملنا على الاعتقاد بما
لكم مع رجال الاستعمار الفرنسي من التعلق بالمشروع العظيم المشترك
بينكما بانكم ستخدمون بقلب واحد في سبيل اعلاء شان وعظمة فرنسا
ولي الرجا بانه اذا جاءكم في مستقبل الايام الرئيس الذي سيخلفني
في الخطة تتولون معه الكلام مباشرة وتعربون له عما في ضمائركم بدون
واسطة ترجمان

فتلقى اولئك الاعيان من الصفاقسيين خطاب فخامة الرئيس بمظاهر
الشكر والامتنان وانصرفوا وكلهم السنة ناطقة بالدعاء

هدا وبعد ان تلقى الرئيس مراسم التهنئة من بقية الطوائف اقام
فخامته مادبة خصوصية دعا اليها رجال حاشيته وبعض الدوات وكان في
جملة هؤلاء ضابط زنجي من ضباط الاي السبايس سمح فخامة الرئيس
باستدائه لتلك المادبة وفقا للتقاليد المتبعة في مثل هذه الحال حيث
كان ذلك الضابط السنغالي هو الكمندان للعسة التي تولت الخدمة بدار
المراقبة في تلك الليلة

ولما كان فخامته في مجلس سمرلا بعد العشاء حضر بيطحاه المراقبة
وفد من الاهالي لا يقل عن اربعة الاف نفس وقدموا لفخامته هدية من
تايج مصنوعاتهم المحلية وهي عبارة عن اربع زرابي بديعة النسيج

والصنع طول كل منها عشرة اذرع في عرض سبعة وبعض صناديق من
 العطور فتكرم فخامته بقبول تلك الهدية وشكر سعيهم بعبارات
 ضاعفت سرورهم فرطبوا السنتهم بالدعاء لفخامته وهتفوا بالثناء عليه
 وفي تلك الليلة اقام المجلس البلدي بصفاقس مادبة فاخرة دعا اليها
 الوزراء والكاتب العام للامور الادارية واكابر الدوات واهل الصحافة
 وبعض الاعيان

وكان المتراس على هذا المادبة جناب مسيو بامس وزير الفلاحة
 فخطب في اخر الطعام كما خطب جناب مسيو كوشري وجناب مسيو
 بوشي وكلاهما من الوزراء السابقين ومن ملاكة الزيتون بصفاقس
 ودامت الموانسة في هذا المادبة الى ساعة متاخرة من الليل

وفي هذا الليلة اي ليلة الجمعة ٢١ افريل ١٩١١ هددت المطر
 نوعا ما وانقشعت الاسحجة المتلبدة بين السماء والارض منذ الثلاثة الايام المتقدمة
 إلا ان السماء جاد بمدرارة من جديد في بكرة اليوم الذي اسفر عنده
 صباح تلك الليلة فتوانى فخامة الرئيس في الخروج الى نحو الساعة الثامنة
 صباحا واذاك انتظم موكبه لان المطر المتنازل من قبل عصفت فيه
 الرياح فاذرت سحبها وقامت الغزالت مقام الضباب

فلما ادت العساكر مراسم التحية لفخامته تحرك ركابه قاصدا زيارة
 غابة الزيتون الواقعة مغربي صفاقس والممتدة بدواخل الارض لبعدين
 ميلا عن المدينة وهذا الغابة هي مناخ الاستعمار الفرنسي بالملك
 التونسية وجل ملاكتها من اصحاب السطوة والثروة بفرنسا وتونس

وكان انشاءها بطريق المغارسة والمشاركة في المال والرقبة بين اولئك المعمرين وانصفاقسيين فعلى هؤلاء اليد العاملة وعلى اولئك الامدادات المتواصلة وتعرف ارضها في القديم بارض السيليين تولت الدولة اقطاعها او ايل دولة المرحوم علي باي واحيا تربتها الخصبة الصالحة جد الغراسة الشجرة المباركة وقد تقدم لك فيما نقاننا عن معجم البلدان من ان صفاقس كانت سوق زيت نافقة في المائة الخامسة فما بالك وهي اليوم في القرن الرابع عشر للهجرة وان شئت قلت في القرن العشرين للميلاد قرن المواهب العلمية والمقاصد العملية التي حركت الجوازي المنشأة في البحر كالاعلام ومزقت احشاء الفضاء بالسيارات الجوية وما يدريك ما ذا سيكون بعدها من الكرامات البشرية في مستقبل الايام

فلما خرج الركب الرئيسي للكشف عن غابة صفاقس كان محل وجهته النقطة الهندسية الواقعة فوق الربوة المسماة اطوال الشريدي على نحو عشرين ميلا من المدينة والمشرقة على الغابة لمد البصر وكانت حوالي النقطة مساكن نجع من العرب الرحالة في عدد ستين بينا ياهلها اكثر من خمسمائة رجل جاءوا بنسائهم وذراريهم ورواحلهم من جهة ترياقم حيث مواطن فريق اولاد بن جروي بقصد حراثة الزيتون فكان منظر خيامهم في حال اختلاطهم بابلهم وخبولهم واحمرتهم وانعامهم ونسائهم وولدانهم منظر الاستغراب والاعتبار من الزائرين ومما زاد هولاء رغبة في استقراء احوالهم اصداغ النساء بالولولة عند دخول فخامة الرئيس وسط النجع وقد استفهم فخامته معنى تلك الولولة واجيب بانها كناية في عرفهن على الفرح

والسرور ثم دخل فخامته بيت شيخ النجع وكانت مفرشة بالزرابي من
نوع المرقوم وتامل طويلا من نسيج بدوية كانت بصدد العمل ثم من
حركة اخرى كانت تصنع كسكسون وثالثة كانت تهباً شواء على مقربة من
الخيام وبعدئذ ارتقى فخامته الربوة للاشراف على الغابة فنهض من ورائها
جم غفير من الناس يناهز عددهم الالفى رجل يصحبهم نحو خم مائة من
الفرسان الراكبين ظهور الصافنات الجياد وحيثئذ اجرى اوائك العربان
ملعبا ببيجا حمل فيه الفرسان حملة الشجعان واطلقوا فيه من البارود ما اسود
له وجه الافق وكان ختام الملعب بحضور الجمل الحامل « للجحفة »
المحجوبة بوسطها العروس (الخيالية في واقعة الحال) فتلاحم المتزاحمون
على نيل شبابها وانتهى الامر بتغلب القوي على الضعيف فاخطفها وطارها
مع الطائرين

وبعد ان استفاد فخامة الرئيس من التقارير المستفيضة التي قام بها لديه كل
من الوزيرين السابقين مسيو كوشري ومسيو بوشي وسرح طرف الطرف
خلال تلك العروس الباسقة والثروة الخاققة شرب فخامته نخب جمعية
الاستعمار بصفاقس بعد ان القى على مسامعه مسيو جان بوشي الخطاب
الوجيز الاتي

يا سيدي الرئيس

في اعماق هذه الارض التي اختلط اديمها بطينة البشر والتي كانت
مهذا للمدنيات التي عفت رسومها قد غرس معمرو صفاقس اسم فرنسا
وسمعتها بصورة تدوم الى ما شاء الله وختموا على ذلك بعروق شجرة الزيتون
التي هي شجرة الخلد

وقد اجابه فخامة الرئيس بعبارات التهنئة وزاد قائلا « ان فرنسا لا تروم الفتح بالسيف بل مرغوبها امتلاك القلوب بالحسنى وفتح الارض بالقواعد التي مستندها العلم والعلم حليف الترقى والترقي اليه المعمرين والمعمرين انما يعملون لاعلاء شان فرنسا وتخليد ذكرها في بطون التواريخ »

ثم قال « وقد اخذنا كلنا حظنا من هذه المناظر البديعة حتى اولئك الفرسان الذين ما احقهم من شبه بخطاطيف الصحاري تلك القفار التي كانوا وحدهم روادها قد شاركوا في مظاهر الفرح بنخوتهم العريية وحملتهم على هذا الجبل حملة الشجعان »

هذا وقد تضمنت عبارة خطاب مسيوبوشي فكرا تضمنه بيت من الشعر لابني العلاء المعري بما دل على توارد الخواطر بعد الف عام بين الضرب الناشي بين جدران معرة النعمان وبين الفرنسيين والنابت على ضفاف نهر السين بباريس قال المعري

خفف الوطء ما اظن اديم الا رض الامن هذه الاجساد

وقبيح بنا وان قدم العهد هوان الالباء والاجداد

ثم انعم فخامة الرئيس على سي علي بن القروي خليفة ترياقة واولاد

ابن جوري بوسام اللياقة الزراعي وعاد في موكبه المهيب لصفاقس حيث

تقدمه وصول تلغراف من الحضرة العلية في تجديد عهد المودة والسؤال

عن احواله اثناء رحلته واذك توجه لزيارة مرسى المدينة والكشف عن

حركتها تجارتها النافقة فابتدا بزيارة معرض النشاف الذي احكم ترتيبه

قبطان المرسى ميسو كبرياتا وبالتامل من المعروضات والايضاحات التي
 القاها على فخامته ميسو لنبيس وكيل المعرض اعجب فخامته من الحكمة
 البالغة المحيطة بخلق النشاف ثم تأمل من مجموعة نشاف من اشكال واجرام
 شتى وزار محلات التحليل الكيماوي للتناجج البحرية وتنقل لمركب
 شراعي يوناني خاص بصيد النشاف وشبهه فنزل بمحضرة اربعة من
 الغواصين لاعماق البحر واستخرجوا ما وصلت اليه ايديهم من النشاف
 الحي المتحرك فقدم له حينئذ شاب ارناووطي من الصيادين نشافة ضخيمة
 ومجموعة نشاف مستكملة على وجه الهدية تذكارا لزيارته المركب ثم عاد
 للبر واستكشف احواض تربية النشاف وتضخيمة بالطريقة العلمية وبعد ان
 القيت على مسامعه تقارير ضافية واحصائيات غريبة تتعلق بحركة الاتجار
 في النشاف المقتنص من مياال العمالة التونسية تنقل فخامته لزيارة الرصيف الخاص
 بوسق الفسفاط الذي تصدره مناجم المتلوي بعمل قفصة وهناك شاهد امورا
 مدهشة من ذلك العربات النقالة للفسفاط التي تحمل الواحدة منها ما يناهز
 الثلاثمائة طنلاطة في الساعة وهي عربات تتلقى موسوقها بواسطة دواليب
 تديرها الكهربية فينبعث اليها الفسفاط من مخازنها ومنها يتحول بنفس
 تلك الطريقة الى البواخر المكلفة بنقله لانحاء المعمورة وبعد ان افاض
 مدير شركة الفسفاط القول في ذلك وايد تقاريره بالشواهد والارقام
 المدهشة الناطقة بان مناجم الفسفاط بالجريد هي عبارة عن كنز لا يفنى
 وثروة لا تبلى اظهر فخامته انشراحه لوفرة تلك الخيرات التي اكتسبتها
 العمالة بفضل رجل من خيرة الفرنسيين وهو الفقيد فليب طوماس المتوفى

عام ١٣٢٨ الفارط - اما الفسفاط فسياتي الكلام على ماهيته ومادته في
مجلس من هذه الرحلة

وعلى الساعة العاشرة من صبيحة ذلك اليوم عاد فخامته للمدينة وتوجه
لزيارة المكاتب فزار المدارس العليا لذكور والانات مصحوبا بجناب مسيو
شارلتي مدير العلوم والمعارف ومنح كافة التلاميذ راحة ثلاثة ايام فسادوا
جميعا « ليعش فلبار » ومن هذه الزيارة توجه للمجلس البلدي حيث
استقبله كاهيته مسيو جيرار وكافة الاعضاء البلديين وهناك انعقد موكب
القبول فدخل على فخامته وفد النزلاء الفرنسيين فكمدان قلعة صفاقس
فاركان حربى فعمد الاهالي واعيانهم فنواب الجالية الطليانية فنواب الجالية
المالطية فنواب الطائفة الاسرائيلية

وبعد ان تسقى من جميعهم مراسم السلام والاحترام نطق بين يديه
كاهية المجلس البلدي المذكور بالخطاب الاتي

يا سيدي رئيس الجمهورية

انني بالنيابة عن سكان مدينة صفاقس التمس من فخامتكم قبول مراسم
التوقير والتكريم وشعائر التعلق بالدولة الجمهورية واتشرف بتهنئتكم بالقدوم
المبارك

هدا وان ذكرى زيارتكم هذا يا فخامة الرئيس ستبقى منقوشة
على صفحات قلوب سائر الصفاقسيين لانها تقدمت بهم شوطا زائدا في سبيل
المدينة وفتحت في وجوههم دور عصر جديد في مسالك الرقي بافتتاح
السكة الحديدية الجديدة التي ستربط سوسة بصفاقس والتي سيتم بها
ذلك المشروع الذي قامت به الحماية الفرنسية في هذا الجهة

ان صفاقس كانت لثلاثين سنة فارطة عبارة عن مرفا كاد ان يكون
مجهولاً لا يتجاوز سكانه العشرين الفا اما اليوم فبفضل فرانس وبهمة اولئك
الرجال العظماء اي الوزراء المقيمين ومديري الادارات الدولية على
اختلافها قد اصبحت تعد تسعين الفا من السكان

ففي مدة قصيرة جدا من الزمن منحت صفاقس مجموع طرقاتها
الاستعمارية كما منحت سكتين حديديتين احدهما لخدمة المعادن وهي
سكة يحق للشركة التي بنتها على نفقتها الافتخار بها والاخرى جمعتهما
بعاصمة البلاد يعني وقع بها تدانينا من ام الوطن واما قريب سيتم بها
جلب المياه الصالحة للشرب فتنمو بذلك ثروة جهاتها الجميلة

وهذا غابة الزيتون البهيجة التي شرفتمونا يا سيدي الرئيس بزيارتها
هي ثمرة الكد المتواصل الذي استعمله جماعة من المعمرين الفرنسيين
بمشاركة الاهالي والذي استعمله الاهالي ايضا بانفسهم وهو كد
حصل تحت العلم المثلث وعنوان على المدينة والمواخاة ودليل على الوفاق
الوطيد بين العنصرين لان سكان صفاقس المتكونين من اجناس شتى
يعيشون على بساط التحاب البالغ حدا حيث كان مبداهم « العمل »
لذلك يكونون سعداء الحظ باغتنام هذه الفرصة لشكر جناب الوزير
المقيم العام عن كل ما جاد به على مدينتنا ونواحيها من المشروعات
الاقتصادية التي سيتحقق بها اتساع نطاقها ولافصاح لدى فخامة راس
الدولة الجمهورية الذي هو الروح المتجسدة من فرنسا حاميتنا عن
كامل اعترافهم بالجميل واما لهم نحو فرنسا من التعلق والاحترام

وقد اجاب فخامة الرئيس معربا عن ارتياحه للبارات التي القاها كاهية المجلس البلدي و اضاف لذلك قوله انه عند ما يزور مدينة يتحتم عليه التوجه لمجلسها البلدي لرد السلام على نوابها والدعاء لهم بالنجاح ثم قال ما لفظه « واني اغتنم هذه الفرصة لاثني على سكان صفاقس جميعا عما قاموا به نحوي البارحة واليوم من الحفاوة والاكرام »

ثم ان مسيو فليار اقترح على مسيو جيرار ان ينهي شكراته لمساكنيه ولمح في كلامه لفقرة من خطاب مسيو جيرار فقال انه ولئن كان الفضل في ان جل الترقيات التي احرزت عليها العمالة عائدا على المقيمين العامين الذين تناوبوا الامر بالايالة فان الفضل في تلك الترقيات ايضا راجع الى السكان اصحاب النشاط والبسالة والى ابناء العنصر المكند في العمل ثم الى مجهوداتهم التي يحق ان ننسب اليها تعاضم وعمران العمالة التونسية - ثم علق مسيو فليار كلاما على تلك الترقيات فقال « عند رجوعي لفرنسا ساقول ان امتنا امة استعمارية بكل معاني الكلمة وفي محفوظي كثيرا ما سمعت مذ كنت صبيا ان فرنسا ليست بدولة استعمار فبرهنت لي زيارتي اليكم هذا المرة وزيارتي قبلها للجزائر بصفة عضو بدار الندوة على ان في طوعنا ادراك درجة الامم التي غلبت عليها شهرة الحدق والمهارة في الاستعمار »

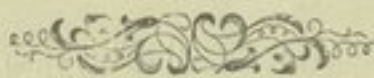
« وان الفرنسيين ليس لهم في هذا القطر ان يشتغلوا بسياسة غير التي يبرهن بها للعنصر الاهلي عن كوننا لم نجني تورا للغزو ولكن جيناها لتوطيد عرى الراحة والسلام »

ثم قال فخامته « في ساعة الافتراق يقول المتواجفون لبعضهم وان
 هاء الله تتقابل بعد ايضا ولذلك فالبرغم عن كبر سني ارجوان اعود في
 احد الايام لزيارة القطر التونسي عندما تسمح لي الظروف بذلك »
 وفي الختام صافح فخامة الرئيس مسيو جيرار وبارح قاعة الاستقبال
 بين نغمات النشيد الوطني الفرنسي بلسان مويسقى جمعية الالحن
 الصفاقسية وبين هتاف الحاضرين وعبارات الدعاء له وللجمهورية
 بطول العمر

ثم لما انتهى موكب القبول بالمجلس البلدي عاد فخامة الرئيس وحاشيته
 لدار المراقبة حيث اقام مادبة خصوصية انيقة لوزرائه ورجال معيته والوزير
 المقيم والكاتب العام والمديرين الذين بصحبته من اعضاء الدولة التونسية
 والمراقب المدني وبعض الدوات وبعد ان استراح قليلا تصدق على جمعيات
 الفقراء والبايسين بالف فرنك واذن بالتاهب للرحيل فانتظم موكب ركابه
 باصطفاف نحو الثلاثين سيارة سريعة امام باب المراقبة وركب فخامته لمضى
 ساعة ونصف من الزوال وتحرك الركب على نغمات المويسقى العسكرية
 وبين اسمطة الجند قاصدا قابس سائرا تحت الغمام وكان ذلك الوايل باعشا على
 سرور اهالى تلك الجهة التي اعتادت على الطل في مثل تلك الاوقات من الربيع
 فتفأل اهلهما خيرا من مرور الرئيس بديارهم وتوسموا فيه « البركة والصلاح »
 ونعته بعضهم اذالك (بالرئيس المرابط) قالوا ان المطر الذي جادت به السماء
 في تلك الآونة يناهز الميالا التي نزلت مدا الثلاثة الاعوام الاخيرة جميعا

قلت فاذا صحت هذه الاحصائية كان على الصنف اقسين ان يحمدا
الله الذي اتقدهم من الفرق - فلما مر الركب بالمطرية الواقعة على عشرة
اميال من صفاقس خرج اهلها وتجمعوا تحت النخيل واستظفروا بشعائر
احترامهم واخلاصهم لعظيم الامة الحامية

هذا وكان البعد الفاصل بين صفاقس وقابس يبلغ مائة واربعين ميلا
كلاهما من الاراضي المدحولة بعضها صالح لغراسة الزيتون واغلبها ارض رملية
مغمورة بالعوسج والذرو والنباتات الوحشية خلاها اكثر من عمرانها
بلوح عليها الفقر من بعد عدا الحمير بها فانها كثيرة جدا



الباب الخامس

في الكلام على قابس وواحات النخيل وبر الاعراض

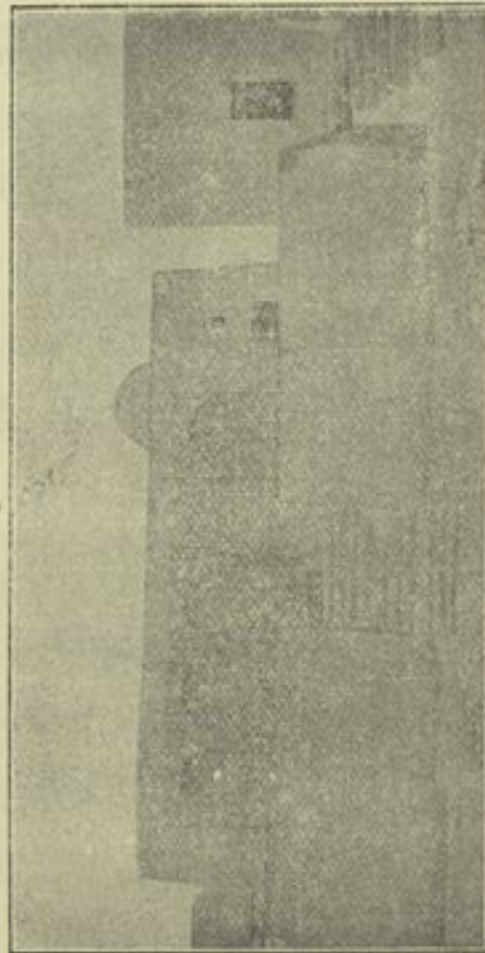
ونفزاوة والجهات الصحراوية

قابس بلاد الصحابة والتابعين من اقدم بلاد الاسلام طفحت بذكرها
كتب التاريخ كان اسمها على عهد الرومان « تاكاب » فهي من
مستعمراتهم الافريقية وكانت لعدهم بدرجة راقية من المدينة
فلما فتحها الاسلام في خلافة سيدنا عثمان بن عفان كان البرابرة قد
دمروها تدميرا إلا ان العرب الفاتحين ومن انضم اليهم وجاء بعدهم احيوا
رميمها فكانت في ايام عبید الله البكري المؤرخ (مدينة جليلة مسورة
ذات حصن حصين وارباض وفنادق وجامع وحمامات كثيرة قد احاط
بجميعها خندق كبير يجرون اليه الماء عند الحاجة فيكون امنع شيئا)
وجاء في معجم البلدان ان (فيها جميع الثمار والموز فيها كثير وهي
تمير القير وان باصناف الفواكه وفيها شجر التوت الكثير ويقوم من الشجرة
الواحدة منها من الحرير ما يقوم من خمس شجرات غيرها وحريرها اجود
الحرير وارقم واتصال بساتين ثمارها مقدار اربعة اميال)

والى قابس ينسب جماعة من مشيخة العلم اشتهروا في المشرق والمغرب
وممن اتنى عليها واطنب في الكلام الشيخ ابن الشباط قال ناقلا

عن والده

لقد كنت من قبل التفرق مذهبي سوى ما عليه الاشعريون اطبقوا
فاني المسمى غير الاسم فما انا اقول سوا حين جد التفرق
الم تراني كلما قلت قابس فما قبس من جانب القلب يحرق
وان قلت ان الشمل منها ممزق فان فؤادي عند ذلك يمزق
وبقاس دفن جماعة من الصحابة والتابعين منهم سيدنا ابو لبابة
الانصاري واسمه بشر بن عبد المنذر مات رضي الله عنه في خلافة سيدنا علي
ابن ابي طالب واليك منظر من مشهده



ضريح سيدنا ابي لبابة الانصاري دفن قابس

ووصفها الشريف الادريسي في نزهة المشتاق فقال « وقابس مدينة جليلة عامرة حفت بها من نواحيها جنات ملتفة وحدائق مصطفة وفواكه عامة رخيصة وبها من التمر والزرع والضياع ما ليس بغيرها من البلاد وفيها زيتون وزيت وغللات وعليها سور منيع يحيط به من خارجه خندقه ولها اسواق وعمارات وتجارات وبضاعات وبها مدايح للجلود وبها ايضا نخل ملتف به من الرطب الندي لا يعدله شئ في نهاية الطيب وذلك ان اهل قابس يجنونها طرية ثم يودعونها في ذنانات فاذا كان بعد مدة من ذلك خرجت لها عسلية وليس في جميع البلاد المشهورة بالتمر شئ من التمر يشبهه ولا يحاكيه ولا يطابقه في علو كته وطيب مذاقه »

هذا وقد لهجت التواريخ التونسية بذكر قابس في مواطن كثيرة على عهد الدولة الحفصية ثم على عهد الدولة المرادية ودولة الدايات لما انها من الجهة الواقعة على ابواب طرابلس لذلك كانت الانظار منها بالمرصاد سيما عند ظهور شوكة الدولة العثمانية بطرابلس ولم يكن سفر احمد باشا باي اليها في سنة ١٢٥٦ لغير مقصد ارضاخها للسلطة المحلية وآخر عهد لها بالحوادث الهامة المتقدمة على الاحتلال الفرنسي ثورة غومة المحمودي في سنة ١٢٧٣ وكان غومة هذا من شعة بيت القرملي ملوك طرابلس وقد قاومه الامير محمد باي بكل عنف وقوة حتى اجلاها عن المملكة وكفا الاعراض شرًا

اما اليوم فقابس عبارة عن مدينة ياهلها نحو الاثني عشر الف نسمة وهي مركبة من ثلاثة بلدان قابس البحر والمنزل وجازة وعلى مجموعها يطلق اسم قابس وهي مركز عمل الاعراض الذي لا يتولاها في نظام الدولة التونسية إلا احد كبار العمال وقد اعتراها من الفشل في القرون الاخيرة ما اعترى

بقية البلاد التونسية الا انها قد انتهت لنحو عشرين عاما من سنة دعيتها
 وشمرت عن ساعد الجد لتدارك ما فات فزاحت جارتها عاصمة طرابلس
 الغرب واصبحت على وشك التمكن من ان تحول لمرساها راس خط
 مسير القوافل والتجارة المتباداة مع الاقطار الشاسعة بالصحراء الكبرى وما
 والاها من البلاد السودانية

فلما وفد لزيارتها فخامة رئيس الجمهورية مساء يوم الجمعة ٢١ من
 افريل ١٩١١ وكان ركبته على مقربة منها تسابق اهاليها لاستقبال جنابه ولم
 يصدهم اذاك نزول المطر الغزير عن تظاهرهم لديها في جموع عديدة
 وكانت قابس في تلك الاونة لابسة حلة الافراح والاعلام خاققة فوق دورها
 ومبانيها وكانت منافذ البيوت واعالي الطيقان غاصة بالمتفرجين الهاتفين
 بالدعاء لفخامته وارصفة الازقة والطرقات تتماوج بالخلايق من كل الملل
 والنحل حتى النساء فانهن كن يولولن حدو جموع المريردين والذاكرين
 الخاققة فوق رؤسهم سناجق السادة والصلاح

وكان الجيش قد اخذ مصافه لرد السلام على الرئيس الفخيم اما
 جنابه فكان على غاية من النشاط لم يحصل له تعب قط بالطريق لذلك
 اذن في الحال بانتظام موكب القبول

فابتدا فخامته اولا بقبول مراسم الولاة والاخلاص من جناب الكمندان
 بوان رئيس الاي التريس الخامس ومن الضباط واستعرض الجيش ثم قلد
 وسام الشرف للقبطان مورزاي وخاطب رئيس الاي بقوله

« اني كنت ولا ازال احب الجيش لانه هو الممثل لمجد الامة في
 الماضي والحاضر لذلك كان الجيش محل عناية الدواة في كل الاعصار

واني لسعيد الحظ بالسلام عليكم لانكم على مقربة من الحدود واشفع
هذه التحية بالاعراب عن ثقتي وثقة وزرائي بكم »

ثم تلقي فخامته بعد مراسم الاحترام والتهنئة من نواب قنصلات
ايطاليا وانكلتيرة والبلجيك فصرح فخامته لاوليهم بما داخله من السرور
لشواهد الوداد التي قام بها ماكماها اذ ارسلوا اسطوليها للسلام عليه
بميلا بنزرت

ثم ان فخامته تلقي زيارة النزلاء الفرنساويين واذاك قدمت له احدى
البنات من غصون الجنس اللطيف باقة من الزهور شفعتها بايات من الشعر
الفرنساوي وها انا اذا موديا هنا بمعانيها اللطيفة و اشاراتها الظريفة في نظم

عربي مبين

نفوسنا صغيرة عشيقها فرنسة
رضاع امهاتها مع لبن محبة
قلوبنا خاققة فرحها زيارة
ورحلة حافلة تحفها جلالة



في اعين كبيرة ذات الرئيس امة
بوطن مقدس شعارة حرية
ممجد الكليلكم في نظري واية
رموزها فخارنا وراية منصوره



هدية اليك ذي من الزهور باقة

تاخذها من يدنا كما اب وجدّة
 قليبنا داع لكم وهو لعمرى حجة
 دليها قولي هنا تحي لكم فخامة

فشكر فخامة الرئيس والد البنت الشاعرة ثم قصد بالخطاب مجموع

المعمرين وقال

« لنا العلم بما تعملون بهذه الارض وبما لكم من اثبات وصحة العزيمة
 لذلك نتلقى شعائر احساساتكم بجوارح قلوبنا الخافقة حول اتحادكم مع
 الاعتقاد بان تعلقكم بفرنسا يزداد متانة بقدر ابتعادكم عنها - اما انا فاحثكم
 على اعانتنا لانتشال اذهان الامة التي تعيشون بين اظهرها »

فأثر كلامه في الحاضرين تأثيرا غريبا حتى انه تقدم نحوها من اخريات
 القوم شيخ هرم كلمه باللسان الدارج الفصكوني الذي هو لغة مسقط
 راس فخامة الرئيس قائلا له « اسمح لي بمصافحتك لاني لا امل لي في
 رايتك بعد حيث كنت أسن فرنساوي اقلته ارض قابس » فضحك
 الرئيس واجابه بلسانه قائلا « انا ايضا مسن مثلك ويعجبني ان اصافحك
 واحييك تحية قلبية » ثم صافحه مصافحة كريمة ودعا له بطول العمر فأنس
 منه الشيخ الفصكوني لطفًا وشكرًا وقدم له احفاده للسلام عليه

ثم تقدم للسلام عليه المعلمون والمعلمات فافاض القول في اطرائهم
 واوصاهم بالناشئة خيرا

وتلقى على اثر انصرافهم مراسم الاحترام من المتوظفين والمستخدمين
 بالادارات العمومية فخاطبهم بقوله

« ان لكم نصيبا وافرا في فتح هذه الارض بالطريقة السلمية وسيبقى ذلك محفوظا بخلدي فلا انسى بعد تونس وقابس بالرغم عن هذا المطر المتنازل بل لاجل هذا المطر الذي هو نعمة ورحمة - لاشك ان قطراته ستتحول ذهابا لتعمير كثير من الجيوب الفارغة »

ثم تقدم لفخامته جناب السيد محمد بن خليفه عامل الاعراض يعضده المجلس الشرعي والمجلس الافاقي ونائب الاعراض بمجلس الشورى وخلفاوات العمل وشيوخه وعمد القبائل والعروش واخوان الطرق ومشايخ الذكر وبعد ان قدم له العامل مراسم التهنئة والاحترام بلسان الجميع اجابه فخامته بالعبارات الاتية

« ان سياسة الحماية جلية لا غبار عليها وهي الامان بعينه اذ لا احد يجهل انه ليس من مرادنا العبث بشعائركم واخلاقكم لان سلطان العقيدة لا يهتك حرمة نعم ان المجال فيما عدا ذلك فسيح اذ في الامكان ملاقاته كل الناس على بساط الخيرية والعدالة لذلك نرى حقا عليكم انتهاج مسلك التوفيق بين العنصرين الاسلامي والاروباوي »

ثم ان فخامة الرئيس ختم الموكب بقبول مراسم التهنئة والاحترام من الطائفة الاسرائيلية فخاطب حبرها بعبارات جاء فيها قوله
« ان فرنسا لا تميز بين اصحاب المعتقدات المختلفة لان مرادنا ان شمل كل المستظلين بحمايتنا بالعدل والاحسان »

ولما ادى المترجم عبارة هذه الجملة بالعربية اليهم نطقوا بلسان واحد داعين لفخامته فنفضل بمصافحتهم واذاك تناولوا يدا بكل احترام وقبلوها
تقيلا

(١٧١)

هذا وبعد انتهاء موكب القبول اعد فخامة الرئيس مادبة انيقة دعا
للعشاء بها ثلاثين من الاعيان منهم العامل السيد محمد بن خليفة والسيد
الحبيب بن رجب العضو بمجلس الشورى واحسن لاولهما بوسام اللياقة
الزراعي من الدرجة الثالثة



جناب السيد محمد بن خليفة - امل الاعراض

ثم قضى فخامته ليلة السبت بدار المراقبة وفي صبيحته تاهب ركابه
للرحيل بقصد زيارة الجهات القاسية من العمالة وجعل وجهته قصر مدينين

فتحرك ركابه مصحوبا بوزرائه وحاشيته في نحو الساعة الثامنة صباحا
 وطاف باحياء قابس حيث زار معرض الزراعة والفواكه واعجب بنوع من
 الفراولة انفس مما هو موجود بغيرها كما تأمل بدقة من انواع حبوب
 الحنطة والشعير مظهرا اعتناها وتمعنه للافادات التي كان يلقبها في هذا
 المقام جناب مدير الفلاحة ومدير المعرض ثم خرج موكبا قاصدا واحة
 قابس لمشاهدة النخل الباسقات فاعجب بالتفافها وبما تكنه عراشها من
 التمر الشهي صنع الله الذي اتقن كل شئ *



واحة النخيل بقابس

وبعدئذ سار الموكب مجنبا مشرقا قاصدا قصر مدين حيث مناخ
الادارة العسكرية المهيمنة على الجهات القبليّة والقابضة على ازمة الحدود
الطرابلسية واخلاف تونس الصحراوية

وجهة قصر مدين كانت في غابر الازمان من المستعمرات الزاهرة التي
انشاها الفينيقيون بنحو الف عام قبل الهجرة ومنهم اخذها الرومان حوالي
القرن الثاني بعد المسيح وشيدوا بها البناءات الشامخة الباقية اطلالها ليومنا
هدا وجلبوا لها المياه في قنوات من الصخر من الوادي المعروف بواد الحلوف



قصر الحلوف على مقربة من قصر مدين

فكانت في زمنهم من المستعمرات الافريقية الطافحة بالعمرات
وكان مرساها التجاري ببخيرة بوغرارة جنوبي جربة
ولما فتح المسلمون افريقية كانت مدين على ممر الغزات وبالطبع انهم
فتحوها في جملة ما فتحوا اثناء حملتهم الاولى بقيادة عبد الله بن سعد بن ابي
سرح سنة ٢٩ على المشهور إلا انها كانت اذالك قاعا صفصفا لان البربر دمروا
البلاد واحرقوا الغروس ظنا منهم ان تفكير البلاد يحمل العرب على الرجوع

لاوطانهم بجزيرة العرب وهو وهم لان نور الاسلام كان يومئذ نضاحا يتزايد
 حيناً بعد حين ورجاله في مستقبل العمر لاهم لهم إلا نشر الويتة على العالم
 وهذا زيادة على ما اتت بها قبل من هجوم الوندال واستيلاء الروم عليها يقال
 ان مرسى بوغرازا وحده وهو فرع تابع اذلك لمدين كان ياهله على عهد
 الدولة الرومانية خمسة عشر الفا من السكان ولا يبعد ذلك لان البعرة تدل
 على البعير وهذه آثار ابنتهم الشامخة بتلك الجهة لم تزل ناطقة بما يؤيد
 وجود تمدن قديم كان اشرق ضوءه بتلك النواحي في الايام الخالية
 والعهود البالية

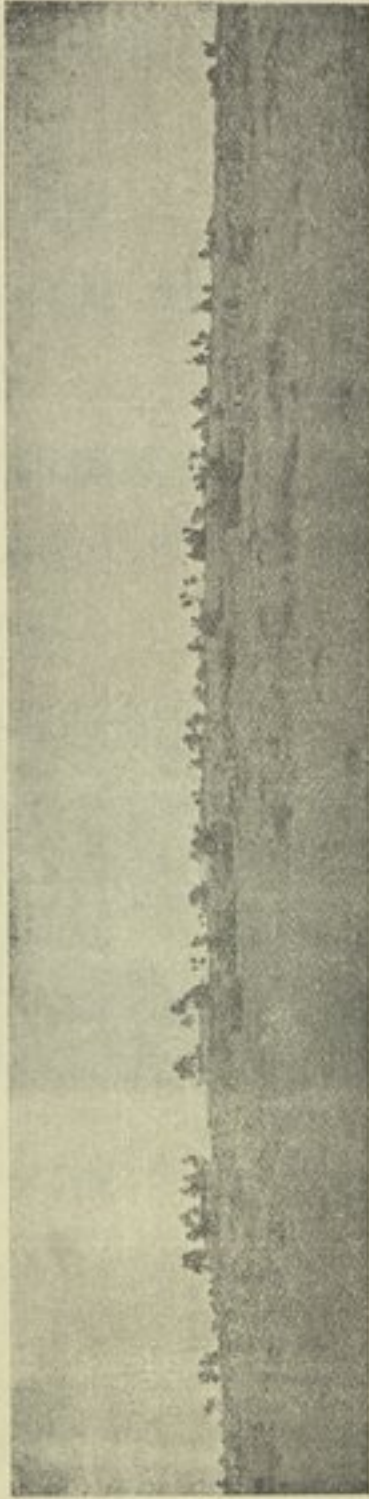


منظر الغرف وهي مساكن البدو بقصر مدين

وام يكن ذلك التمدن بالقاصر على مدين ونواحيها بل كان سلطانه
 ممتدا للجهات الشاسعة كنفزاوة وفم تطاوين وبن ثردان ومطماطة
 والدويرات وغمراسن والتوازين والخزور وعكارة والذهيبات والجنابن
 وسواهم مما يحسبهم الغافلون في زوايا النسيان

فلما جاء الاسلام احيا دارسها واعاد عمارتها فكانت جهاتها طافحة
 بالسكان كثيرة الخيرات والبركات وهكذا دام حالها الى عصور متاخرة
 انظر رعاك الله ما قال فيها الامام العياشي في رحلته التي كتبها بعد حجته
 الواقعة في عام ١٠٧٢ للهجرة حيث قال (وبلاد نفزاوة هذلا قرى كثيرة تقرب
 من الالف كل قرية منفردة وحدها على نشز من الارض بنخل مجتمع بازائها
 وماوها فيها حياض واسعة) ثم قال والحجاج يزعمون ان اصل تسمية
 هذلا البلد بنفزاوة انها كانت فيها الف زاوية فقبل لها الف زاوية ثم تصرف
 في التسمية فسميت نفزاوة وما ذكر ولا وان كان قريبا لا يصح لان تسميتهما
 بذلك قديمة من قبل الاسلام على ما في التواريخ والاصل المذكور عربي
 ولا عربية في المغرب قبل الاسلام اتفقا)





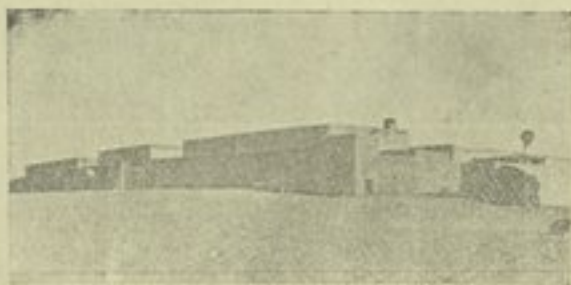
منظر من واحة دوز بصحرَاء قزاقوة

اما الان فعمرائها ضئيل جدا بالنسبة لما كانت عليه في زمن الامام
 العياشي لان قراها التي كانت اذالك تناهز الالف وهي رواية تدل على
 الكثرة ولو كانت فيها مبالغه فانها لا تتجاوز الخمسين قرية اهمها مدينة
 قبلي التي هي مستقر الحاكم العسكري الفرنسي المتامر على نواحيها اما
 واحات نخيلها كواحة دوز وواحة تلمين فانها في تناقص لهجوم الرمال
 عليها لذلك اقامت لها الدولة التونسية سدودا في سنة ١٣١٣ لرد تلك
 الهجمات التي لو دامت لقصت عليها



واحة النخيل بتلمين من عمل نفزاوة

اما قاعدة نفزاوة لمهدنا هذا فهي بلد قبلي وبها مركز العمل
 ومركز الحكومة العسكرية كما سبقت الاشارة لذلك



البرج الحربي قبلي من عمل نفزاوة

ومن اعمال مدنين فم تطاوين وهي عبارة عن واحه من النخيل لا



كيف يحرثون الارض بقم تطاوين

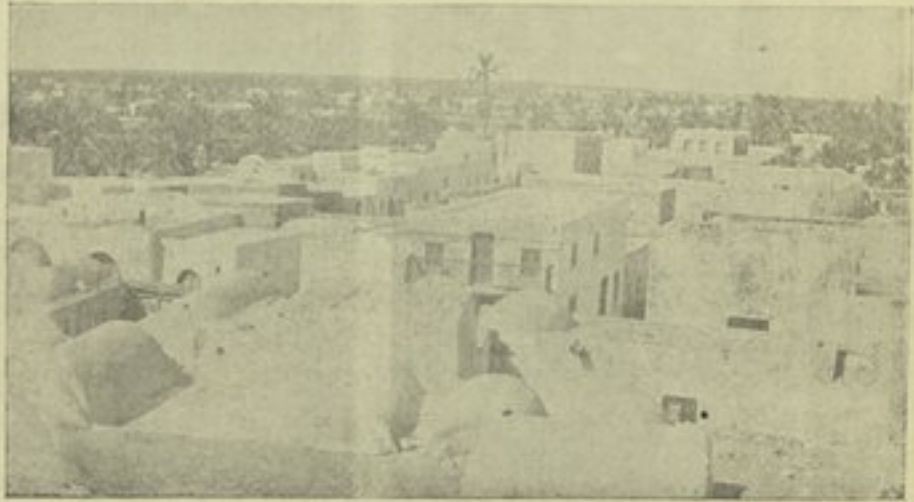
اجل من موقعها وبها مساكن الودارنة في الجبل الابيض وهم من نسل قبائل
زناته ويليها للشمال الشرقي بلد بن قردان وهي واقعة على بحيرة البيبان
اجبتها الادارة العسكرية في السنين المتاخرة لذلك كان بناءها ارقى مما عليه
قرى بقية قرى تلك الجهة



سوق بن قردان

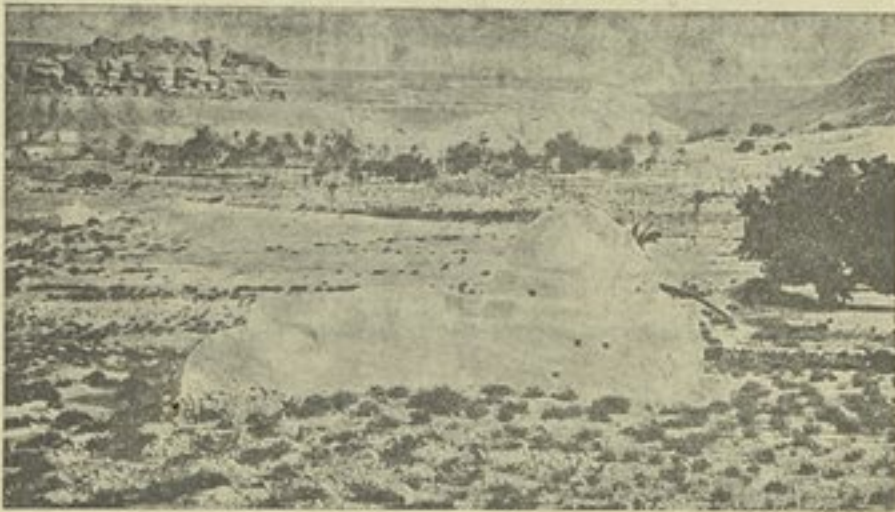
وبشمال مدينين لجهة الشرق مرسى جرجيس ولها سوق تجارة نافقة
وكانت على عهد الرومان مناخ نزهتهم ورياضاتهم وعرايشهم ولم تزل
مواجههم بها قايمة الذات الى الان بل وبعضها وقع الارتفاع بها كما وقع
الارتفاع بمواجل الميلا بقرطجنة حيث جعلتها الدولة التونسية خزانا لري
اهل تونس وهذا المواجه تاوي من الماء الزلال المجلوب من عيون زغوان
وجقار وبرفو كمية لا تقل عن خمسين الف متر مكعب

وقد وجه الاستعمار الفرنسي مهجته نحو جرجيس ففرس بها من الزيتون
في مدة هذا الثلاثين سنة نحو ثلاثمائة الف عود اثمر منها اكثر من الثلاثين
كما تعاطى المعمرون بها خدمة الارض باحياء مواتها والارتفاع بها لزراعة
الحنطة وخصوصا الشعير لمن الشعير النبات بارضها يخرج ايضا فضا وهو
النوع المرغوب فيه لصنع بعض الاشربة الروحية كالذي يسمونه « ويسكي »
ثم الجعة لذلك يقام اليها التجار الانكليز في موسم كل سنة ويشترون
شعيرها ويحملونه لبلادهم لصنع ما ذكر



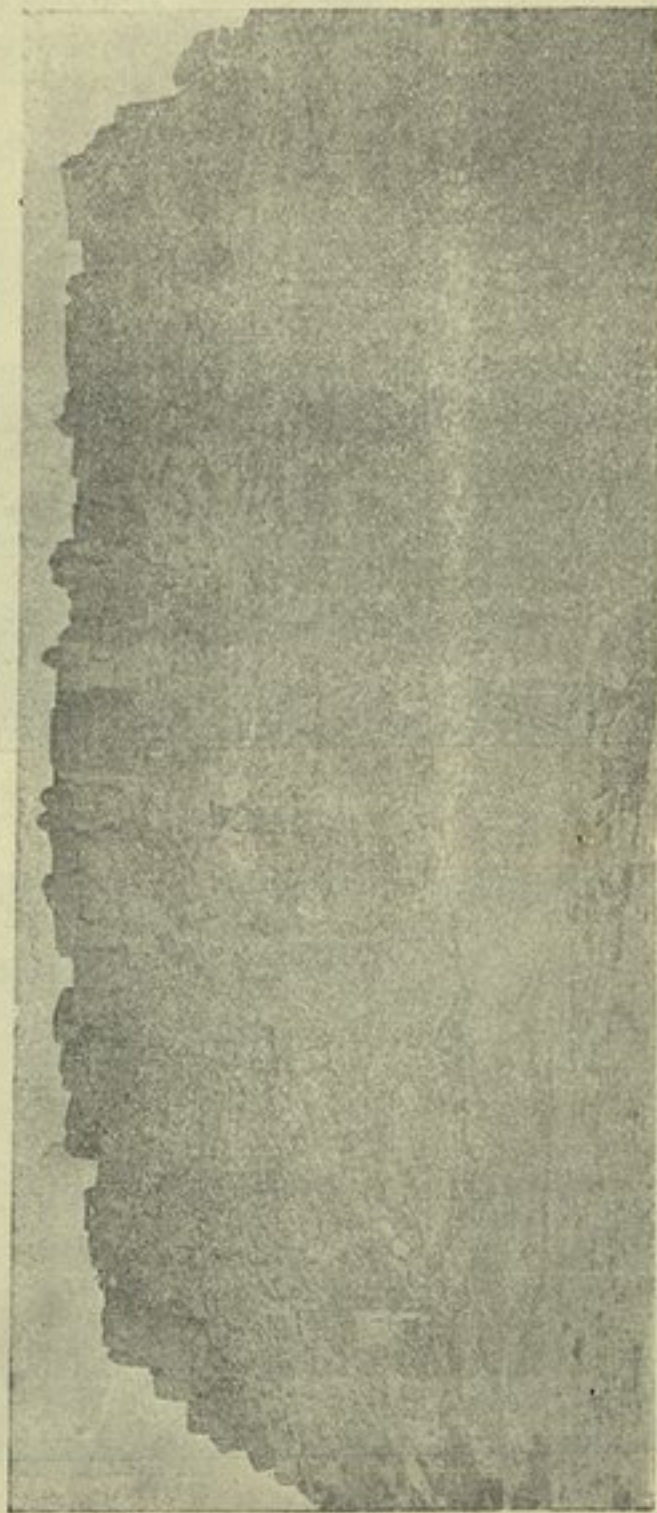
منظر مرسى جرجيس

ولغربي مدين توجد جبال مطماطة ويقال ان جدود اهلها من البرابرة
الذين اعانوا الكاهنة على تدمير افريقية اختلطوا فيما بعد بالعرب من بني
هلال وبقوا على تقاليدهم وعوائدهم يسكنون الغرف والاعشاش حيث
يختزنون اقواتهم بما يدلك على ما كان في طباع اسلافهم من الظنوب
والشكوك التي يستعدون نحوها لجمع المؤن بالبيت حتى يكون الفضاء
واسعا في وجوههم لمجرد الكر والفر



منظر جهة غمراسن

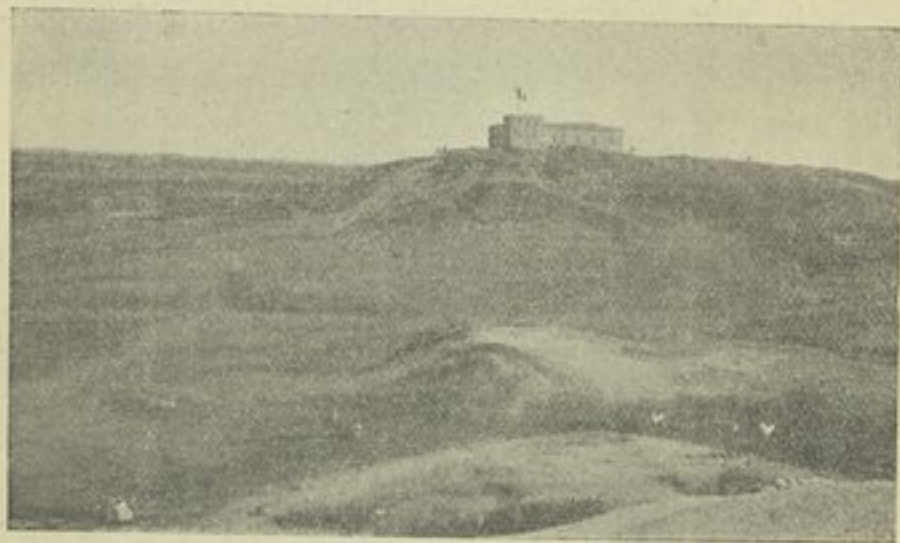
ولئن كان رجالهم كذلك فقد كان لنسائهم من المهارة في صنع
المنسوجات الصوفية من فرش ولبوس ما اكسب جهتهم شهرة عند التجار
والنخاسين الذين كانوا يتبادلون معهم البضائع فيأخذون منهم تلك
المنسوجات وما تنتج ايديهم من مصنوعات الحافاء ويعطونهم قبلها الرقيق
والعاج والتبر الى غير ذلك من الروابط التجارية التي لم يبق لدى اهالي
مطماطة والدويرات منها إلا الحديث على تقدير ان فيهم من يحسنه



قصور بني بركة من جبل الدويرات

(١٨٢)

ووراء هذا النواحي الشامعة التي اصبحت اصقاعها أصبح اليوم في بحر الامان والسكينة
والهدوء توجد النقط العسكرية القائمة بحراسة اخلاف المملكة التونسية كابراراج
الذهيبات والجنابن وزاير وما والاها من واحات النخيل ومراشف الماء بالصحراء



برج الذهبيات



برج الجنابن

ومعلوم ان تلك الاخلاف حررت حكومة الحماية حدودها في
سنة ١٢٢٩ باتفاق مع الدولة العثمانية التي اعترفت بوقوعها ضمن
المستملكات التونسية الى اقصى جبهاتها بحيث ان الحد الجنوبي لهذا القطر
صار موقعا على مقربة من ابواب غدامس التابعة لولاية طرابلس الغرب
وهذا القفار جابها صاحبنا الشيخ محمد الحشايشي في سنة ١٣١٣
وكتب فيها رحلة حافلة نشرت ترجمتها باللغة الفرنسية اويما تعرض فيها
لاسماء قبائل المثلثين واخلاقهم وعوائدهم كما افاض القول فيها عن
الطريقة السنوسية المنتشرة من فزان الى اطراف الصحراء الغربية وهؤلاء
المثلثون من نسل بعض اولئك الجيوش الجرارة التي كانت ملتفة حول عبد
المومن بن علي مؤسس الدولتين الموحدية والحفصية والى مثلهم اشار فخامة
رئيس الجمهورية في قوله بملعب اطوال الشريدي بغابة صفاقس « اولئك
الفرسان خطاطيف الصحاري تلك القفار التي كانوا وحدهم روادها »
ولقد اصاب فخامته في وصفهم لانهم من الذين يعتقدون ان الارزاق
معقودة باسنة الرماح



الشيخ محمد الحشاشي الشريف

هذا وارانني قد بعدت بالقاري عن موضوع الرحلة وانما اداني لذلك
 حب الامام باخبار المملكة التونسية اجمع لان الرحلة الرئيسية استقصت
 اغلب جهاتها كما تقدم لك ذلك وكما ستراد بعين المشاهدة في الابواب
 التالية وبهذا الامام نكون قد احطت بالكلام على الوجه البحري من
 شمال وشرقي القطر التونسي كما اشبعتم القول عن اعماله الجنوبية
 واخلافها بالفقر والصحاري لذلك عن لي الرجوع بالقاري للحديث زيارة
 مسيو فليار لمدين فنقول

لما حل ركاب فخامته بمدنين كان في استقباله على بعد من البلدة
 جناب الكولنيل فوشي الكمندان الاكبر لكافة الجهات العسكرية
 الجنوبية يكتنفه ضباط المراكز من الجهات السحيقة حتى المنقطعة عن
 المواصلة وال عمران فقد جاءوا على المهاري والابل يقطعون البراري من بعد
 مسافة ثلاثه ايام والله در الامير عبد القادر حيث يقول في وصف ذلك
 سفائن البربل انجى لراكبها سفائن البحر كم فيها من الخطر
 وكان في صحبة الكمندان نحو الثلاثة الآلاف من سكان تلك الجهات
 فتقدم الكمندان وحي فخامته بحسامه وفعل مثله بقية الضباط اما فخامته
 فقد رد عليهم السلام واظهر استحسانه لبزة اولئك الاعراب حيث كانت
 عمهم وبرائسهم في نهايتها من البياض وكانوا مستظلين من الشمس بمظلات
 عريضة من التبن الجميل وكان عمالهم ومشايخهم وعمدهم متحلين ببرائيس
 حمري علوها وشاح بطرز الذهب وفي مقدمتهم البطل المقدم السيد سعيد
 ابن نصر عامل نزاوة موشح الصدر بوسام الشرف الذي كانت اهدته له
 الدولة الفرنسية عند ما خاطر بنفسه وترامى على المهالك لاسترجاع شلو
 الماركيز دلا موريس الذي قتله المثلثون بجهة الوطية على مقربة من
 سيناون لمدة ستة عشر عاما فارطة فلما راي فخامة الرئيس ذلك الجمع
 العظيم من الخلائق وهم لاهجون بمظاهر الطاعة والاخلاص انشرح
 خاطره لمنظرهم واخذ يتتبع بدقة حركاتهم وسكناتهم معجبا بمهارتهم
 في الكر والفر وبفرستهم وخذقهم في ركوب الخيل واذاك قام اولئك

الالوف بملعب عربي عظيم تحت انظار فخامته ووزرائه بما راق في
ما عين جنابه

ثم تقدم الموكب ودخل بلد مدنين بين هتاف الرجال وولولة النساء فاجتاز
طرقاتها ووقف ببياب الكمندان حاكمها العسكري واذاك
اذن فخامته بانتظام موكب القبول فتقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامته
بضباط المركز وخاطبه بقوله (ان هولاء الضباط متأثرون جدا للعناية العالية
التي قمت بها نحوهم اذ قدمتم لاجلهم من مكان بعيد لتعرب لهم فخامتكم
مباشرة عما لفرنسا نحو ابنائها البعيدين عنها من الاعزاز الذي جعل منزلتهم
امكن من قلبها وهولاء الضباط يمثلون الحكومة بهتلا الجهات على احسن
نظام وابدع اسلوب ناهيك انهم يجمعون في ذواتهم ماموريات شتى فمن
مدارس احدثوها للتعليم ومن مستشفيات قاموا بخدمتها في سبيل الانسانية
ومن طرق مهدوها للعبيرين وابناء السبيل ومن رياضات واجنة اسسوها
لفرس عروق المدينة بهتلا الارض ومن ارشادات ونصايح لقنوها للعنصر
الاهلي ليسلكوا به مسالك الرقي والحضارة وبعبارة افصح فهولاء هم الاباء
المربون لهتلا الاصقاع واهاليها وكل مشروع حسن تم بهتلا الارض راجعة
مزيتة عليهم)

وقد اجابه فخامة الرئيس بمظاهر الشكر قائلا « انه لعريف بمقدار
جد الضباط واخلاصهم واستعدادهم بشرائهم لعلهم يجد فرنسا على
ان لهم حظا وفيرا في كل المشروعات والترقيات التي انجزتها ادارة الحماية
بالمملكة التونسية فهم من هتلا الوجهة هنا نواب التقدم والمدينة »

ثم تقدم لاداء مراسم التهانى عمال و رغبة ونفزاوة ومطماطة يصحبهم اعيان اعمالهم فاعرب لهم فخامة الرئيس عن رضائه على مسلكهم وانعم على اولهم وهو السيد مسعود بن العربي بوسام الشرف الفرنساوي وهنالا عن اخلاصه في خدمة الحكومة المحلية كما هنالا باخلاص ابنه في خدمة الادارة العمومية واذاك اجاب العامل متشكرا واثلا ما معنالا « ان من جاء على اصله فلا سوال عليه لذلك كان صنيع ابنه من قبيل القيام بالواجب والمرء لا يستحق الثناء عما هو فرض عليه »

هذا وعند انفصال موكب القبول اعد فخامة الرئيس مادبة حافلة دعى اليها وزراء والمقيم العام والجنرال بيستور والكولنيل فوشي والسيد سعيد بن زعر والسيد مسعود بن العربي والسيد الحبيب بن ابراهيم ونحو ثلاثين آخرين من الذوات والاعيان اما بقية رجال القافلة الرئيسية واهل الصحافة فقد اقيمت لهم مادبة خصوصية انيقة بخان قبلي الذي هو اجمل بناية بالبلد

وكانت الونة الطعام الذي تناوله فخامة الرئيس ورجاله من انواع الطيبخ العربي كسكسون وشكشوكمة وشوا على اسلوب البدو وهذا الشوا كان عبارة على ثلاثة خرفان تامة الذات قدمت للمائدة ملتفتة في لحاف من الكتان فوق عامود طويل

ثم تحرك الموكب لزيارة المستشفى الاهلي الذي احدثته الادارة العسكرية بمساعدة الكتابة العامة في سنة ١٣٢٧ فطاف فخامة الرئيس بغرف هذا المارستان الذي هو لدى عموم سكان تلك الجهات بمنزلة الماء من الضمان واثنى على همة الرجال الذين قاموا بمشروعها ثم اثنى بوجه

خاص على جناب مسيو بلان الكاتب العام لعنايته بالشئون الصحية وهناك
 عن حزمه ونشاطه كما هناك الوزراء ايضا بذلك ومن هناك تحرك الموكب
 لزيارة مدرسة البلد حيث تلقى فخامة الرئيس تهنئة مديرها كما نصت
 لخطاب القاعة عليه بالفرنساوي طفل بدوي اعجب لفصاحته الحاضرون
 ومن المدرسة توجه فخامة الرئيس لافتتاح محل البوسطة الجديد فتلقوا
 بباب الادارة جناب مسيو شومي الكاهية الوزيرى للبوسطة والتاخراف
 بباريس وطاف به خلال غرف واقلام الادارة التي جاءت غرة في جيبين
 قصر مدينين

ثم ارتقى فخامته لرواق المحل واستعرض جيش المهاري وكانوا في عدد
 اربعمائة فارس تحت امره القبطان جيرار كما استعرض الجند العربي
 المسمى « القوم » وهذا الجند الذي احدثه فرنسا بالجزائر كما احدثت
 مثله بالجهات الجنوبية بتونس قد احدثت اخيرا نظيرة بالمغرب الاقصى
 وهو عبارة عن شبان يوخدون من القبائل والعروش تبقيهم الدولة على
 نظامهم العائلي إلا انها تسلحهم وتجعلهم تحت امره ضباط فرنساويين وتوكل
 بهم القيام بوظيفة الطلايع في الحروب اعني تجعلهم في ميدان الوغى مقدمة
 للجيوش النظامية وقد ابلوا البلاء الحسن في مواطن كثيرة مما حمل فرنسا
 على توسيع نطاق افرقتهم بمستعمراتها وبالبلاد الخاضعة لنفوذها بافريقيا الشمالية
 وختم الرئيس رحلته لمدينين بزيارة احيائها العربية وتعجب كثيرا
 بالخصوص من المساكن الاهلية المسماة في اصطلاحهم بالغرف كما سبق
 التعريف بذلك في محله من هذا الباب



فخامة الرئيس وحاشيته متوجهون لزيارة الغرف بقصر مدنين
ثم تلقى فخامته مراسم الوداع من الكولونيل فوشي وتحرك ركابها
مخفورا بالقوم المشار اليهم وبجيش المهاري عائدا لقابس فوصلها مع الغروب
وقصد دار المراقبة المدنية حيث اقام مادبة فاخرة للوزراء والمقيم العام والكاتب
العام والجنرال بيستور والمراقب المدني وغيرهم من الدوات
وبينما كان فخامته يستريح اثر الوصول خرج الوزراء ورجال الحاشية
قبل حضور المادبة المذكورة وزاروا احياء المدينة وبالاخص المعرض
الصحراوي الذي اقامه الاخوان التاجران الكبيران السيد محمد والسيد احمد
علان وهو عبارة عن معرض بضائع وتنايج صحراوية وسودانية جلبتها
القوافل التي رتب سيرها بانتظام الاخوان المذكوران بين قابس وتنبسكتو
قاعدة السودان الغربي فاعجب الجمع بحسن تنسيق تلك المعروضات
واشتروا منها اشياء كثيرة كما حضر الاعيان المذكورون بعد العشاء حفلة
« عيساوية » اعقبها رقص سوداني قام به عشرة من الزنجيات فضض جناب

وزير الفلاحة مسيو بامس كف احدهن بكمشة مجهولة طيرتها فرحا
وسرورا وبعد ذلك انصرفوا لحضور « بالو » اروبواوي عمومي اقيم
اكراما لهم بسوق الغلال ققضوا هنالك جزءا عظيما من الليل وعادوا في
وقت السحر لدار المراقبة المدنية

ولما اصبح الصباح تاهب فخامة الرئيس لمبارحة قابس فانتظم الموكب
العسكري بيطحاء المراقبة وترنمت الموسيقى بانشودة المرسلين فركب جنابه
الفخيم على الساعة السابعة عربة سيارة وركب الوزراء والحاشية ورجال
الصحافة السيارات المعدة لنقلهم وتحرك الموكب بين مظاهر الاجلال
والتعظيم قاصدا محطة الغريبة البعيدة عن قابس بثمانين ميلا والواقعة على
السكة الحديدية الموصلة للجريد



(١٩١)

الباب السادس

في الكلام على الجريد ومناجم الفسفاط بالمتلوي
وزيارة فخامة رئيس الجمهورية لقفصة وامل الفسفاط
كان السماء زاهيا والهواء عليلا عند خروج الراكب الرئيسي من قابس
صبيحة يوم الاحد ٢٣ افريل ١٩١١ بقصد التوجه لموقف الحديد بالقرية
فتمكن فخامته كما في اليوم قبله من تسريح الطرف في رياض هاتيك
النخيل الباسقات المتلاوحة الاطراف على اليمين والشمال واجال النظر في
جمال هاتيك المناظر الراقية والغصون المستقيمة وكانت علايم الانشراح
والانبساط بادية على محيلا والعربان والبدوي يتفون على ممر ركابه ويدعون
له بالسعادة



موكب فخامة الرئيس راكبا عربات الاتمبيل فيما بين قابس والقرية

واما كانت ساعة الضحى وصل الموكب لمحطة الغربية حيث كان في
 انتظار فخامة الرئيس رتل خصوصي لنقل جنابه من هنالك للمكناسي
 وقفصة والمتولي فامتطى فخامته ووزراءه وحاشيته متن القطار وساروا
 قاصدين بلد المكناسي التابعة لعمل الهمامة فوصلوها في حدود الزوال
 واذاك نزل الموكب لمحطتها وكانت لابسة ثوب الزينة وجدرانها
 مغطاة بالزرابي الجميلة من صنع عروش جلاص والاعلام خاققة فوق
 اعاليها فدخل فخامة الرئيس لقاعة القبول وتلقى مراسم السلام والاحترام
 من النزلاء الفرنسيين ومن اعيان عمل الهمامة يتقدمهم عاملهم السيد
 الطيب المغراوي وخلفاوات ومشايخ وعمد عروشهم ثم من مدير مدرسته
 المكناسي ومعلميها فشمع الجميع بلطفه المعهود واحسن للتلامذة براحة
 ثلاثة ايام ثم توجه للفظور





موكب فخامة الرئيس عند توجهه للفتور بالمكناسي
وهذا الفتور اقيم على مقربة من المحطة تحت خيام فسيح رصع بكل
غال وثمانين وكان اديم الارض مفرشا بالزرابي العربية من اعلى طراز حتى ان
الاقدام كادت ان لا تستقر عليها لثخن فروها وكانت مائدة الطعام تحاكي

اشهى شئ يكون بما دل مجموع ذلك على ثروة شركة مناجم المتلوي التي
 • كان فخامة الرئيس في ضيافتها من ساعة حضوره بالمكناسي اما المكناسي
 وهو من مراكز الاستعمار الحديثة فهو عبارة عن سوق لوسق الحلفا التي
 يقطعها البدو من جهات عمل الهامة وماجر ويعيشون من ثمرتها وتجارتها
 لها حركة غريبة فقد سمعت من الثقات ومن اعيان بيوت ماجران البدو
 الذين كانوا لا ينتفعون بها اصبحوا بفضل اختلاطهم بالتجار الاربوايين
 من احسن الناس تقديرا لتلك النعمة التي هي تجارة بلاراس مال

ولما جلس فخامة الرئيس للطعام اجلس ليمينه وشماله وزرارة والمقيم
 العام والكاتب انعام ومدير شركة الفسفاط ورجال الصحافة حتى اللطيفة
 مدام مريم هاري مكاتبة جريدة « التمثيل التصويري » المشهورة
 بتحريراتها الخيالية وبحب ابنا تونس خصوصا والعرب على الاطلاق

• وبينما كان القوم يفطرون كانت آلاف البنادق تبرى وترعد ووفود
 العرب يتظاهرون بمظاهر السرور اكراما للرئيس المشكور
 وبعد انتهاء موكب الفطور تحرك الركاب الرئيسي قاصدا قفصة مارا
 على مركز السند حيث وقف لحظة لقبول مراسم احترام اعيان المكان
 ثم استأنف السير الى ان حط رحله بقفصة

قبل الكلام على الزيارة الرئيسية لاعيان قفصة بمحطتها الحديدية
 لان برنامج الرحلة لم يتضمن زيارته لمدينة قفصة نفسها ولا لتوزر ايضا لان
 تضايق الوقت حكم بالتوسط بين البلدين وجعل موكب القبول بالمتلوي
 الذي هو اثرى بلاد الجريد في الزمن الحاضر يجدر بنا جريا على القاعدة
 التي توخيناها في هذه الرحلة من تصدير كل مدينة تذكرها بملخص

تاريخي وجيز لماضيها وحاضرها ان ننقل للقاري الكريم ما تعلق بذهني
من اخبار المدينتين المذكورتين ثم نرجع لحديث الرحلة الرئيسية
ققصة كانت تسمى على عهد الرومان « كابصة » ومن زعم غير ذلك
وادعى ان لفظ ققصة جاء من مادة « الققص » الذي هو الوئب اي النشاط
فهو وهم ليس من الصحة في شيء وقد لعبت ققصة دورا عظيما في الازمان
الاولى سيما في ايام الامبراطور ماريوس الذي خربها واعاد عمارتها في
حدود سنة ٧٣٠ قبل الهجرة

اما في دولة الاسلام فقد تناقص عمرانها بفشو الفتن في ربوعها سيما على
عهد الدولتين الموحدية والحفصية وقد جاء ذكرها بعبارات التمجيد في
معجم البلدان الى ان قال « وبها ينبوعين للماء احدهما يسمى الطرميد
(وقد حرفوا لمهدنا هذا فجعلوه « الترميل » وهو لحن كما ترى) والاخر
الماء الكبير وخارجها عينان اخريان احدهما تسمى المطوية والاخرى
بيش وعلى هذه العين عدة بساتين ذوات نخل وزيتون وتين وعنب
وتفاح وهي اكثر بلاد افريقيا فستقا ومنها يحمل الى جميع نواحي
افريقية والاندلس وسجلماسة وبها تمر مثل بيض الحمام وتمير القيروان
بانواع الفواكه قال وقد قسم ذلك الماء على البساتين بمكيال
توزن به مقادير شربها معمولة بحمكة لا يدركها الناظر لا يفضل الماء
عنها ولا يعوزها تشرب في كل خمسة عشر يوما شربا وحولها اكثر من
مائتي قطر عامرة اهلة تظروحواليها المياه تعرف بقصور ققصة « قات
وهذا القصور هي المدائن والقرى والمدامر الموجودة بالجريد حتى لمهدنا
هذا ومنها الحمة التي تسمى اليوم الحامة باشباع الحاء ونقطتها وكانت

تسمى نفطى والوديان وكانت تسمى دقيوس وتوزر بسكون الواو وغيرها مما امر بتخريبه يوسف بن عبد المومن بن علي لانهم عصوا عليه قال ياقوت وعزاه للبكري ان توزر كان يخرج منها في اكثر الايام الف بعير موقرة تمزقت وعلى تقدير وجود مبالغته في هذه الرواية والناقل امين فان تعبيره بوقر الف بعير يدلنا على وفرة كمية التمر الذي كانت تصدره واحه توزر في القرون المتوسطة اما اليوم فنحصلها من التمر دون ذلك بكثير إلا ان موسمها عظيم بالنسبة للزمان والمكان واغلب ما يقتطف اليوم من نخيلها لا تراه اعيننا بل نسمع به مجرد السماع لان احسنه يشتريه التجار فوق رؤس شجره ويبعونه كذلك ومنها يشحن في الصناديق ويوسق لاروبا على طريق الجزائر .

وفي مدح توزر يقول الكاتب ابو علي بن ابراهيم
 خير البلاد لمن اتاها توزر يا جبذا ذاك الجنان الاخضر
 والنخل مثل عرايس مجلوة في سندسيات اللباس تبختر
 وكانما نظم الحلي لنحرها من لؤلؤ وزبرجد يتخير
 وهي طويلة تقل منها ابن الشباط ثلاثين بيتا وعلى ذكر ابن الشباط
 نقول انه قد اصبح متقررا في الازهان ان ابن الشباط هذا هو الذي ضبط
 طريقة توزيع المياه بالجريد اي بالجهة المسماة لعهدنا هذا ببلاد السقي
 وهو قول يحتاج لنظر لان ابن الشباط كان يعيش في اواخر المائة السابعة
 وهذا كتاب المسالك والممالك للبكري الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٧
 فصل كيفية توزيع تلك المياه على اوضح بيان فيكون ما نسب لابن الشباط

انما حصل بمجرد الشهرة او باحيائه لشيء تلاشى فاعاد وضعه ومن الجائز
انما اعادلا باسلوب احسن مما وضعه من تقدمه

ولنرجع لحديث الرحلة فنقول ان فخامة رئيس الجمهورية لما نزل
موكبه بموقف الحديد بقفصة تلقى هناك مراسم السلام والاحترام من
اعيان المعمرين الفرنسيين ثم من متوظفي الادارات الفرنسية فخطب
لديه المراقب المدني مسيو بريكينز خطابا نفيسا حيدا فيه نيابة عن الخاصة
والكافة



اقبال فخامة الرئيس عند دخوله لقفصة

وقد اجابه فخامة الرئيس بالعبارات الاتية « ان رحلتي هذا تشمل
في آن واحد مقصدين وهما التفسح بالعمالة التونسية ثم البحث عن احوالها
لان مرادنا استطلاع شؤون هذه الديار من كل الوجوه اما فيما يخصكم فاني

على ثقة من لياقتكم لما انتم اهله من الاعمال الموكولة اليكم وهي اوصاف
قدرها جناب الوزير المقيم حق قدرها منذ زمن بعيد لذلك اصبح سروري
عظيما تلقاء صنيعكم المحمود

ومن جهة اخرى فحيث ان جناب الوزير المقيم راض عن اعمالكم
يسوغ لي ان اشكركم بلسان الامة الفرنسية قاطبة وان اوصيكم
بالاستمرار على اقناع العنصر الاهلي بان مشروعا بهذا الارض انما يرمي
للصعود بها الى ذروة التقدم والمدنية لانه متى قتمت بهذا الوظيفة يصير
الاهلي متحضرا للسعي معنا بالقول والعمل اي باللسان والقلب

وفي هذا المقام نقول ان من الوسائل المشروعة للحصول على تلك
الغاية فتح المدارس في وجوه صغار الاهالي لتثقيف اذهانهم وتعويدهم على
الخدمة بالاساليب النافعة والمختصرة وكلامي هنا ينصرف بوجه خاص
لاساتذة التعليم لاني لا انفك قائلا ان وظيفتنا بالمملكة التونسية هي
امتلاك القلوب لا الاشباح «

فكان لهذا الخطاب وقع عظيم في النفوس اعقبه هتاف اعظم منه
بلغ لعنان السماء ثم انصرف المامورون الفرنسيون وتقدم اعيان الاهالي
للسلام على فخامة الرئيس وكان في راسهم عاملهم السيد حميد بن ابراهيم
والمجلس الشرعي وخلفاوات ومشايخ وعمد المدائن والقرى والعروش
بعمله فخاطب العامل معربا عن شعائر الطاعة والاخلاص وتلا في الخطابة
العدل السيد الاخضر بن المفتي جاء ضمن كلامه هذا العبارات (ان
النفوس قد جبلت على حب من احسن اليها وحيث ان فرنسا عاملت العنصر
الاهلي بالحسنى فلا يسمع التونسي الا حبا بشراشر قلبه)

وقد اجابهم فخامة الرئيس بقوله

« ان مرادي اقناعكم بان مسلكنا نحوكم لم يتطرقه تغيير قط وان
امتنا تبتهج بمودتكم التي من ماملنا التحفظ عليها والتي نشفعها بتشريكم
في العمل معنا لخدمة الانسانية والمدنية اعني لخدمة الصالح العام

هدا وسيبقى ذكر رحلتي هذلا محفوظا بخلدني سواء ذلك بفرنسا
ام بتونس لاني اينما حللت لاقيت من المسلمين اقبالا وكراما ولم يكن
ذلك منهم إلا الاعتقادهم بان مشروعنا سلمي لا حربي وان فرنسا تحترم
العقائد والاديان ولا تطلب منكم سوى تهذيب ابنائكم وتعليمهم اللغة
الفرنساوية التي هي لغة العالم المتمدن اجمع لان من الضروري جعل
رابطة تجمعنا في احساس واحد ولا يكفي في ذلك توارد الخواطر بل
يلزم ايضا الافصاح عنه باللسان

فهذلا مدارسنا مفتحة الابواب في وجوه ذراريتكم وما عليكم الا ارسالهم
اليها لانه طريق الترقى والمدنية »

فتلقى الحاضرون هذلا الخطاب بمظاهر الشكر الجميل ونادوا جميعا
بالدعاء لفرنسا ورئيسها الفخيم واذاك انفصل الموكب وعاد الرئيس لرتاه
وسار قاصدا بلد المتلوي الذي سمي حديثا باسم « فيليب طوماس » وعند
الوصول اليها كان في استقباله السيد احمد اللوتقو عامل الجريد والمجلس
البلدي بها فتقدم العامل لفخامته وحيلا وترجم عن شعائر اخلاصه وولائه
للحكومتين العمومية والمحمية ثم خطب مسيو ميرى الكاهية بالمجلس
البلدي بالمتلوي فقال

يا فخامة الرئيس

قد حصل لنا سرور عظيم اذ تفضلتم بالوقوف بهذا البلد بما دل على
تقديركم لفضل فيليب طوماس الذي له على العمالة حق الكريم لانه احب
هذلا الجهة وبدر فيها ثروة لا تبلى وستشاهدون بعد حين الشغال العظيمة
والنتائج الجسيمة التي ستنتطق لسانكم بعد رجوعكم لفرنسا بانه حتى في هذه
الجهات السحيقة يعمل فرنساويون لاعلاء شان فرنسا - فلتحي الجمهورية
وقد اجاب فخامة الرئيس بالعبارات الاتية

ان رئيس الجمهورية قصد بوقوفه ببلد المتلوي الاعلان بفضل الرجل
العظيم الطيب الذكر الذي زرع بدور الثروة في هذا الاصقاع يعني
البيطار العسكري فيليب طوماس الذي اكتشف في سنة ١٨٨٦ مناجم
الفوسفات التي تستغلها اليوم شركة قفصة

ثم ان فخامة الرئيس اخذ يجامل الحاضرين بلطيف الحديث فقال
له السيد احمد اللوتقوانه لشدة فرحه قد اسرع بالمجيء من بعد ستين ميلا
للتشرف بالسلام عليه فاجابه فخامة الرئيس على البديهة وبتبسم (انا جيت
بكل سرور من بعد خمسة آلاف ميل لرؤيتك) وبعد ان تكلم فخامته
مع اعيان الحاضرين كل بما يناسبه امتطى رتله متقدما ميلين آخرين ونزل
بمناجم الفسفاط حيث مناخ اليد العمالة الفسفاطية ومركز القسوة العملية
الفرنساوية بالايالة التونسية

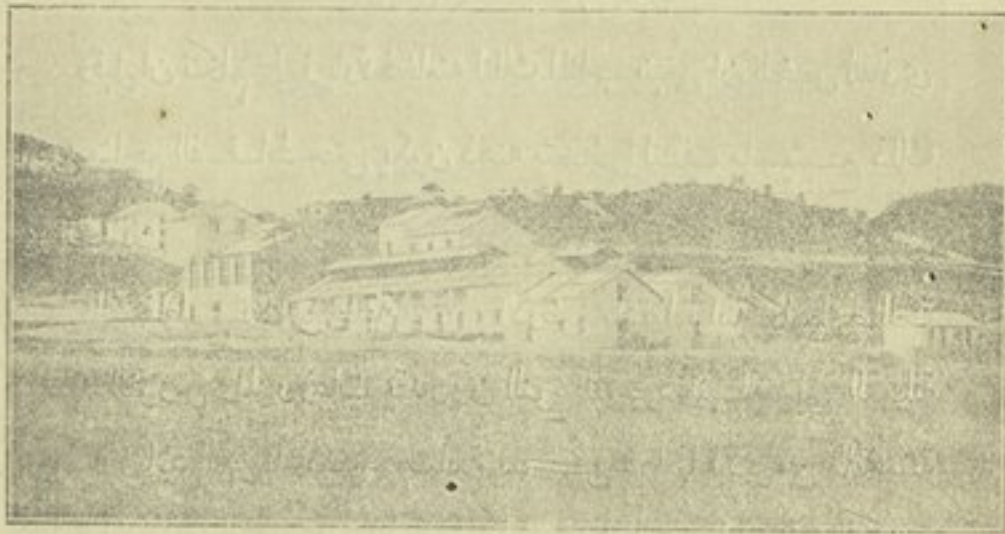


فخامة الرئيس وحاشيته بالمتلوي

وقبل ان نتكلم على زيارة فخامته لتلك المناجم ينبغي ان نلخص للقاري ما هي مناجم الفسفاط حتى يكون ذهنه متحضرا لتلقف ما سيتبع ذلك من الحديث

فالفسفاط عبارة عن طبقة من الارض مادتها ترابية كاسية صالحة لتسميد الفروس والمزروعات يقدر ون النوع الموجود منها بغربي العمالة التونسية وبلاد الجريد بخدمة متتابعة يمكن دوامها اكثر من مائة سنة لاستخراج ما هنالك من الفسفاط ولتصور القاري وفرة تلك الكنوز الطبيعية تذكر له على وجه الاعتبار مقدار ما يستخرج من موقع فسفاط الدير فقد اقتضى الاتفاق المتعلق به ان الشركة التي اعطيت منحة استثماره من واجبها ان تستخرج على الاقل مائة الف طن لاطلة في العام (وقد بلغ

الآن محصولها للمليون طن لاطة اى عشرة اضعاف القدر المتعاقد عليه) وهذا دون
 المنح الاخرى المعطاة لها بالقائمة الجردا وبقلعة سنان وبام العرايس وغيرها
 وبهي مناجم قدرت لها الدولة في ميزانية الدخل السنوي ١٢٥٠٠٠٠٠ فرنك
 وكان الكشف على مناجم الفسفاط بالعمالة التونسية في سنة ١٣٠١
 بعناية مسيو فيليب طوماس البيطار العسكري ومات فيليب طوماس سنة
 ١٣٢٨ بعد ان رأى مسعلا مكثلا بالنجاح اعني باستثمار تلك المناجم التي
 كادت ان تكون وحيدة بالعالم من جهة ثروتها الطبيعية وبتأسيس سكة
 حديدية طولها ٢٥٠ ميلا لربط الجريد بصفاقس حيث مصب الفوسفاط
 المعد للوسق لانحاج المسكونة كما سبقت الاشارة لذلك عند الكلام على
 زيارة فخامة رئيس الجمهورية لصفاقس



محلات شركة الفسفاط بالمتلوي

هذا ولما نزل الرئيس بمقاطع الفسفاط بالمتلوي ركب ورجال حاشيته
 قطارا لطيفا كهربائيا وطاف خلال المعامل وكانت تمثل معنى القوة الفكرية

التي اودعها الله في الانسان فتامل منها فخامته تامل تمعن واستفاداة ودار في
 غرفها الى ان وقف على ابواب غرفات الاعمال الواقعة في بطن الارض ثم
 اجال النظر في حركة الخدمة وطاف خلال معاملها مستقصيا منها مسافة
 ميل على القدم واستعجب فخامته بالخصوص من تفوير الفسفاط بطريقة
 الانفجار بالعيارات النارية التي كان لها دوي يبطن الارض يحاكي الرعود
 القواصف وازداد عجبه واعجابه بما بلغت اليه الشركة صاحبة منحة المتلوي
 لما علم ان تلك المناجم يستخرج منها في العام مليون طنلاطة وان بها من
 العملة ثلاثة آلاف نسمة جلهم من الطرابلسيين والفزازنة والمغاربة وزوج
 السودان وفي هذا المقام سال الرئيس عن حال هولاء الزوج فاجيب بانهم
 من الفعلة الرحالة لا يقيمون بمعامل الشركة الا ريثما يستحصلون على
 راس مال ضعيف بالنسبة لتونس كثير بالنسبة لبلادهم حيث يرجعون
 للتاهل وهو اشهى شي * لديهم ومتى عادوا للسودان يجي عوضهم من بني
 عمهم من يقوم مقامهم في العمل وهلم جرا

وبعد ان استوفى فخامته زيارة المناجم الفسفاطية حضر على الساعة
 الثامنة ليلا مادبة اكرام اقيمت على نفقة الشركة وكانت هاته المادبة بالغنة
 حد الغاية من الابداع والخيام التي نصبت بها عبارة عن متحف للزرايبي
 الثمينة العجيبة الصنع التي نسجتها اليد العربية وبينما كان فخامته يتناول
 الطعام كانت الموسيقى تصدح بنشيد المرسلياز وعلائم البشر والسرور بادية
 على وجوه الجميع وفي ختام المادبة قام مسيو بيلى مدير شركة الفسفاط
 والتي خطابا هذا ملخصه

ابتدا الخطيب بتهنئة فخامة الرئيس بالنيابة عن الشركة الفسفاطية
التي اصبحت تفتخر بزيارة فخامته لمناجها وهي زيارة كالت مشروعها
نفخر لا ينفصم جبلها

ثم اشار لما لفيليب طوماس من الايادي البيضاء في احيا جهة المتلوي
التي كانت قبل قفرا واصبحت اليوم عبارة عن بلد اخذ حظه من الساعده
والعمران بفضل مليون طنلاطة من الفسفاط تخرج في كل عام من مقاطعه
وتسلك طريق اروبا لاحيا اشجارها وكرومها

ثم تكلم على المستخدمين والعملة فقال انهم عناصر مختلفة منهم الفرنسي
ورفيقه الطلياني ومنهم عناصر اهلية شتى لا يقل عددهم عن اربعة آلاف
نفس كلهم يعيشون عيشا هنيا على بساط التسامح لا يخشون من باس
ثم ختم خطابه بالشراب على ذكر فخامة مسيو فليار والدعاه للجمهورية
وقد اجابه فخامة الرئيس بخطاب نصه

يا ايها المدير العام

قد حصل لي انشراح عظيم بزيارتني لهذه المصانع الفرنسية ولكم
مني الشكر الجميل عن عبارات الثناء التي خاطبتموني بها

قد قامت تلك المصانع العامرة في ارض كانت قبل قفرا فاصبح العالم
المتمدن تربطه نتايج الفسفاط بما عاد بالثروة العظيمة على العالم الفلاحي
ولاشك ان كل هذا نتيجة سداد التدبير واستقرا ما في الغيب والمثابرة على
العمل مثابرة غلبت كل شئ

اني اعلن بالثناء على مستحقه اولئك العلماء والمهندسون اصحاب الاستنباط
والقلوب الحية اذ هم مهدوا وسائل العمل لاهله فكانوا احسن اسوة يقتدى بها
هؤلاء الرجال لهم مزية على الناس قاطبة ومن الحق ان يخلد ذكرهم
وينادى باسمائهم في كل مناسبة وحين - هذا واني لمفتخر بكوني من المنتسبين
للفلاحة ولا احد يمكنه ان ينولا اكثر مني بما لمادة الفسفاط من تنمية
قوة الارض واستخراج ثمراتها باوفر ما يمكن الوصول اليه وهذه الخيرات
عائدة بالبركة على الثروة العمومية ولا مبالغة اذا قلنا ان من الواجب ان
يكون مجلس مكشفي الفسفاط من بطون هذه القفار بمصاف اعظم
المكتشفين والمخترعين اما نحن فيحق لنا ان نفتخر بهذه البلاد التي اصبحت
مصدرا للثروة العمومية والتي اصبحت اهلها في سعة من الرزق وفي مهرب
من المجاعات والفقر

واني ارفع كاسي على نجاح شركة الفسفاط وسكة حديد قفصة وفي
ضمن ذلك مرادي ان يعلم الناس ان عنايتي وعناية الحماية وعناية فرنسا
منصرفه نحو اصحاب هذه الشركة ومشتغليها ومديرها ومهندسيها
ومستخدميها وخدمتها جميعا سواء كانوا فرنساويين ام اجانب ام اهليين لان
في عملهم مصالحة الجميع

فوقع هذا الخطاب من كافة الحاضرين موقع الاستحسان وهتفوا له
هتافا طويلا واذك استدنى فخامة الرئيس مدير شركة الفوسفاط مسيو
بيلي وانعم عليه بالصنف الثالث من اللجيون دونور ثم استدنى عامل الجريد
السيد احمد اللونثو واحسن له بمثل ذلك النيشان فتلقى الحاضرون ذلك
بمظاهر الاستحسان والتصفيق الطويل



السيد احمد اللوثو عامل الجريد

وبعد ان اخذ كل حظه من النشاط والسرور توجه فخامة الرئيس
لغرفة نومهم بسراية شركة الفسفاط ودخل الوزرا ورجال الحاشية البيوت
المعدة لمقامهم تلك الليلة وفي صباحها انتظم الموكب الرئيسي وركب فخامة
مسيو فليار رتلهم فسار به قاصدا سييطلته

الباب السابع

في الكلام على سيطرة واطلالها

وزيارة فخامة الرئيس لجهاتها واثارها التاريخية

لما استوفى رئيس الجمهورية زيارته لمناجم الفسفاط بالمتلوي عاد موكبه لموقف السكك الحديدية بها وتعرف اليوم بمحطة فليب طوماس نسبة لذلك الرجل الذي اكتشف المناجم المذكورة كما تقدمت الاشارة لذلك في الباب قبله واذاك ركب فخامته رتله وسار مودعا من مدير شركة الفسفاط قاصدا هنشير ال واطير حيث حط التعمير الفرنسي رحله في السنين الاخيرة وكان الخط متسر بلا بين الجبال والكهوف والارض بطبيعتها قحلا تكاد تكون عميقة ال انها ارض تأمل واعتبار لانها لعبت دورا عظيما في تاريخ الرومان فمر القطار اولاً بمرکز سلجة ثم وصل منها بعد سير بطى " لهنشير السواطير حيث التقي السكتين الحديديتين سكة شركة الفسفاط التي زائنها اذاك فخامة الرئيس وسكة شركة بون فالمة القوية المتينة واذاك تحول فخامته وكافة حاشيته لقطار مخصوص مزركش وفيه تلقى مراسم السلام والاحترام من مراقب الفراشيش وكاهيته ثم سار القطار قاصدا سيطلة على طريق فريانة فلما وصل فريانة وقف الرتل وتقدم للسلام على المقام الرئيسي اعيان عمل الفراشيش يتقدمهم عاملهم السيد عبد السلام قعيد موشح الصدر بوسام الشرف الفرنسي الذي كانت الحكومة الفرنسية انعمت به عليه اثر قمعه للحركة العدوانية التي

خاب فيها سعي المتدروش عمر بن عثمان سنة ١٣٢٤ ثم استأنف
الرتل السير متوجها لسيطة عاصمة افريقيا الرومانية فوصلها
بعيد الزوال

وسيطة هذه كانت تسمى على عهد الرومان « سوفيطلة » وهي
قاعدة ملكهم جرجيس ولا يخلو تاريخ اسلامي للفتوح من ذكرها
باشباع لان سقوطها من ايدي الرومان ودخولها في حوزة الاسلام
كان على عهد الصحابة والتابعين وتعرف غزوتها في التاريخ التونسي
بغزوة العبادة لانه حضرها سبعة من الصحابة والتابعين باسم عبد الله والرئيس
عليهم عبد الله بن الزبير وكان جند جرجيس ستة اضعاف جند ابن الزبير إلا
ان النصر كان حليف المسلمين وقابل الرومان قتال المستميت وتولوا الادبار
وقتل جرجيس واستقر المسلمون بسيطة وكانت يومئذ من اعمر المعمور
وسلطانها لا يشق له غبار لانه كان يأتيه المدد من القسطنطينية عاصمة
الروم وكان البربر حلفاؤا ونصراؤا

وكما ان حسان بن النعمان الفسائي دمر قرطجة عام ٦٩ لاستعصاء
القرطجينين عن الخضوع اليه كذلك فعل قبله باربعين عاما السادة العبادة
غزاة سيطة لكسر شوكة الرومان وتذليل نواصبيهم فلم يكن لعاصمتهم بعد
من شان ومازال امرها في تناقص الى هذا العهد الذي اخذت فيه دولة
الحماية الفرنساوية على نفسها احياء ما اندرس من تلك الارض بيث
المال والرجال كما ستراه

عند حلول الموكب الرئيسي بسيطة كان في استقباله نحو الثلاثة
الآلاف من الأعيان والفرسان يتقدمهم شيوخ وعمد العربان فابتدأ الرئيس
بقبول أعيان المعمرين بتلك الناحية ثم تلقى مراسم الاحترام من مسيو
برطران مدير اشغال المياه المجلوبة من سيطة لصفاقس وعلى اثره تقدم
للسلام على فخامته السيد محمد بن بلقاسم بن احمد المكلف بعمل ماجر
بعضده خلفاوات ومشايخ العمل ثم اعرىوا عن طاعتهم واخلاصهم للدولتين
فشكر الرئيس مساعدهم واستحسن بزة اولئك الفرسان واعجب بمهارتهم
في فنون الفرسنة وركوب الخيل اثناء الملعب العظيم الذين قاموا به امام
فخامته

ثم قصد فخامته والموكب مائدة الفطور وهي عبارة عن مادبة انيقة
جدا ابدع ترتيبها المهندس مسيو موكري على نفقة شركة بون قائلة الحديدية
فجاءت آية في الزينة وفي ضروب الترويض وهنالك المادبة اقيمت وسط
خيام مزرکش ومحلى بالزرابي الرفيعة فجلس فخامته بصدر المائدة وجلس
الوزراء عن يمينه وشماله وجلس بقية الندوات على الكراسي المعدة لهم
وكان مجلس الطعام موسوما بالملاطفة وانيس الحديث

وفي ختام الطعام نهض فخامة الرئيس وتبعه الحاضرون وسار الموكب
ودليله مسيو ميرلان مدير الانطكخانة لزيارة اطلال سيطة التي تقدم
التعريف بها في اول هذا الباب فتأمل فخامته بتعمق واعتبار من ذلك الطلل
البالي الذي مسحت عظمته بيد الدهر منذ ثلاثة عشر قرنا ووقف معتبرا
لدى قوس النصر الذي بني على عهد الامبراطور « ديوكليان » الذي كان
متربعا على كرسي الانبراطورية الرومانية او اخر المائة الثالثة بعد المسيح

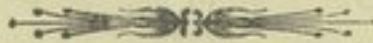


وزير البحرية واقفا على اطلال سيطة

فخامة الرئيس فليار واقف على اطلال سيطة

ومنه توجه لمشاهدة اطلال الهيكل الضخيم الذي كان اقامه الرومان
لكوكب المشتري ثم ختم زيارته برؤية آثار الحصون التي كان اقامها
الروم لدفع الغزوة العربية الثانية التي قضى فيها المسلمون القضاء الاخير
على اروام القسطنطينية المملكين على سيطة وافريقية
و بينما كان الموكب الرئيسي يزور الاطلال كان العرب والبدو
يلعبون على الخيول وكان البارود يبرق ويرعد الى ان اسود افق الجوفلما
كانت الساعة الثالثة ونصف ركب الموكب القطار وسار قاصدا القيروان
بين ضجارت اولئك الفرسان الشجعان وهتاف الالوف من العربان وعند
وصوله لسبية وكانت تسمى عند الرومان سوفاس وقف القطار بها لحظة

تلقي فخامته اثناء مراسم السلام والاحترام من اعيانها المعمرين والاهالي
 ثم فعل مثل ذلك عند وصوله لسيدي سعد وسيدني علي بن نصر الله وكان
 المطر اذاك متنازلا بافراط حتى انه كاد ان يكون طوفانا عند مرور القطار
 بجهات الخزازية على ان تهاطل الامطار لم يمنع اهالي تلك الجهات عن
 التسابق في اعداد لا تحصى للسلام على فخامته اينما حل او ارتحل لان
 فخامته تقدمه بناديهم الذكر الجميل فجاءوا من كل حذب ينسلون
 للاعراب لدى فخامته عن طاعتهم واخلاصهم وتعلقهم بالدولتين المتحابتين
 الحامية والمحمية وبعد ان تجاوز الرتل جهة الخزازية تناقصت المياه التي
 كانت قد غمرت سطح الارض بعمق بلغ مغازل عجلات القطار والتحق
 بالارض الصماء وبعد قليل دخل القيروان بتحية وسلام



الباب الثامن

في الكلام على القيروان واثارها المباركة

وزيارة رئيس الجمهورية لمدينتها

اعلم ان القيروان من اشرف مدن الاسلام بناها الصدر الاول وبها شعرات المصطفى صلى الله عليه وسلم ومشهد صاحبه سيدنا ابي زعمرة البلوي رضي الله عنه وقد اختطها عقبة بن نافع سنة ٥٠ للهجرة وعقبه هذا اما صحابي بالمولد واما تابعي بالاجماع وكان اختياره لبنائها في فلاة من الارض بداخل البر صونا لجماعة المسلمين من هجمات العدو من البحر وذلك العدو هم الروم الذين عاصتهم اذ انك مدينة القسطنطينية العظمى وقال في معجم البلدان ما معناه ان عقبة قصد بتاسيس القيروان استدامة بقاء المسلمين بين اظهر للبربر لان من اخلاقهم نكث العهد فخشى ان يعودوا للكفر بعد الايمان ويسري ذلك لآخوانهم الذين انتظموا في سلك جيوشه فيفسد نظام افريقية بارتدادهم على الاعقاب بعد ان انتشر فيهم دين الله حتى اتصل ببلاد السودان وكان عقبه نظر لهم بمرآة الحق لان ولي الدين ابن خلدون اثبت ارتدادهم بعد مرارا عن الاسلام والخلاصة ان القيروان كانت متمصرة على عهد بني امية والدولة العباسية ثم على عهد بني الاغلب وهكذا دام امرها الى اوائل المائة الرابعة حيث انتقل ملك افريقية منها للمهدية التي اسسها عبيد الله المهدي ونصب دولته بها في سنة ٣٠٨ للهجرة وجاء خلفه من بعده فاعاد عليها شبابها واسس بها ملكا فخيما ضخيما حتى

جاء زمن المعز بن باديس الصنهاجي فكانت على القيروان الطامة العظمى
والافة الكبرى وداعية الخراب بهجوم الاعراب الوافدين عليهما من مصر
في سنة ٤٤١ وبعيئهم في الارض بالفساد واسفر ليل ذلك الضلام عن
صبح الدولة الموحدية فالحفصية وجعلوا دار الملك بتونس ولم يزل بها
الى هذا العهد

وتراجعت اذاك شئون القيروان بتقاصر يد الساطة الحاكمة فيها بعد
ان امتد سلطانها في ثالث القرون ورابعها الى الجزائر وطرابلس ومالطة
وصقلية وقلورية من اعمال ايطاليا ناهيك ان قاضيها اسد ابن الفرات هو
الذي غزا جزيرة صقلية ومات بحصار سرقوسة من اعمالها سنة ٢١٣ على
المشهور

وكانت مدارسها يومئذ زاخرة بالعلوم حتى الطب والحكمة والفلسفة
ومن اشهر اطبائها في القرن الرابع احمد بن الجزار الذي سيأتي ذكره
اتنا حديث زيارة رئيس الجمهورية لمستشفى القيروان

ودامت القيروان منحدره مع تيار الانحطاط السريع فيما بين القرن
السابع والثاني عشر حتى كاد ان لا يكون لها ذكر في تواريخ
تلك العصور وهكذا الى اواخر الدولة المرادية فكانت اذاك مسرح الفتن
ومسرح المحن التي انجرت لها من اقراض المراديين وقيام الحسينيين مقامهم
في ملك تونس فاعتنى بها المولى حسين بن علي بعض الاعتناء وجدد عمارتها
واحيا دارسها كما سترالا بمحلها

هدا ولم يزل بالقيروان من المشاهد والمعالم والمعاهد الاسلامية سالا
يوجد بغيرها من بقية مدن المملكة التونسية وهذه المعاهد هي التي اكسبتها
شهرة مطبقة بالعالم الاربواوي لانها كانت قبل الحماية مغلقة الابواب في
وجه الاربواويين وحذار حذار ان تطاها اقدم اليهود فاعتقدوا بجهد منهم
ان في فتح مساجدها ومعاهدها لغير المسلمين فتحا ادبيا عظيما وهو ليس بذلك
لاننا خلافا لما يتوهمون ليست القيروان من التقديس في شيء وليست
مساجدها باكثر احتراماً من مساجد بقية بلاد المسلمين في الشرق والغرب
وقد زار ملك انكلتيرة ادوارد السابع وهو ولي عهد امه الملكة فيكتوريا
قيروان رسول الله سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ايام السلطان عبد العزيز
خان وبالرخصة منه ولم يجد المسلمون في نفوسهم من ذلك

على ان فخامة رئيس الجمهورية وهو الرجل المحنك البخير العليم
بسياسة الامم ترفع عن احراج نفوس القيروانيين بالدخول لمساجدهم
فاكتفى بمشاهدتها من خارج او بمجرد المرور عليها كما ستراه بمحله ولا
ريب ان في صنيعه هدا من المجاملة والملاطفة ما لا يخفى على لبيب

هدا وقد حان الاوان للكلام على زيارة فخامته للقيروان وها انا اذا ننقل
حديثها للقاري الكريم متوسطا بين الاختصار المخل والتطويل الممل وحيث
لم يتقدم الكلام في هذا التمهيد التاريخي لنشأة معالم المدينة وترجمة
رجالها فانه انما للفائدة الحقت كل فرع باصله متكلا في زيادة البيان على
فطنة المطالع والحديث مع اهله



استقبال الاهالي لموكب رئيس الجمهورية

عند دخول فخامته القيروان

ففي مساء يوم الاثنين ٢٤ من ربيع الثاني عام ١٣٢٩ وفي ٢٥ افريل عام ١٩١١ على الساعة السابعة وصل الرتل الذي يحمل فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية وحاشيته وكافة اعيان طبقات الاهالي والموظفين مصطفين بداخل المحطة على خط مستقيم مواز لشريط السكة من الشرق الى الغرب فتلقا عند النزول مراقب القيروان مسيو منشكور وبعد ان صافحه اخذ في مصافحة صفوف المقتبلين كاهية المجلس البلدي واعيان الفرنسيين واعضاء اللجنة البلدية وعامل القيروان السيد الهادي المرابط واذك ارتجل العامل خطابا هدا معنلا

يا فخامة الرئيس

ان زيارتكم تدل على عناية فرنسا بالامة المحمية وتبعثنا على الرجاء
بزيادة احكام روابط الالفه التي تجمعنا بالفرنسا بين وقد قلتم ياسيدي
الرئيس ان القصد من رحلتكم هذا هو استطلاع احوال هذا الديار التي
لحمايتكم فلا شك ان زيارتكم والحالة هذا ستكون عاقبتها لدينا
خيرا من الوجهتين الحسية والمعنوية - فليعش فياير ولتعش الجمهورية
وقد اجابه فخامة الرئيس بقوله

يسرني ان رحلتي قد اخذت في الاثمار لانكم اشرتتم لكلام قلته اخيرا
بالعمالة التونسية ومعنا ان مرغوبي ليس التفسح فقط بل استقرا
احوال هذا البلاد وسماع صوت ابنا وطني وماذا يرغبون لذلك نرى من
وسائل النجاح ايتلاف العنصرين الفرنسيين والتونسي حتى تصبح مصالح
الطرفين ممتزجة ببعضها تحاكي مصالح وحيدة للجميع ومنه ترون ان
وظيفة الكل هي العمل لرفع شان فرنسا وتونس معا وحيث انكم ناديتهم قائلين
« لتعش فرنسا » فانا اقول في نوبتي « لتعش تونس » ثم اعاد فخامة الرئيس
مصافحة العامل والشيخ محمد صدام الباش مفتي وصافح بعدهما القاضي الشيخ
محمد العلاني فالسيد صالح النجار العضو بالمجلس الشوري فالسيد حميد
الجريبي رئيس المجلس العدلي فالسيد محمد المقداد نائب جمعية الاوقاف
فبقية الموظفين والاعيان الحاضرين من عمل القيروان

ثم صافح رجال عمل جلاص مبتديا بالعامل السيد الطاهر بن احمد
وابنه السيد محمد خليفة سيدي علي بن نصر الله والقي العامل المذكور

عبارات الاحترام والترحيب كما القى ابنه جملا باللسان الفرنسي في الدعاء
لفخامة الرئيس وبعد ذلك تقدم الى فخامته اعيان طائفة اليهود وخطب
منهم باللسان الفرنسي للترحيب والاحترام لفخامته مسيو كوهين الوكيل
بمضوية الصلح بالقيروان ثم تقدم للسلام على فخامته ومحمد خليل النزلاء
فاعيان الجالية الطليانية يتقدمهم القبطان نريتو موشح الصدر بوسام الشرف
الفرنساوي الذي كان اهدي اليه اثناء احتلال مدينة خانية بجيوش الدول
الاروباوية ولما خاطبهم الرئيس اعرب لهم عن اشياحه لحضور الاسطول
الطلياني للسلام عليه بميلا بنزرت وذكرهم ان جنسهم والجنس الفرنسي
يجتمعان في اصل واحد وهو الاصل اللاتيني القديم واستغرقت هباته
التحيات نحو نصف ساعة قلد فخامة الرئيس اثناءها وسام الشرف الفرنسي
من الرتبة الثالثة للماجور ماسون كمدان عسكر التريور ومن الرتبة الرابعة
للسيد صالح النجار العضو بمجلس الشورى كما احسن بالوسام الزراعي
لمسيوروهن البيطار البلدي

ثم ركب فخامة الرئيس وحاشيته العربات التي اعدت لهم وقصد
الموكب دار المراقبة بين صفوف الفرسان فنزل بها ضيفا مكرما ورئيسا معظما
وبها قضى ليلته حتى الصباح

اما حاشيته فقد خرجت ليلا للتفسيح ولزيارة المدينة ومعاهدها الدينية واسواقها
المزدانة بنوع المنسوجات الحريرية المختلفة الالوان وبالزرابي وادوات
الزينة الرفيعة الباهرة وكانت اذاك صوامع ومنارات المساجد تتلالا بالنور



بيت الصلاة بجامع سيدي عقبه بن نافع بالقيروان

واتفق ان كان احد الحوائب الحاضرين لخفر الركاب الرئيسي وهو الصبايحي احمد بوراس ممن تقدمت مصاحبته لركابه الفخيم اثناء زيارته، لصفاقس حيث خدم فخامته اذ كان على مائدة الطعام فعرفه جنابه العالي وتنازل لموانسته بالحديث عند حلوله بدار المراقبة حيث نال الحانبة المذكور ايضا بما عندنا من التهذيب والمهارة شرف الخدمة بين يدي فخامته اثناء تلك الليلة فكان حديث هذا الحانبة يتناقل بين الجموع والافراد من الاهالي الذين اخذوا منه دلالة صريحة على لطف وحلم فخامة الرئيس زيادة على ما هو متعلق بمنصبه العالي من العظمة والمهابة

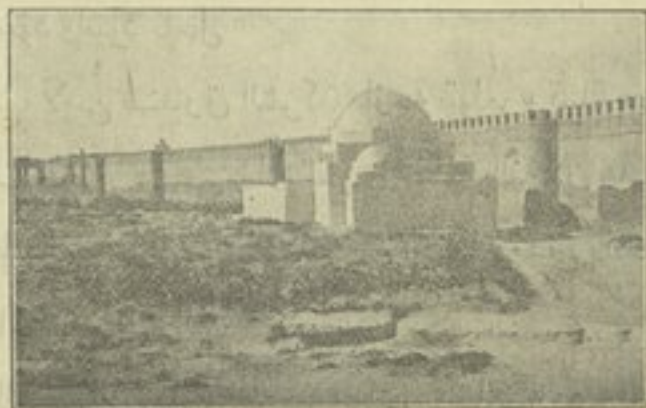
وفي صباح الغد اي صباح يوم الثلاثاء من ٢٥ ربيع الثاني ١٣٢٩ ركب فخامة الرئيس في حدود الساعة الثامنة صباحا عربته وسار في موكبه

المحترم محاطا بكوكبة من السبايس تحت قيادة عامل جلاص وعامل
القيروان وكانا راكبين فرسين عربيين من عتاق الخيل وعند الوصول
لبطحاء باب الجلادين نزل فخامة الرئيس وحل في الرواق الذي اعدته
شركة « الزربية » القيروانية وكان الرواق محاطا باقواس النصر وجدرانه
مغشاة بالزرابي المختلفة التمييق والالوان فتلقته جمعيتها واهدت له زربية
قدمتها الى فخامته طي اطار منذهب فتكرم فخامته بقبولها واثني على ذوق
ناسجي بردها وكانت بها صورة صومعة جامع سيدي عقبة بن نافع ومكتوب
عليها بالنسج عبارة تفيد تاريخ صنعها ولم يكتف فخامته بذلك بل اخذ
على نفسه اظهار رغبته في تنشيط تلك الشركة فاشترى من مصنوعيها من
ماله الخاص زربية كبيرة ثمينة مزركشة بالوان الصوف الطبيعية من ايض
ورملي وقرني واسود واسود كاحل

ولما تقد ثمنها لامين صندوق الشركة مازحه بقوله « قبيلة كنت
تدفع والآن صرت تقبض » وهي عبارة تطوي حكمة بالغة لان هذا العالم
الانساني مبني على الاخذ والرد ولذلك قالوا ان الانسان مدني بالطبع لانه
يحتاج لغيره كما يحتاج غيره اليه

ومن هنالك تحرك ركاب فخامة الرئيس وحاشيته وعاد للمدينة
فدخلها من باب الجلادين - وهذا الباب والسور المحدق بالمدينة وكان في طول
اثنى عشر ميلا على ما قصه التاريخ اسسه عقبة بن نافع الفهري - ومعلوم
انه بتوالي السنين وتداول الدول طرا على اسوار القيروان ما طرا على غيرها
من المدن فتارة كان شانها اليق السعادة واونة كان حليف الشقا ومن
هذا القبيل الثاني كان امر سور القيروان الذي بناه الصحابة والتابعون

اذ قد هدمه زيادآ الله ابن الاغلب سنة ٢٠٩ لما اتهم اهل القيروان بمظاهرة
القائم منصور الطنبذي ولم يستأنف بناءه إلا على عهد المعز بن باديس
سنة ٤٤٤ واذاك جعل تكسيرا اثنين وعشرين الف ذراع ثم خربت القيروان
راقرت سنة ٤٤٩ بيد اعراب مصر المسلطين على المعز ابن باديس باذن
الخليفة الفاطمي المستنصر عند ما نبذ المعز الاعتراف بالدولة العبيدية بمصر
ودعى للقائم العباسي ببغداد ولما تراجع العمران وجدد السور كان
تكسيرا اقل مما كان عليه زمن المعز حتى ان دار الامام السيوري
المتوفى سنة ٤٦٢ وصارت له تربة فيما بعد بقيت خارج السور المستجد
بعد ان كانت في داخله زمن المعز



مشهد الامام السيوري

وكان اخر الامر باسوار القيروان تجديدها على يد حسين بن علي
موسس العايلة الحسينية ادامها الله ولا زال اسمه وتاريخ البناء على داخل
ابواب المدينة فعلى باب الجلادين الذي دخل منه فخامة الرئيس ما نصه

سور اتى في عزة وسرور ليرى غريب البعث بعد نشور
احي مآثره حسين باينا شققا على المخلوق بعد دثور
واتى به من ماله بكماله من غير مظلمة ولا تفسير
يرجولذلك عفو خالقه اذا ما اضطر ذو ذنب احى غفور
بالمصطفى توجه بالتوفيق في حرثاته من نهي او مأمور
مادام يشئ ذا البناء مؤرخا جدت بالباي حسين امير
ثم جدد السور علي باي بن حسين باي وذلك لخرابه من حصار
يونس بن الباشا علي بن محمد باي الامير حسين بن علي باي بالقيروان حيث
استشهد هذا الامير سنة ١١٥٣



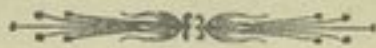
باب الجلادين

وسار الموكب بعد الدخول من باب الجلادين في النهج الكبير الممتد
باستقامة بين باب الجلادين وباب تونس وكانت الزينة والرايات التونسية
والفرنساوية على ا كمل نظام ثم مر بالحفاوين ثم الحجامين



نهج الحجامين بالقيروان

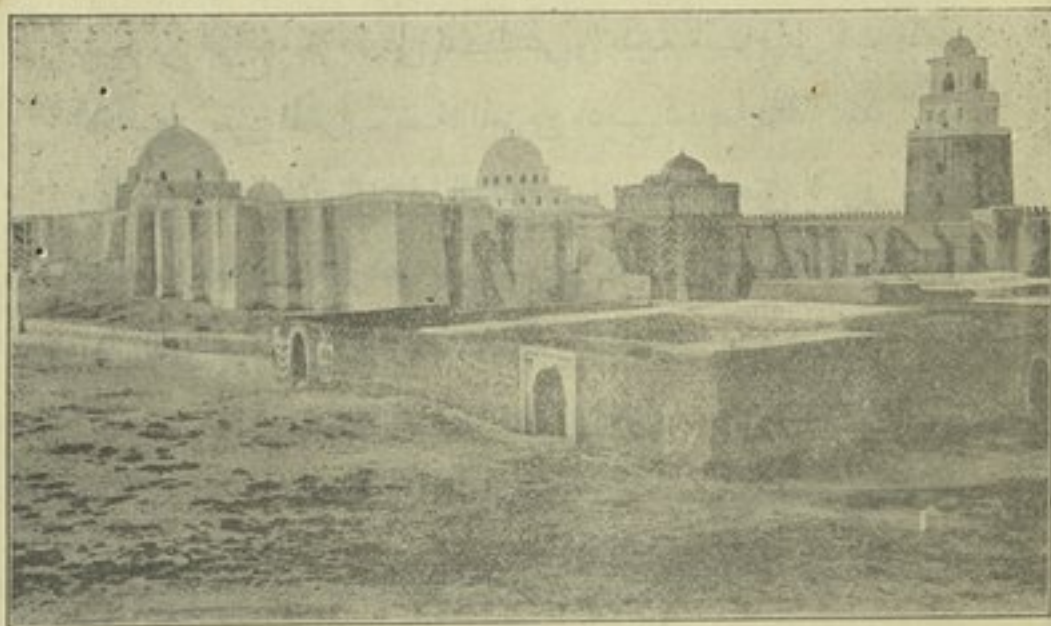
ثم مر الموكب بسوق الخضر ثم عملة القصدير ثم الخرازين ثم
الزراعية ثم الصفارين ثم الجزارين وعند الوصول الى باب تونس عرج
الموكب الى اليمين وسلك مع داخل السور ومر على باب القصبه حيث مقام
الاي التريور





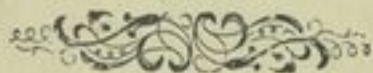
مدخل قصباء القيروان

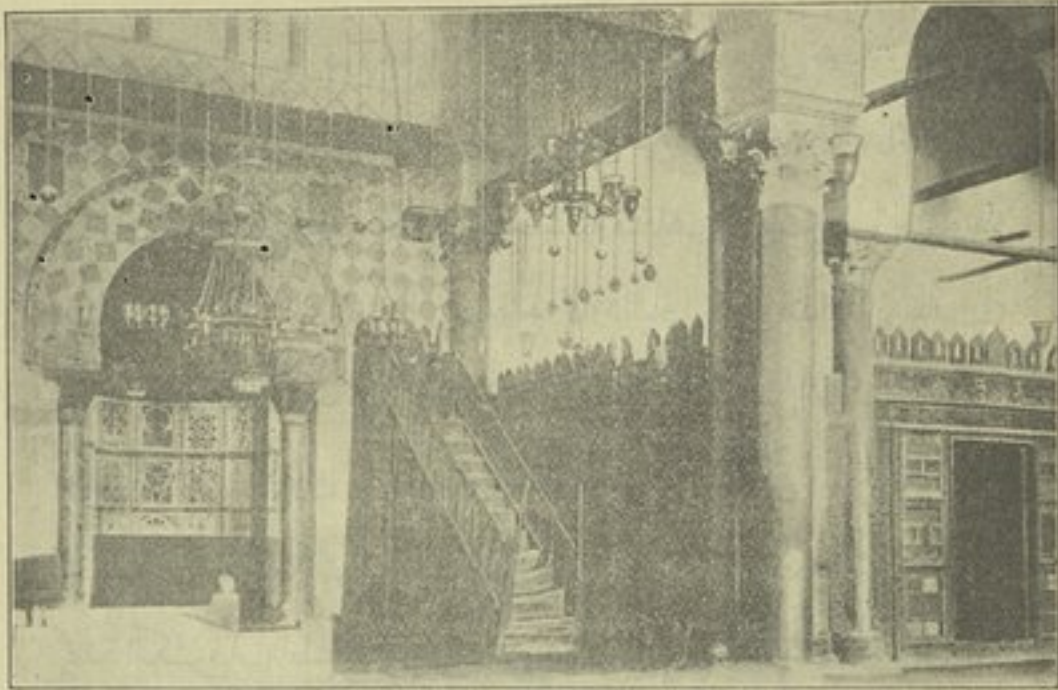
ثم مر على بطحاء غسالة العظاظمة فنهج الزاوية القادرية فنهج السور
الى الجامع الاعظم جامع عقبة بن نافع



جامع عقبة بن نافع وصومعته

اما هذا الجامع الشريف فقد تداولت ايدي الولاة عليه فاونة بالاصلاح
 ولخرى بالتوسيع والتفخيم واما بناء الحالي فهو من حسنات زيادة الله بن
 الاغلب الذي دام ملكه من عام ٢٠١ الى عام ٢٢٣ فقد جدداه جميعه عدا
 جدار المحراب الذي بناه عقبه بن نافع فانه ابقاه واقام عليه حايطا حتى لا
 يظهر اثر في الجامع لغيره فعمر هذا الجامع اليوم الف ومائة ونيف من الاعوام
 لذلك كان جديرا بالتشريف والتكريم - ثم جاء من بعده ابو ابراهيم احمد
 ابن الاغلب الذي دام ملكه من عام ٢٤٢ الى عام ٢٤٨ وحسن المحراب
 وجعل عليه شبايك من الرخام يرى من ورائها جداره العقبى العتيق
 وجلب ذلك الرخام من العراق - ورضع وجه حايط المحراب بقراميد
 صينية - واقام بالجامع منبرا غريب الصنع من ساج اتى به من بغداد وهو
 لم يزل قائم الذات اجريت به بعض اصلاحات عام ١٣٢٧ وفي الجامع بيت
 متسع من الواح مخربته على نمط عربي بديع مقام على باب مقصورة
 الامام على يمين المحراب بناه المعز بن باديس لخاصة الملك عند الصلاة
 ولعله قصد بذلك الانفراد اما الترافع عن الناس حتى لا يرون انفسهم
 متساوين معه ولو بين يدي الله القادر على كل شي * واما التباعد عن مقاصد
 اهل السوء والسطو والجراة



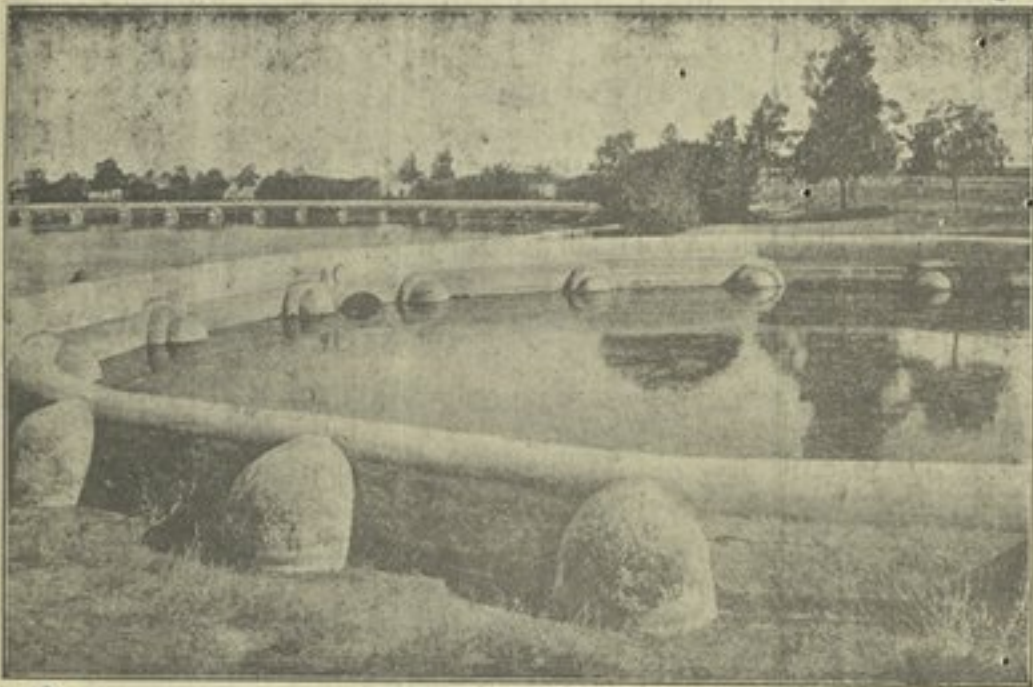


المحراب والمنبر بجامع سيدى عقبة بن نافع

وجامع عقبة هو الكعبة التي كان يحج إليها طلاب العلم من افريقية
 والمغرب والاندلس على عهد امام المغرب سحنون بن سعيد التتوخي القاضي
 المتوفى سنة ٢٤٠ ولاهيته العلمية والتاريخية كانت العناية به متواصلت
 حفظا لادانه وحثا على نشر العلم في كل عهد وجيل وعليه اوقاف جمت من
 ربح وعقار واشجار حتى في غير القيروان مثل اعمال الساحل وقابس
 وافريقية وهو الان محل عناية الدولة التونسية التي لم تنفك ساهرة بعين
 كتابتها العامة على حفظه والسعي في عود شبابه وليس احد بهذا الديار
 يجهل ما لجناب مسيورا والوزير المفوض من الايادي البيضاء والهمة
 المتواصلت والمساعدة على احياء ذكر هذا الجامع في الخافقين
 ولما وفد ركاب رئيس الجمهورية لجهة الجامع وقفت عربة فخامته

بباب الصحن وطافت بقية العربات بالجامع من كل جهة حيث كانت ابواب
 المصلى مفتحة جميعا ثم رجع الموكب بعد زيارة الجامع على هذه الصورة
 وخرج من باب تونس قاصدا زيارة المستشفى الاهلي الذي وقع احدائه لثلاث
 سنوات فارطة فيزل فخامة الرئيس وحاشيته فتلقاهم على باب السياج المحيط
 بساحة المستشفى الحكيم الماسوف عليه كاردالياقي مدير هذا المارستان
 والمعاون الطبي السيد عبد القادر المرزوقي فشكر الرئيس الحكيم المذكور
 وقال له بلغني اعتناؤك واجتهادك في مقاومة انواع الامراض وساله عن اطوار
 خدمته في المملكة التونسية وعن بلده بفرانسا فعرفه الطيب بذلك وبين له ان
 عدد الكشوفات الطبية التي جرت على يداه في العام الفارط كانت تسعة عشر الفا
 وعدد ذلك في الشهر الفارط « مارس ١٩١١ » الفان وخمسمائة وقدم الى فخامته
 معاونه السيد عبد القادر المذكور فسأل فخامته عن نشاط المعاوين المسلمين
 ونجاحهم فشكر له الطيب التلامذة المتخرجين وقال ان مشروع تخريج التلامذة
 المعاوين من انفس اعمال الحكومة وبعد ما شاهد بيوت الرجال والنساء خرج
 من باب دار النساء وكان دخوله من باب دار الرجال وقبل ان يبارح
 المستشفى احسن فخامته بالوسام العلمي للحكيم كاردالياقي المذكور وبمثله
 للسيد محمد المقداد الورتتاني نائب عموم الاوقاف اما بالقيروان المستشفى
 المذكور فقد كان الشروع في بنائه عام ١٣٢٦ وتم وقته للمرضى يوم
 الاثنين الثالث عشر من ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ والثالث من ماي ١٩٠٩
 في موكب حافل حضره جناب الوزير المقيم العام وجناب مسيو بلان

الكاتب العام ومراقب القيروان وعاملها والمجلس الشرعي ونائب الاوقاف
 ووكلاء الاحباس بها وخطب يومئذ المراقب المذكور وهو من المستعربين
 المجيدين وتمنى ان يرى من ابناء القيروان الميل الى تعلم الطب حتى يرى
 منهم امثال احمد بن الجزار الطيب القيرواني في القرن العاشر للميلاد
 (الرابع للهجرة) ثم اعلن بافتتاحه للبوشاء وابناء السبيل واثنى على همته
 جناب الكاتب العام ونشاط نائب الاوقاف بالقيروان الذي اشار بتسميته
 بمستشفى ابن الجزار احياء لذكر ذلك الحكيم القيرواني الذي كان يعيش
 في القرن الرابع وتنبهها لمجد مدينة القيروان ثم ان فخامة الرئيس توجه
 من المستشفى لزيارة فسقية الاغالبه وتعرف في التاريخ بماجل بني الاغلب
 بناه ابو ابراهيم احمد بن الاغلب خارج باب تونس على شكل هندسي كثير
 الاضلاع وكان شرب اهالي القيروان منه وبنى في وسط الماجل صرحا مثنى
 الشكل باعلال قصبة ذات ابواب اربعة تحمل احد عشر رجلا يجلس فيها
 الامير مع حاشيته ولا زالت بقية ذلك الصرح الى الان في مركز محيط
 الفسقية المذكورة وهذا الماجل الذي اتمه احمد بن محمد بن الاغلب
 عام ٢٤٨ كاد ان يذهب ضحية الاهمال ويطوي الدهر خبيرا لولا ان
 تداركته الحكومة في عهد الحماية واظهرت محاسنه واحيت به ذكر
 صاحبه واليه تدفع الان المياه الفاضلة من عين الشريشيرة المجلوبة لشرب
 القيروان وهو شاهد عدل على ما لصدر الاسلام من الاعتناء بعلوم العمران
 وحسن الذوق وكمال الحضارة وعلى الماجل المذكور اوقاف مع
 بقية الفساق التي لنظر جمعية الاوقاف



ماجل بني الاغلب بالقيروان

ثم مر الموكب الرئيسي بمقام سيدنا ابي زمعة البلوي ورجع الى محطة سكة الحديد وكانت فرسان العروش فوق خيولها المطهمة باكمل زينة على سمطين ممتدين على طول الطرق التي سلكها ركاب فخامته ولما كانت الساعة العاشرة تحرك الرتل قاصدا مدينة سوسة

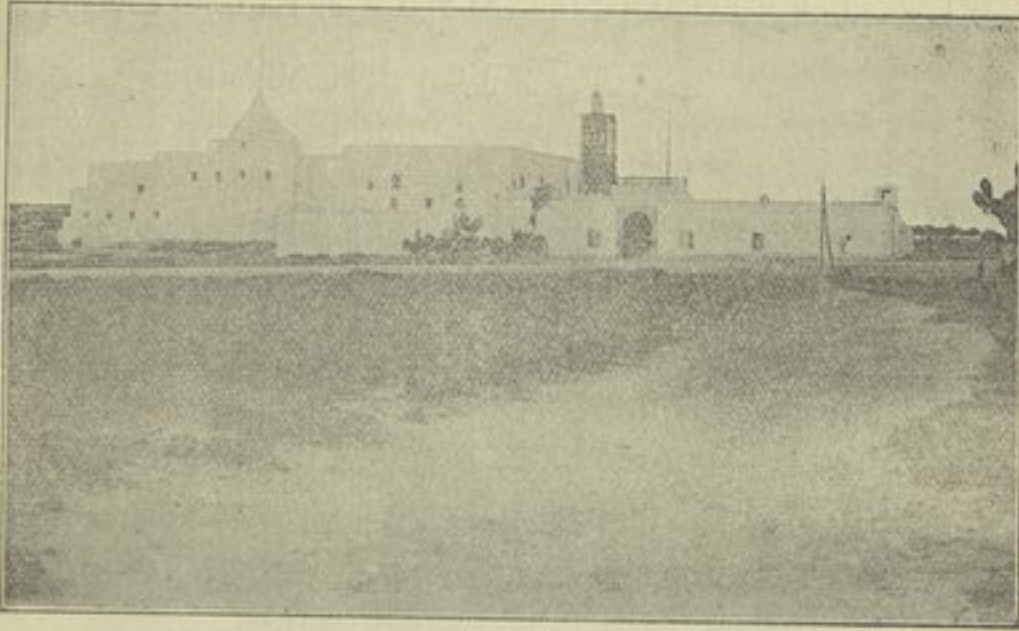
اما سيدنا ابو زمعة المذكور فهو عبد الله ابن آدم الصحابي دفين القيروان ومعه شعرات من جسد النبي صلى الله عليه وسلم اتى مع رجال الفتح ومات ودفن هناك ويوجد على جدار القبعة التي بناها بترتبة ابي زمعة الامير حمودة باشا المرادي في اواخر القرن الحادي عشر هذا العبارة « تاريخ وفات ابي زمعة عام ٣٤٤ » ويتصل بالقبعة صحن متسع

ورواقات مكسوة بالقراميد الاندلسية ذات الطلاء الملون البديع ويبي
الصحن مدرسة لطلاب العلم وحفظ القرآن الشريف



منظر داخلي من زاوية سيدنا أبي زمة البلوي

ويتصل بذلك علو كان معدا لنزل امراء تونس عند وفودهم على
القيروان يعرف بعلو الباشا



منظر خارجي من زاوية سيدنا ابي زمعة البلوي

هذا وبما لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاعتبار في النفوس
 ولاستصحابه شعرات النبوة لا اعتنى بتربيته السلف والخلف ووقفوا عليها الموقوفات
 الطيالة ومن ريعها تخرج الآن صدقات كثيرة على الفقراء ومستشفى ابن الجزار
 وطلبة العلم والقراء والمدرسين - هذا ولاستيفاء حديث الزيارة الرئيسية
 للقيروان لا مندوحة للكاتب من التعرض للجسارة والمهارة التي قام بها
 ابو جناح بوفي صبيحة يوم مبارحة الرئيس للقيروان فان هذا الرجل
 الجسور قد انجز اثناء مرور الموكب بالمدينة تمرينات غريبة على صفحات
 الجوالان العيون رمته بسهام فوق جريحا فوق جدار وقامت حينئذ
 ضجة ارتياح بين كافة الناس واسرعوا لاغاثة فاما طيارته فقد تكسرت
 اربا اربا واما بدنه فقد عاينه الحكيم وبشر الحاضرين بان جرحه لا يخشى منه
 على حياته وقد اهتم فخامة الرئيس بامرلا وبعث له من يبلغه تحيته ويهنئه بالسلامة

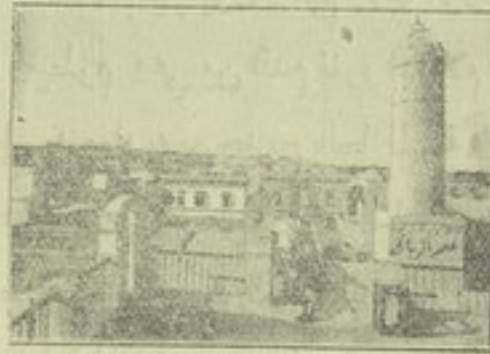
الباب التاسع

في الكلام على مدينة سوسة عاصمة البلاد الساحلية

واحتفالها بفخامة رئيس الجمهورية

اعلم ان سوسة اسمها الفينيقيون وعندهم ورثها الرومان وكانت تسمى على عهدهم هدر وميطوم وهي من اقدم ثغور الاسلام فتحها الصحابة في سنة ٤٥ للهجرة على يد معاوية بن حديج بالحاء المهملة في خلافة معاوية بن ابي سفيان وكان ذلك في معركة مشهورة مع عساكر الروم الذي سيرهم امبراطور القسطنطينية لمحاربة جيش العرب الفاتحين الا ان النصر كان حليف المسلمين في تلك الوقعة فهزموا عدوهم على مقربة من قصر الجم الوارد ذكره في محله من هذه الرحلة ومن آثار السلف بها قصر الرباط وجامعها الاعظم وكلاهما احدهما السلطان محمد بن الاغلب فاما القصر فكان معدا لسكنى الغزاة حين كانت سوسة مرسى حريا لدول القيروان وفيها تحشد الجيوش والاساطيل المعدة لفتح جزيرة صقلية وفيه صومعة شهيرة شاهقة البناء كانت ناظورا للمرابطين يترصدون منها طلائع العدو فيكشفون من بعد على اساطيله ويتهيأون لمواجهته بالنيران الحامية والسيوف اللوامع وفي هذا المقام روى التاريخ ان غالب الثغور الافريقية على ساحل البحر المتوسط من طرابلس الغرب الى طنجة كانت بها نواظير على نمط صومعة قصر الرباط بسوسة فاذا لاحت اساطيل العدو لواحد من هاتيك الثغور بادر مرابطولا الى اعلام الثغر القريب منهم بعلامات واشارات اصطلاحية ترى من بعد فيبادر اهل ذلك الثغر باعلام الذين يلوونهم وهؤلاء

يفعلون على اثرهم مثل ذلك مع الذين يلونهم وهلم جرا بحيث ان كافة
 ثغور الاسلام بافريقيا تكون في وقت واحد على علم من الخطر الذي
 يتهدد بلاد الاسلام فتأخذ حذرهما وتذهب للدفاع او الهجوم وفي عصرنا
 هذا تحول قصر الرباط لمدرسة لطلبة العلم



قصر الرباط وصومعته

اما الجامع الاعظم بسوسة وناهيك به من مسجد صلى فيه سحنون
 وغيره من ائمة الفقه فقد اسسه محمد بن الاغلب المندكور سنة ٢٣٦٠ ثم زيد
 في بنائه بعد سقوط دولة بني الاغلب الى ان تعاضم شأنه واصبح من اضخم
 جوامع الاسلام بشمال افريقيا ولقد نقشوا باعمدته في اواسط المائة الرابعة
 هذه العبارة وهي « القرآن كلام الله ليس بمخاوق » مما يويد ما قصه
 علينا التاريخ من اذلال وامتهان اهل السنة بسوسة في دولة القايم ابي القاسم
 محمد بن عبيد الله المهدي ثم تغلب الحق على الباطل واعتلاء اهل السنة على
 الشيعة وهو ما اشار له احد شعرائهم المجيد بن احمد بن صالح السوسي حيث قال

مدينة سوسة في الغرب ثغر تدين لها المدائن والقصور
 لقد امن الذين بقوا عليها كما لعنت قريظة والنضير

اتاها الخارجون ليملكوها فكان من الاله لها نصير
 اعز الله خالق كل شئ بسوسة بعد ما التوت الامور
 ولولا نصره ظهرت دواهي يشيب لهولها الطفل الصغير
 سيبلغ ذكرا بسوسة كل ارض ويفشى اهلها العمد الغفير
 قيل ان الفحش والظلم والقساوة التي ارتكبتها الشيعة نحو اهل سوسة
 اوائل المائة الرابعة جعلتها قاعا صفصفا لا ترى فيها انسيا سنيا الى ان اتاح
 الله نصره لاهل السنة فاستعادوها من اهل الشيعة واصبحوا كلهم على مذهب
 امام دار الهجرة ملك من انس لتوحيد المذاهب يومئذ بافريقية دفعا للشبهات
 ولمدينة سوسة ينتسب جماعة من اهل العلم منهم الامام يحيى بن عمر
 الكناني وعنه اخذ علماء القيروان (راجع كتاب اقتباس الانوار)



ضريح الامام يحيى بن عمر الكناني بالبطحاء البلدية الجديدة بسوسة
 اما اليوم فسوسة هي عاصمة البلاد الساحلية جمعا يربو عدد ساكنيها على
 ٢٥ الف نسمة وهي بلاد تجارة نافقة وغراسة دافقة ارجاءها زاهية واحوازها
 زاهرة بغروس الزياتين والعمارات والمصانع وليس عمل من اعمال المملكة
 التونسية اكثر من عمل سوسة عمراننا ومدنا وقرى وشؤونها البلدية يدبرها

مجلس يديرا نخبة من اهاليها المسلمين والفرنساويين تحت اشراف عاملها
النيور و رئاسة معتمد فرنساوي تمحض خدفا وحزما وهو الاستاذ غاليني
الذي سياتي ذكره في هذا الباب من الرحلة
فلما دخلها الرئيس قرب زوال يوم الثلاثاء ٢٥ افريل ١٩١١ كان
الهواء ناعما والغزاة تغشي باشعتها الابصار وكانت الغرس والزروع قد اخذت
نصيبها من نعمة الغيث فاصبح جماله يسحر الابصار



الزينة بسوسة عند دخول القطار الرئيسي اليها
ولدى نزول فخامته بموقف الحديد تقدم للسلام عليه كل من مسيو
دوماس المراقب المدني بسوسة وعاملها السيد البشير صفر والاميرال
ييلوقايد اسطول بنزرت حيث عاد لساحلها باسطولها المهيب

بعد ان قضى اياما في ميلا صفاقس وعاد للاتحاق بفخامة
الرئيس عند قدومه لسوسة ثم للعودة لميلا بنزرت ليكون على اذن جنابه
للرجوع بفخامته لفرنسا يوم ٣٧ افريل ١٩١١

وكانت محطة السكة بسوسة غاصة بوجوه المستقبلين يتقدمهم الجنرال
ديزورت والمجلس البلدي والمجلس الشرعي والمجلس الافاقي ورجال العدلية
الفرنساوية وسائر الادارات والهيئات الرسمية واصحاب الحيشيات من سائر
الطبقات وعندئذ تقدم جناب الوزير المقيم وعرف فخامته بالاعيان
الحاضرين ثم عرض على جنابه مراسم تهنيتهم واحترامهم جميعا فشكر
فخامته سعيهم وقلد اوسمة من درجات مختلفة منها الصنف الرابع من
الجيون دونور للملازم السيد احمد بن حسين من جيش التريور



موكب تقليد الاوسمة بسوسة

ثم انتظم الموكب وسار مخفورا بالعساكر على نغمات الموسيقى مارا
بشوارع المدينة وكانت لابسة ثوب الزينة واعلام الفخر خافقة على معالمها
والناس قد غص بهم رحب الفضاء فكان الموكب يسير الهويئا لشدة

الإزدحام والفرح الذي بلغ بالسكان حد الهيام ولما وصل الركاب الرئيسي
لدار المراقبة نزل فخامته والوزراء ورجال الحاشية ودخلوها مع الاعيان
المصاحيين لهم بحضور مادبة الاكرام واذاك اطلق الاسطول مدافعها
اشعارا بالسلام على فخامته

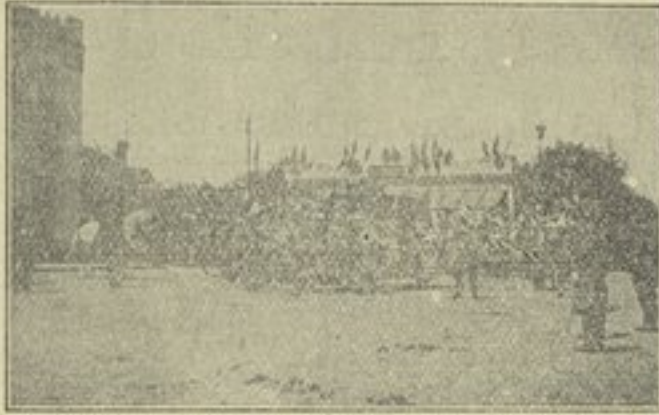
وقد حضر هذه المادبة الفاخرة كل من جناب عامل سوسة ورئيس
مجلسها البلدي وكاهيته مسيو غاليني السالف الذكر فلما حضرت ساعة شرب
القهوة تنقل فخامته ومعيته لقاعة الاستقبال وتجادب مع الحاضرين اطراف
الحديث واذاك استدنى من فخامته صاحبنا السيد البشير صفر عامل سوسة



السيد البشير صفر عامل سوسة

وأنسه بلطيف القول ثم اخذ يساله عن حالة الراحة التي ما انفكت متواصلة
 بجهات الساحل ولما اكده له صاحبنا المذكور اخلاص الاهالي للسكون
 والاقبال على شئونهم بفضل العدالة التي مدت رواقها فيما بينهم انجربه
 الحديث للكلام على الجرائم الشاذة التي هي من خصوصيات البدو
 كاختطاف الابكار بداعي العشق والغرام وهنا افاض العامل القول على ما
 يعقب ذلك من الدفاع عن شرف الاعراض الذي يؤول في غالب الاحوال
 للطلاق بين العاشقين فاستفهم منه فخامة الرئيس صورة الطلاق في الشرع
 الاسلامي فشرحه له مبتدأ بالاشارة لانه « ابغض الحلال الى الله » ثم بين
 درجات الطلاق الرجعي والبائن وختم كلامه بمعنى الطلاق بالثلاث
 القاضي بالفصل بتاتا بين الزوجين وحينئذ اخذ فخامته يتتبع مجاري
 الحديث بكل تفهم وتمعن فادته قريحته الصقيلة للاستفسار هل من سبيل
 بعد ذلك للجمع بين الزوجين لانه استروح من جواز تكرار النكاح
 والطلاق مرارا السر الخفي الذي ذهب بالشارع للركوب بامته مركب اليسر
 لاستدامة الالفة والمعاشرة العائدة طبعاً بتسمية اعداد جماعة المأمين وصون
 الرجال عن مد عيونهم لنساء الغير

فقص عليه صاحبنا العامل عندئذ حديث المراهق على المذهب الحنفي
 واقفا دون (حديث العسيلة) واذك ادرك فخامته بقية النازلة فضحك كثيراً
 ولما استاذن العامل للانصراف حيا فخامة الرئيس وصافحه مصافحة الكرام
 ثم ان فخامة الرئيس تلقى مراسم المواعدة من كبار المأمورين
 بسوسة وركب عربته وسار موكبه بعد الظهر محفوفاً بالاقبال



موكب فخامة رئيس الجمهورية عند مبارحته لسوسة

والاجلال قاصدا السكة الحديد حيث ركب الرتل عائدا لحاضرة
تونس فوصلها بسلام

هدا ونختم كلامي على مدينة سوسة بذكر حكاية لطيفة ذكرها
الحميدي في تاريخه قال « اخبرني بعض اصحابنا بالاندلس عن سليمان
ابن محمد الهروي الصقلي قال كان بسوسة افريقية رجل اديب شاعر وكان
يهوى غلاما جميلا من غلمانها وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه قال
فبينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر عن نفسه وقد غلب عليه غالب
من السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قيس نار ويحرق على الغلام داره لتجنينه
عليه فقام من حينه وجعل ذلك واتفق ان رءا بعض الجيران فبادروا النار
بالاطفا وما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموا فاحضره القاضي وساله عما
فعل فانشا يقول ارتجالا

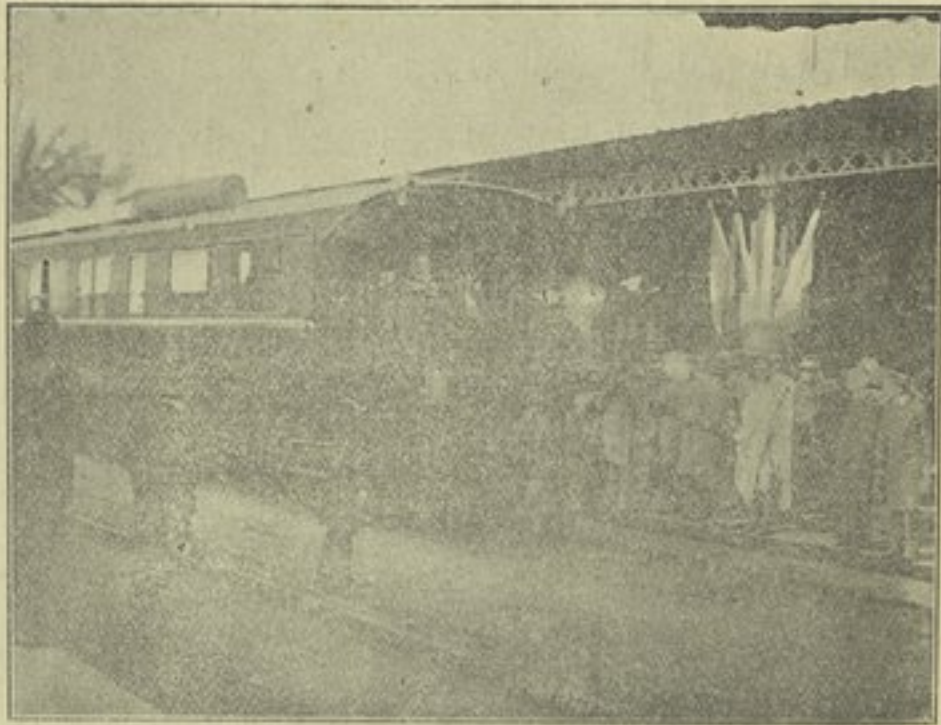
لما تمادى على بعادي واضرم النار في فوادي
ولم اجد من هو الا بدا ولا معيناً على السهاد
حملت نفسي على وقوفي ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي اقل في الوصف من زناد
فاحرق الباب دون علم ولم يكن ذلك من مرادي
قال فاستظرف ذلك القاضي وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان لا
يعود وقريب من تجاوز هذا القاضي الليب صنيع الخليفة عبد الملك بن
مروان يقال انه هو الذي ابطال اول حد في الاسلام اذ رجع عن قطع يد
سارق لانه اشده ساعة الحكم عليه بقطع يده
يدي يامير المؤمنين اعينها
بعفوك ان تلقى مقاما يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها
اذا ما شمال فارقتها يمينها



الباب العاشر

في الكلام على زيارة فخامة رئيس الجمهورية للجهات الغربية
ولخرابات دقة ورجوعه لفرنسا

بعد ان قضى رئيس الجمهورية ليلة الاربعاء ٢٦ افريل ١٩١١
بدار السفارة العامة انتظم موكب فخامته صبيحة اليوم المذكور وتحرك
ركابه على الساعة السابعة قاصدا محطة السكك الحديد الجنوبية فمر
موكبه بين اسمطة الجيش الفرنسي على نغمات نشيد المرساياز وكانت
ساحة السفارة واحياء الحارة الاربوية غاصة بالخلائق والهاتفين بالدعاء
لفخامته واذاك اطلقت المدافع مائة طلقة وطلقة من الحصون واقلاع اشعارا
بموادعة الحاضرة التونسية لفخامته وبينما كان البارود يتكلم استعرض جناب
الجنرال يستور قائد جيش الاحتلال تحت انظار فخامته فرقة من العساكر
المسلمين المنخرطين في الجندية الفرنسية جزي بهم للمحطة بقصد ارسالهم
لالتحاق بالجيش الفرنسي العامل بالديار المغربية فاستنشق فخامة
الرئيس بسالتهم واثنى عليهم وعلى قائد جيش الاحتلال بتونس



فخامة رئيس الجمهورية عند ركوبه القطار بالحاضرة

متوجها للجهات الغربية

ثم ركب جنابه رتلا مزركشا بابدع اسلوب وهو الرتل الذي كان في خدمة مسيولوبي عند زيارته للمملكة التونسية في ربيع عام ١٣٢٢ فتحرك الراكب قاصدا مجاز الباب يحفه الاقبال والاكرام ولما مريبلد طبرية اوقف سيره واذاك خرج فخامة الرئيس من غرفته واشرف من برطال العربية على جموع الوافدين للسلام عليه من اعيان النزلاء والاهالي بجهة طبرية فتقدم حينئذ نحو مدرج العربية السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة واعرب لفخامته عن ولائه واحترامه ثم قدم لفخامته المرحوم الشيخ محمد العجابي القاضي الشرعي بطبرية وهو شيخ على جانب

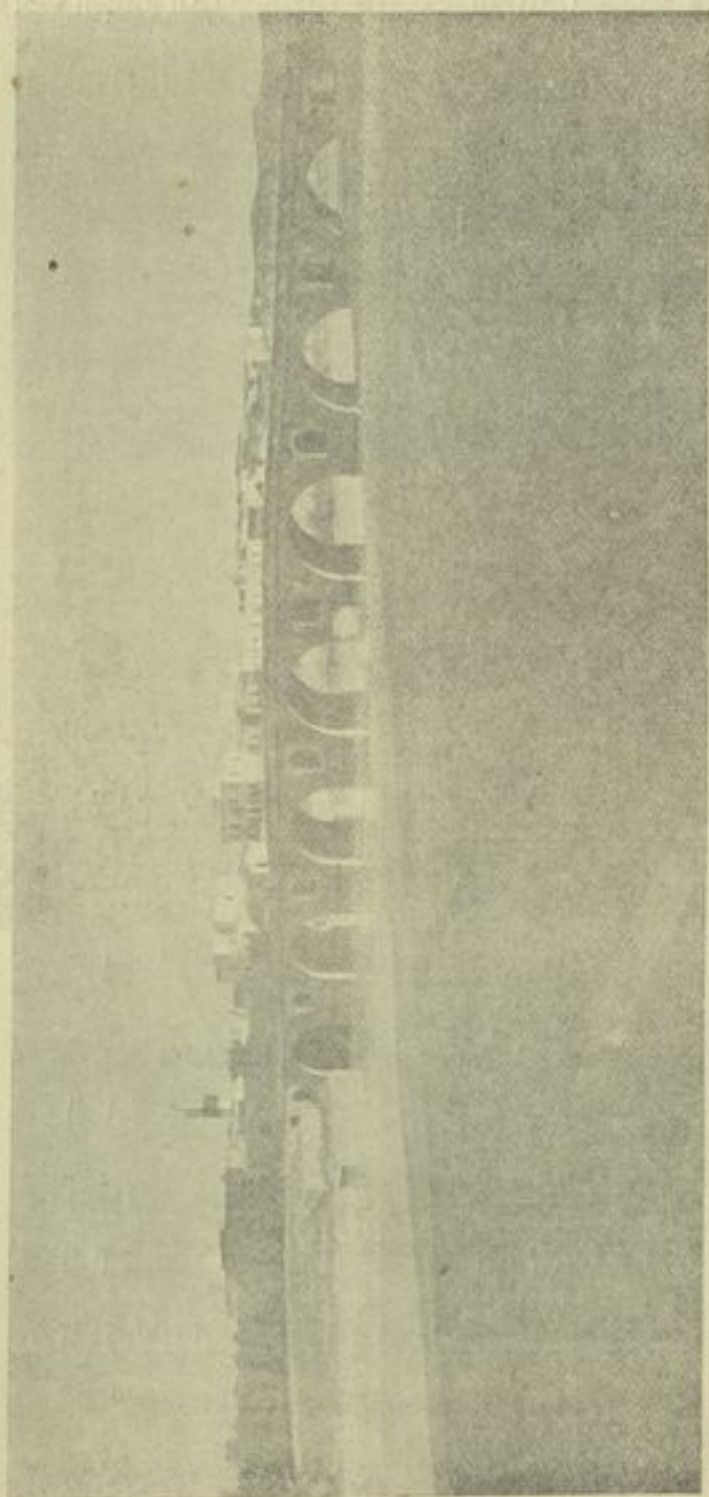
من الوقار اطل على ما وراء التسعين فحيلا جناب الرئيس تحية طيبة ثم تلقى فخامته مراسم السلام والاحترام من المجلس البادي فاعيان النزلاء فبقية الطوائف واذن باستئناف السير فتحرك الرتل نحو بلد مجاز الباب



مدافن قدماء البرابرة بشواطئ من عمل الاحواز

وهذا البلد كان يسمى عند الرومان « منبريسنة » ففضى نجبه في جملة مدنهم التي عفت رسومها بعدهم الى ان جاء الاندلس في جاليتهم الاخيرة سنة ١٠١٧ على عهد عثمان داي فاحيولا كما احياوا واسسوا عدة مدن اخرى قال في كتاب المونس انهم بنوا اكثر من عشرين بلدا بشمال العمالة التونسية وذكر اغلبها وانا اتقلها عنه هنا افادة للقاري وتمجيدا لذكر اهل

(٢٤٣)



قنطرة مجاز الباب

تلك الجالية الذين ادخلوا جملة من العوائد الحسنة واسسوا عدة مدائن
واوجدوا نظاما مدنيا للعائلة في البلدان والجهات التي امتزجوا فيها بالعنصر
الاهلي التونسي اما المدن التي اسسوها بالعمالة فهي على ما ذكره المورخ
ابن ابي دينار في كتاب المونس المشار اليه

سليمان

بلي

نيانو

قربالية

تركي

الجديدة

زغوان

طبرية

قريش الواد

مجاز الباب

السلوقية

تستور

العالية

قلية الاندلس



الجسر الزوماني بقريش الواد
وباغلب جهات تلك المداين آثار رومانية لم تنزل قائمة الذات تدل
على ما كان لتلك الارض من الرفعة والشان في فائت الازمان
وكذلك يوجد بها ايضا اثار للبرابرة كما وجل توكابو

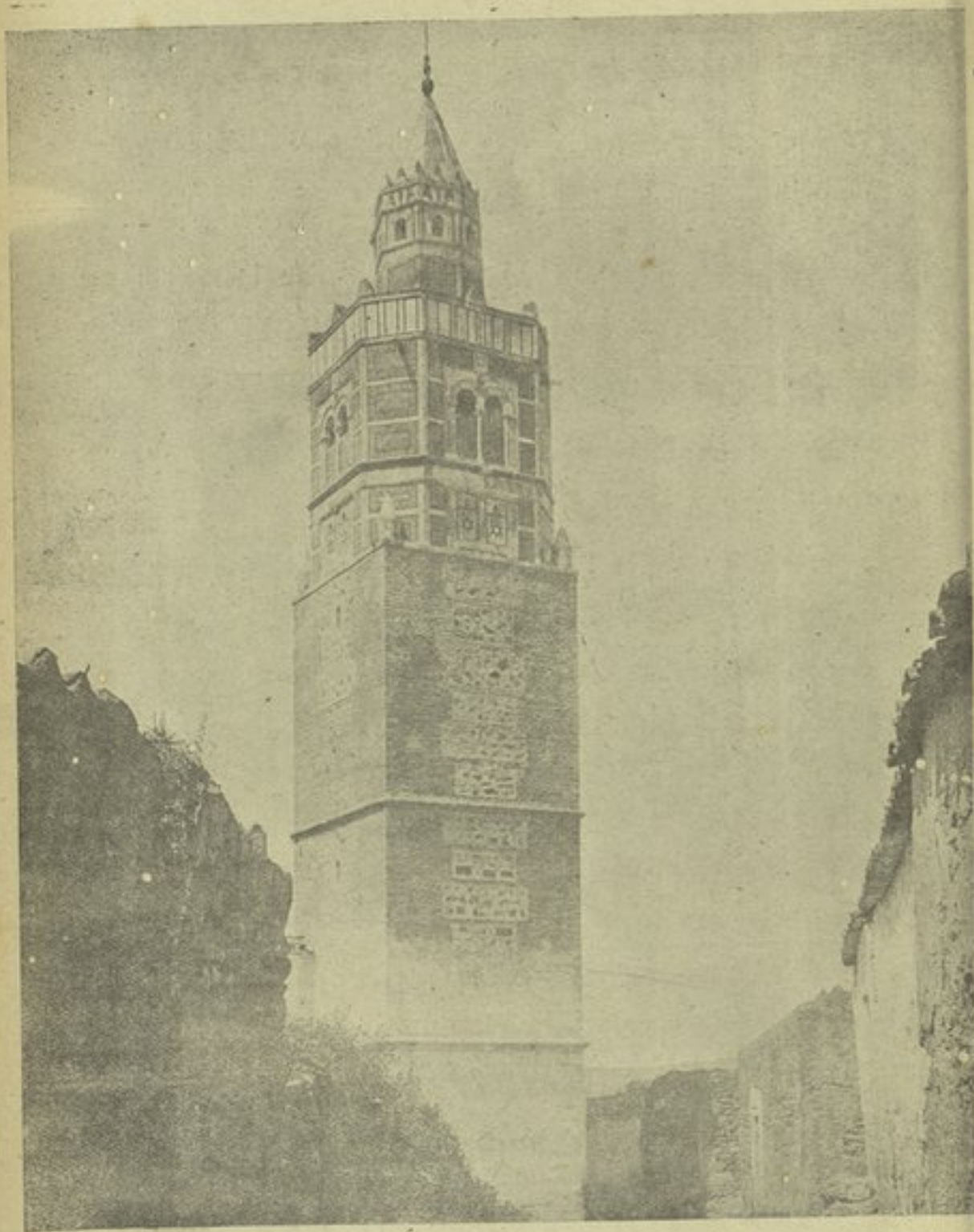


هيكل عطارد بعين طنقة من عمل المجاز
وهو الهة التجارة والفصاحة والتلصص عند الوثنيين



مواجه البرابرة بتوكابر على مقربة من تستور

هذا وبعد ان تلقى فخامة الرئيس مراسم السلام والاحترام من اعيان
 النزلاء ومن وفود الاهالي وكان في مقدمتهم عاملهم الامير الادي السيد محمد
 الاديك ومشايخ الطرق والزوايا والعمد والاعيان انتظم بياب المحطة
 قطار مركب من نحو ثلاثين عربة سيارة في طليعتها السيارة الرئيسية وسار
 الموكب على هذا النظام قاصدا تبرسق فمر بطريقه على بلد تستور ذات
 الصومعة الاندلسية التي تحاكي شكل صومعة جامع اشبيلية على عهد
 السلطنة الاسلامية وهناك التف حول ركابه جموع لا تحصى من الفرسان
 والعربان وكانت بايديهم مباخر الطيب وطفقوا يلهجون بالدعاء لفخامته
 ويخفقون اعلاما مثلثة كانوا قابضين عليها فوق صنيعهم لدى فخامته
 موقع الاستحسان



صومعة جامع استور الشهيرة وهي من بناهات الاندلس

ولا يسه القاري إلا النظر بعين الاعتبار والاعجاب لهذا الصومعة التي بناها اخواننا الاندلس كما شيدوا بغيرها من الجهات كثيرا من الصوامع والمساجد التي يذكر فيها اسم الله ومنها جامع بلد السلوقية الذي يرى القاري ايضا مثالا من صومعته هنا



منظر من بلد السلوقية وصومعتها التي احدثها الاندلس

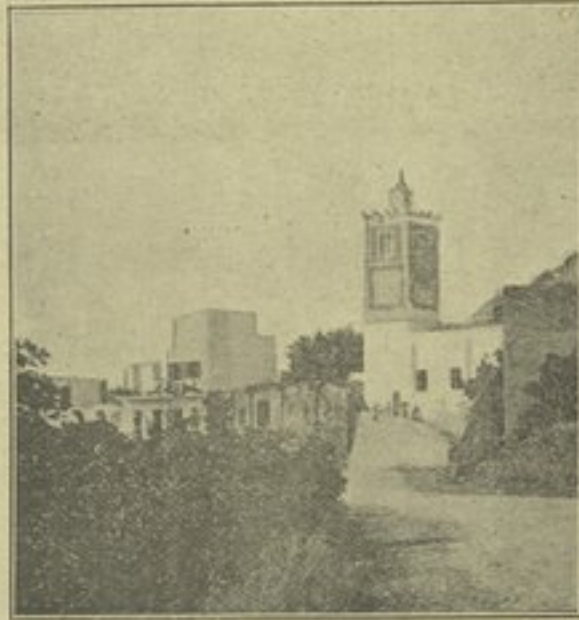
في اوائل القرن الحادي عشر

هذا وبعد مبارحة تستور تقدم الموكب الرئيسي قاصدا تبرسق الواقعة بسفح جبل وهي من المدن الاثرية وكانت على عهد الروان طاغية بال عمران واسمها عندهم « تبرسكوم » فلما دخلها الموكب نزل فقامت الرئيس بدار المراقبة المدنية وبها تلقى مراسم السلام والاحترام من المعمرين

الفرنساويين ثم من العامل السيد مصطفى بن عصمان والمجلس الشرعي
واعيان وعمد العمل وتنازل لاشباع الحديث معهم مظهرا عنايتهم واهتمامهم
بشئون ناحيتهم فاستطلع منهم اساليب حرايتهم في تلك الارض التي بطبيعتها
حجرية واستعلم عن درجة خصوبتها وعن حال الزرع والضرع بها الى غير
ذلك من الاستفادات الزراعية وانجز به الحديث معهم لسماع رغائبهم التي منها
طلب توسيع المجال لهم في الاراضي الخصيبة التي ضاق نطاقها لديهم
باقبال شركات الاستعمار على ناحيتهم وبعد انتهاء موكب القبول جلس
فخامة الرئيس للفظور مع وزرائه وحاشيته الداتية

وبعد الزوال بساعة ونصف تحرك الموكب لزيارة اطلال

دثمة الواقعة على بعد ستة اميال من تبرسق



جامع بلد تبرسق

وقرية دقة كانت في القديم مدينة رومانية متمصرة وبها الهياكل
 العظيمة التي منها هيكل « المشتري » الذي اقامه الرومان حين
 كانوا على الديانة الصائية اكراما للقيصرين مرقوس وفيروس في حدود
 سنة ٤٥٦ قبل الهجرة فطاف فخامة الرئيس بصحبة مدير الانطكخانة خلال
 تلك الاطلال وتامل منها بعين العبرة مستوقفا نظرا وفتاحا اذنه للافادات الضافية
 التي كان المدير المذكور يلقيها بخصوص تلك الديار كانه كان اليها قبل الفتي
 عام من هذا الزمان وكانت تقريراته بخصوص المسرح والكنيسة والضريح
 التي هي اهم اطلال دقة محل اعجاب فخامة الرئيس وحزبه لان المسرح
 كان يحتوي على خمسة وعشرين طبقة من الدرج لصعود المتفرجين
 ويوجد فيه بالنفث على صفحات الحجر عبارة تدل على انه بني على نفقة
 احد اهل الثروة من الفلاحين اكراما لاخوانه المزارعين لدرته انه لدرجة
 الشرف في نظام الدولة الرومانية اما الكنيسة فانها تشبه « الدار المربعة »
 الرومانية الموجودة الى الآن بنية من اعمال فرنسا سوى ان هذا اصغر من
 تلك واما الضريح فانه يبلغ لعلو شاهق ويقال ان بناءه متقدم على دولة الرومان
 وبعد ان اجال فخامة الرئيس نظرا في بقية الاطلال وخصوصا حمامات
 الميلا المعدنية وهيكل الالهة السماوية وواجل المدينة الرومانية بارح
 فخامته دقا وركب سيارته وتبعه اهل دائرته وقصد الموكب مدينة الكاف
 البعيدة من هنالك بنحو سبعين ميلا
 والكاف مدينة قديمة وكانت تعرف على عهد الرومان باسم (سيكافناريا)
 نسبة لكوكب الزهرة التي هي آلهة الجمال والخلاعة عند قدماء اليونان

وهي واقعة في سفح جبل على نسبة ميل ونصف فوق سطح الماء لاجل ذلك كانت لسبب ارتفاعها من اهم المعاقل الحربية .

فلما وصل الموكب الرئيسي مدينة الكاف قبيل الغروب كان اهل البلدة باجمعهم في انتظار فخامة الرئيس وكانت معالم المدينة وانهاجها وبطاحها لابسة من الزينة ثوبا قشيبا واقواس النصر متعالية برحابها وشوارعها غاصت بجموع المستقبلين الوافدين من قرب ومن بعد وكانت المزامير العربية تعزف والطبول تفرع بافراط حتى يخال السامع والناظر انه المنام لما حصل للكافيين من الفرح والهيام فمر فخامة مسيو فليار وسط تلك الجموع والوفود الحشيدة ومن جملتهم وفود التلاميذ فحياهم فخامته وخاطبهم بقوله « ثابروا ابناي على التعلم فان عيون فرنسا ناظرة اليكم وهي لا تنساكم » ثم سار وعلائم البشربادية على محيلا سيما عند مشاهدته لجملة من الاعراب كانت برانيسهم موشحة بميدالية مراكش اشعارا بانهم كانوا قاتلوا في سبيل المدينة الفرنسية بالمغرب الاقصى ولما وصل ركابه دار المراقبة نزل بها واذن بانتظام موكب القبول

واذاك تقدم مسيو برات المراقب المدني بالمكان وادى لفخامته عبارات التهنية والاحترام ثم تناول فخامته باقمة من الزهور من يد اللطيفة ابنة المراقب المذكور ومثلها من يد الماجدة ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروين وكتيها في نحو السابعة من عمرها



الماجدة الاصيلة تاج البخت

ابنة السيد المختار الجويني عامل تاجروين

وكانت هذه البنت الجوينية تحمل لبوسا بدوية فاخرة وعاياها من
الحلي والحلي قدر وفير فلما حيت فخامة الرئيس بلسان فرنساوي فصيح اعجب
بمنطقها وبزتها ولطفها ولم يتمالك عن حملها وتقبيلها

ثم تقدم نحو فخامته لاداء مراسم السلام والتهنئة المعمرون فرنساويون
فموظفو الادارات فرنساوية فاهالي الكاف يتقدمهم عاملهم السيد احمد
السقاط محوطا بخلفاواته وباهل المجلس الشرعي والمشايخ والعمد والاعيان
فالسيد المختار الجويني عامل تاجروين يعضده خلفاواته وشيوخ وعمد

واعيان العمل

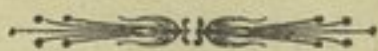
فبقية الطوائف على اختلاف الملل والنحل ومنهم ابناء الجانية الطليانية
وقد حياهم فخامة الرئيس تحية ودية صرح لهم اثناءها بانسراحه لوفود

الاسطول الطلياني للسلام عليه بنزرت في هذه الساعة التي تحتفل فيها
الامة الطليانية بعاصمة رومة بتذكار مرور خمسين سنة على تاسيس الوحدة
الطليانية التي اختلطت دماء رجالها مع دماء ابناء فرنسا في وقعة « مجنته »
الشهيرة لتأييد مقصد واحد

ثم لما انتهى موكب القبول اشرف فخامة الرئيس من معارج الدار
على العساكر واستعرض كتيبتين من الادي « الجوايو » وقد اعجب ببسالتهن
وتسابقهن في مضمار الشجاعة ثم استعرض فخامته الخيالة المسلمين وعاد
لداخل المراقبة حيث استراح رده زمن ثم تاهب للعشاء مع الاعيان
الحاضرين

فاقام فخامته مادبة فاخرة بدار المراقبة دعى اليها الوزراء وبعض
الدوات كما اقام ارباب الصحافة الباريسية مادبة حافلة اكراما لجناب مسيو
بلان الكاتب العام و لجناب مسيو بيريال مدير التعليم الصناعي وكاتب السر
بالسفارة الفرنسية

وبعد ان تفسح اولئك الدوات بالمدينة وكانت آية في الزينة
والاسراج بعناية مجلسها البلدي وعاملها النشيط وحضروا الالعب النارية
والشماريخ توجهوا لمراقدهم ونهضوا بكرة الغداة متاهبين للرحيل





الجامع الاعظم بالكاف

فانتظم اذالك الركب الرئيسي وخرج فخامة مسيو فليار من دار المراقبة المدنية محفوفاً بوزرائه ورجال حاشيته وبعد ان تلقى مراسم الوداع والاحترام من المراقب المدني وعامل الكاف وبقية الاعيان امتطى سيارته السريعة وتبعه الجمع راكبين ثلاثين سيارتاً خفيفة وبارح الموكب الكاف ماراً بخنقة جبل الدير ومكتشفاً من علوشاهق على سهول السرس الخصيبة والبديعة المنظر ثم وقف موكبه لحظة عند وصوله لبلد نبر لمشاهدة الاشغال الجارية لنصب سكة حديدية منها الى ماطر القصد منها تسهيل نقل النتايج المعدنية من الجهات الغربية الى نغر بنزرت ومنها لفرنسا واروبا ثم استأنف فخامته السير وبعد قليل وصل لجندوبة وكانت ارضها كالزبرجد تبشر بصابة بعد العهد بمثلها فاحي مرهاها في اذهان فخامته ورجاله تدكار خصوبة دخلة جندوبة في العصور الخالية حتى وقع التعبير عنها في كتب التاريخ بمطمور رومة ولما كانت الساعة العاشرة وصل الركب لمدينة سوق الاربعاء وهي من المدائن المحدثه بعد الحماية الفرنسية اوية



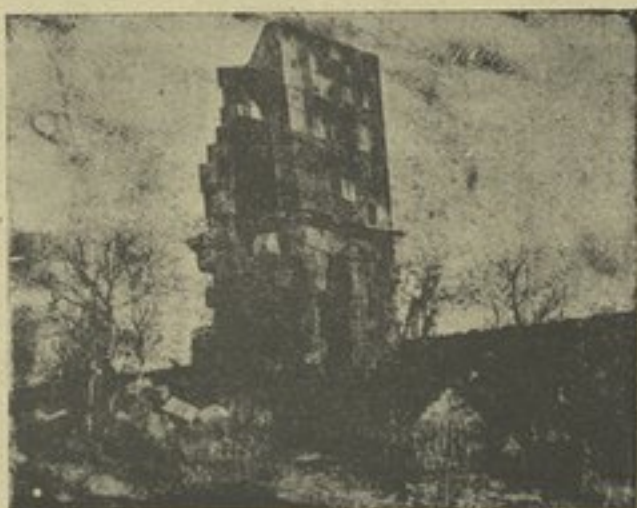
• منظر من بلد سوق الاربعاء •

وكانت تلك البلاد مزدانة بالزرايات واقواس النصر وعلايم السرور بادية على وجه سكانها فدخلها فخامة الرئيس مارا بين اسمطة العسكر الخفيف من الاي التريس الثالث وبين هتاف الوف العربان والبدو المتوافدين من اعمال الرقة وعين دراهم وجندوبة والشحية واولاد بوسالم وغيرها من الجهات الغربية



• رسم اصلي من عربان دخلة جندوبة •

واذاك تقدم الموكب ونزل الرئيس بمحطة السكة الحديد واذن بانتظام
موكب القبول ففتح فخاته المجلس بسماع النشيد الوطني الفرنسي تغنى
به بين يديه تلاميذ المدارس ثم تلتقى مراسم السلام والمحترام من مراقب
سوق الاربعاء ومن ليف المعمرين والمتوظفين الفرنسيين ثم من السيد
حسونه الزواري عامل جندوبة والسيد الصادق بن خليفه عامل الشبيحة



ضريح روماني بعمل الشبيحة

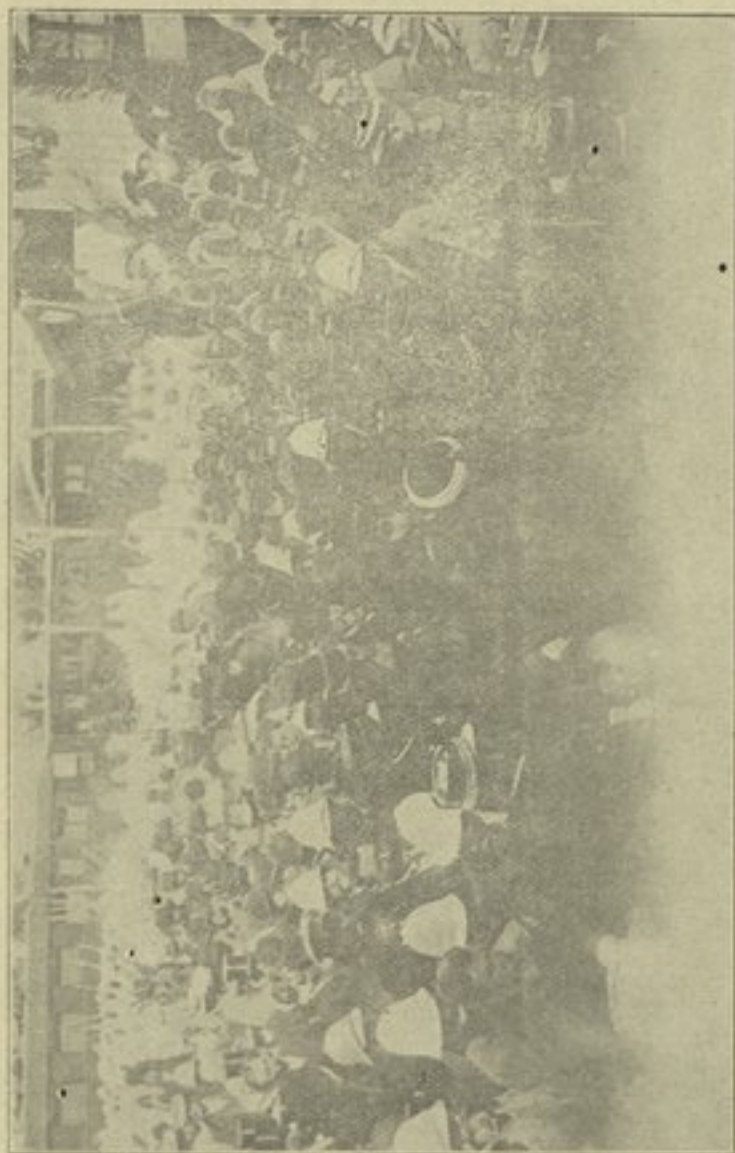
والسيد احمد الاخولا عامل الرقبة والسيد حميدة الحبيب عامل عين دراهم
يعضدهم خلفواتهم ومشايخ وعمد المدائن والقرى والنجوع بالاعمال المذكورة
فاننى فخامة الرئيس على الجميع واستحسن بزتهم العربية ونظر بوجه خاص
لجمع من اهالي جبل خمير جاءوا مع عاملهم للاعراب لفخامته عن طاعتهم
وجنوحهم للهدو والراحة وتمتعهم بالعدل والامان في ظل الحماية الفرنسية
بعد ان كانوا قبل قد اخذوا حظا في الفتك والنهب بين الناس اثناء وقايح
الاحتلال لانهم كانوا يعتقدون ان الارزاق معقودة باسنة الرماح



شجرة الفرنان

التي كان عربان خمير يقدمون اليها الندور وقد احترقت عام ١٣٢٥

ثم ان فخامة الرئيس احسن بالميدالية العسكرية لنفرين من جيش
الجنדרمة وتسلم عدة باقات من الزهور من يد تلميذات مسلمات وفرنساويات
وخرج من محطة السكة قاصدا حضور مادبة انيقة اقيمت هنالك تحت
خيام مزركش على نفقة شركة بون قالة فجلس فخامته وجلس حوله
الوزراء والوزير المقيم والكاتب العام وبقية الدوات وكان مجلس الطعام
موسوما باللطف والظرف وعلايم الفرح والنشاط تتلالا على جبين الحاضرين
وفي ختام الفطور نهض جناب مسيو الابيت الوزير المقيم العام والقى خطبا
عظيما هذا نصه



موكب الخطيب بسوق الأربعاء

ياسيدي رئيس الجمهورية

الممول من الميسو تريات الذي هو من اكرم اهل القرا والذي قام
مع من شاركه في ذلك من معاونيه بالعجب العجاب مدة اسابيع عديدة
في تهيئة قبولكم بما يليق ان يتفضل بالتنازل لي عن مهمة الخطاب لعرض
على فخامتكم مراسم الوداع بالنيابة عن العمالة التونسية في هذا الحين الذي

وصلتم فيه لنهاية هذه الرحلة التي ستبقى خالدة بتواريخها ولا ينسى لها
 بعد ذكر لان زيارتكم لم تغفل أي ناحية من النواحي
 هذا وقد امكنكم ان تشاهدوا مقدار ما حصل عليه هذا القطر بسرعة
 من استكمال عدته تحت نظر وصيته فرانسوا : فهذه طرقاته وهذه سككه
 الحديدية قد استحقت من طرفكم الثناء الذي سنفتخر به كما ستفتخر به
 ادارة الاشغال العمومية - ومعلوم ان هذه الادارة هي التي تولت هندسة
 مجموع خطوطنا الحديدية ولا زالت وفقا لمغوب المعمرين الفرنسيين
 متواصلة السعي في انجازها اكثر فاكثرا ولا شك ان فخامتكم قد حكمت
 عند فتحها للخط المنصوب بين سوسة و صفاقس بحسن اتقان خدمة
 ذلك الخط

اما السكك الحديدية الشمالية المعدة لتزويد نقر بنزرت فقد لاقت
 عشرات طبيعية كانت مجهولة في البدء : فصحة المهندسين والنظار الواقفين
 على الاشغال لم تكن باقل اصابة من صحة ملتزمي الاعمال والفعلة بحيث
 انهم لم يتغلبوا على تلك المصاعب إلا باستعمال الاولين منهم لمهارة صناعية
 عالية وايضا لمثابرة ونجدة اخذ الجميع منها نصيبه وليس هنالك شيء
 ينسيهم عبء تلك المأمورية اجل من احسن الالتفات الذي قابلتم به صنيعهم
 فلتسمح لي حينئذ فخامتكم بتقديم شعائر شكرهم الممزوج
 بشكران الملكة التونسية قاطبة

وان فخامتكم التي لم تفكر لحظة في سبيل الاشفاق على قواكم البدنية
 لم يخطر لها ان تمحو اي حركة متعبة من فصول برنامج الرحلة الذي
 عرض على انظاركم وما ذلك إلا رغبة منكم في المعاينة والوقوف بداتكم

على كل شئ مع ان الخطب التي سمعتموها كانت تكرارا محضا - وهذا
 برهن لكم على وجود احساسات هنا عامة لدى جميع الطبقات وهي
 احساسات مشتركة عند الجميع مسماها الاخلاص لفرنسا والاحترام العميق
 مع الاعزاز نحو ذاتكم وقد نال كل أحظه من خطاباتكم حيث اطنبتم
 القول اينما حلتم بفصاحتكم النضاجة المعهودة ولطفكم الجامع بين الابداع
 والبساطة ذلك اللطف الذي سحر بيهائه كل من اقترب منكم لا بطريقة
 التمييز لان فخامتكم تتنازل ايضا لسماع صوت الضعفاء بل بداعية الفرح
 والتسابق لتلقي ما يفولا به جنابكم من الكلام

واذا بقي في فتح العمالة التونسية للنفوذ الفرنسي نقص يحتاج الى اتمام
 فان الفضل في انجازها يكون عائدا لاياديكم البيضاء

واني ارى نفسي بصدد محاولة شئ مفروغ منه حيث وقفت موقف الترجمة
 عن احساسات الشعب الذي ما انفك متسابقا منذ عشرة ايام للمثول امام
 ركابكم لان كاس فوادلا قد طفحت بما انا عاجز عن وصفه كما يستحق
 هذا واني بمحضر نواب المعمرين الفرنسيين من اهل الفلاحة
 والتجارة وبمحضر اهالي مراقبة سوق الاربعاء وبمحضر اللطفاء رجال
 الصحافة الذين لم يدركهم عياء والوزراء الذين تنمو اجورنا بسرورهم
 اشرب مع كامل المراعاة المتصلة بجوارحنا على سلامة فخامة رئيس الجمهورية
 وعند انتهاء هذا الخطاب الذي تلقاه الحاضرون بمظاهر الاستحسان
 والتصفيق الطويل قام فخامة الرئيس وارتجل خطابا بديعا ادا بصوت
 جهوري وبحماسة وقد نقله الصحافيون بطريقة الاختزال في الكتابة
 وكان سماع الحاضرين اليه وهم وقوف على القدم ونصه بعبارة

ايها السادة

ان العبارات التي سمعتموها تزيد في الاسف الذي حصل لي لاقتراب ساعة مفارقتكم لكن مرادي ان اقول كلمة اخيرة بالعمالة التونسية قبل افتراقنا من هذه الرحلة - ذلك اني جئت للعمالة لتبليغها سلام الاخوة من فرنسا وكذلك سابلغ عنها سلام الاخوة لفرنسا

وان ما شهدته وسمعته لم يغير شيئا من الاحساس الذي هو بخلدي نحوكم من قبل فالاشغال العجيبة التي تم انجازها بهذه الارض تشهد بان مهندسينا والشركات الحديدية هم الذين مهدوا حقا مشروع المدينة لذلك اشكر كل الذين شاركوا اي مشاركة كانت في ذلك المشروع ومدوا بالمساعدة التي من الواجب ان لا تنسى ونعني بهم مدير الاشغال العامة ومهندسيه والواقفين على الاعمال والمستخدمين والعملة

وبازاء الطرقات الحديدية والاشغال العمومية التي ساعدت على الرفاهية وتنمية الثروة العامة يوجد ذلك الامر الذي ينقاد قلبي طبعاً نحو جهته ألا وهو المدارس المفتحة الابواب في وجوه الاطفال الفرنسيين والتونسيين الذين لا ارى فرقا بينهم لاني لا اطلب الا شيئا واحدا من التونسيين وهو تعلم اللغة الفرنسية التي هي بكل المعاني لغته العالم المتمدن والذي يظهر يا جناب المقيم العام ان من الواجب صرف عنايتكم الحثيثة نحو هذا المقصد اذ قد اصبحتنا بفضل ادارة الحماية ليس في مقام الاعادي بل كاحباب يبسط الينا كل الناس ايديهم لنصافحها

ويقول بعضهم اني وديع واني اسط يدي بسهولة للمصافحة نعم انهم قالوا
 حقا ولكن لا اسطها الا للذين يعملون لعظمة الوطن - اما الايدي الكثيرة
 التي صافحتها هنا فلكوني احست منها انعطافا مثل الذي احسته مني
 ومعلوم ان ضمائرنا لا يوجد وراها مقاصد خفية ولا تحركنا غاية
 الفتح اذ لا نرى الا مقصدا واحدا الا وهو فتح القلوب - على انه توجد بين
 فرنسا وتونس مشاركة في عواطف شريفة واخرى في الوطنية ولدينا راموز
 من ذلك حيث شاهدنا البارحة بفضل قائد جيش الاحتلال استعراض ابناء
 القطر التونسي المتوجهين للمغرب الاقصى بقصد اعانة اخوانهم في السلاح
 واعلاء مقام العلم الفرنسي ان اقتضى الحال - ولي العلم بان كثيرين
 يتوجهون لذلك السفر اعني العساكر الذين بقوا لانه لا يوجد مكان للكل
 ثم قال فخامة الرئيس ان رحلته هذه لا ينساها وشكر اعضاء الصحافة
 الفرنسية والتونسية عن كدهم الذي لم يتطرقه الفشل وسرح لهم باعتمادها
 على حكمتهم وانصافهم لانه لا يراي العام كما شكر المسيو مرسيل تريالات
 رئيس مجلس ادارة بون فالمة عن براعته الغريبة في ادارة الشئون المنوطة بمعهدته
 اثناء هذا الرحلة التي ابرز نظامها وتم نجاحها على غاية ما يرام
 ثم ختم خطابه قائلا - قد قضينا رحلة عظيمة وجميلة والسادة الوزراء
 الذين رافقوني وشاركوني في ابتهاجي يشهدون امي بذلك وانجزنا عملا
 للسياسة العمومية بين الدول وجولنا الفكر الفرنسي باصقاكم التي اشربت
 حب العدل والحمية الوطنية المنيرة وبارح هذا القطر معتقدين انه توجد له
 الا فرنسا واحدة وعند شربنا على مجدها وعظمتها نشرب في آن واحد على
 مستقبل وسعادة المملكة التونسية

فلما انتهى الرئيس من خطابه قامت ضجة هتاف وتصفيق بلغت عنان السماء
ورطب الحاضرون السنتهم بالدعاء لفخامته وللجمهورية ثم انتهى الموكب
واذن مسيو فليار بالرحيل واذاك بارح فخامته باند سوق الاربعاء



جامع سوق الاربعاء الذي احدث سنة ١٩٠٩

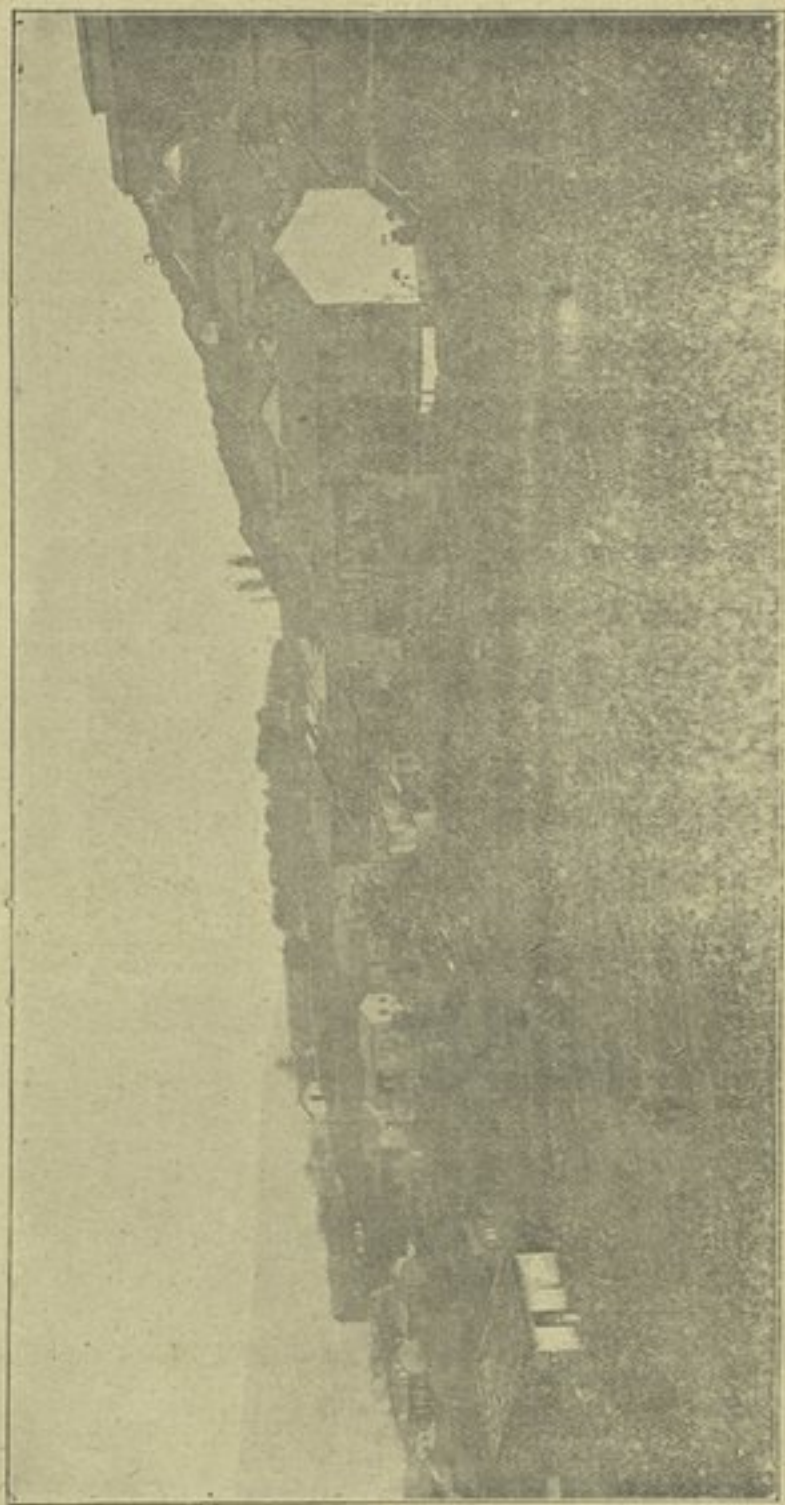
وقبل ان نختم الكلام على حديث الرحلة الرئيسية بسوق الاربعاء قاعدآ
عمل جندوبة ينبغي ان اشير لماضى هذه الجهة وما كانت عليه من
السعادة وال عمران على عهد الدولة الرومانية ويكفي في ذلك ان تنقل هنا
للقاري راموزا من مدينة تلك البلاد الناطقة ارضها حتى اليوم باثار حضرية
ومجد لم يمحه كره الدهور وتعاقب السنين والشهور



مساكن اهل الكهوف في القديم
بجهة ربيعة المعروفة عند علماء الآثار باسم بولاريجيا

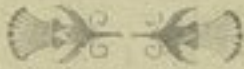
كذلك يرى القاري تلوهدا من مناظر التمدن الروماني ومن ثروة
المقاطع المعدنية والمرمية ومن الغيب الملتفة ما يدل على اهمية مناخ تلك
الجهات التي اصبحت اليوم مقصدا للسواحين ومصيفا للاروبا وبين ناهيك
ان الدولة التونسية اقامت بمزراة السردوك على مقربة من عين دراهم خانا
كبيرا لمن يرغب من مستخدميها ومتوظفيها تبديل الهواء عوض السفر لفرنسا

(۲۶۵)



بلد عین دراهم

وهذا جبل شمتو من عمل الرقبة وهو حجة ناطقة بثروة مقاطعها
البرميرية التي زينت الواحها بيوت الاغنياء والكبراء سواء ذلك بتونس وباروبا
وكل من نظر لانواع رخامه من اللون القرمزي والبنفسجي والاحمر الناصع
والاصفر الفاقع والاخضر والايض والازرق الاواعجب بجمال ذلك المرمر
النادر الوجود



(٢٦٧)



مقطع المرمر بسمتو

(٢٦٨)

هذا ولما بارح صاحب الفخامة مسيو فيليار بلد سوق الاربعاء ركب
زنتله الرئيسي وسار على طريق السلكة الحديد قاصدا واد باجة ويعرف اليوم
باسم قنطرة « طراجان » نسبة لانراطور روهاني كان من الرجال المصلحين
على راس المائة الثانية للميلاد



(٢٦٩)



منظر مدينة باجة

وباجة كانت تسمى على عهد الرومان « فاسكا » وكانت على عهدهم
 بلاد زرع وضرع كما هو شأنها ايضا في دولة الاسلام ناهيك انها تسمى في
 المعجمات الجغرافية العربية باسم « باجة القمح » قال ياقوت « سميت بذلك
 لكثرة حنطتها » وامتحن اهلها في اواسط المائة الرابعة في ايام مغلد بن
 يزيد بالقتل والسبي والحريق قال الراجزي في ذلك

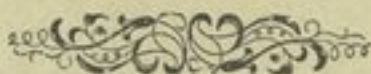
وبعدها باجة ايضا افسدا واهلها اجلى ومنها شردا
 وهدم الاسوار والمعمورا والدور قد فتش والقصورا

وباجة انبتت غير واحد من العلماء الفحول منهم الشيخ صالح المغراوي
 ذكره العبدري في رحلته واثنى عليه ولا زال له عقب بها ليومنا هذا
 فلما وصل رئيس الجمهورية لمحطة واد باجة كان في استقباله مسيو
 كليبار المراقب المدني والمتوظفون ولفيف المعمرين والمجلس البلدي واعيان
 اهالي العمل يتقدمهم عاملهم السيد محمد الصالح البكوش فالسيد عثمان
 ابن عبد الرحمن العضو النائب عن مدينة باجة بالمجلس الشوري فالخلفاوات
 والمشايخ والعمد فبقية اصحاب الحشيات والمظاهر الرسمية واذاك دخل فخامة
 الرئيس قاعة الاستقبال وانتظم الموكب لقبول مراسم التهنئة والاحترام فافتتح
 المراقب المذكور تلك المراسم باداء سلامه واحترامه لجناب الرئيس وتشرف
 بعدلا باداء نظير تلك المراسم بقية الذوات الحاضرين ولما آلت نوبة الكلام
 للسيد عثمان بن عبد الرحمن العضو بمجلس الشوري التقى على الاسماع
 الرئيسية ابياتا جاء فيها قوله

لنا ثلث قرن في السعادة والهناء ومنكم هذا العزيز يبقى ويكمل
 نبذنا سلاح الاولين لعلنا بدولتكم هي السلاح الموفى
 واهدت تدكاركم بندقتي وسيفا على اليمن المويد يقبل

ثم قدم لفخامته هذا السلاح الذي اشار اليه في الايات المذكورة
 معرفا ايلا انه سلاح الرباء والاجداد وان الاهالي اصبحوا في غنى عنه بفضل
 العدل والامان الذي مد عليهم رواقه في ظل الحماية الفرنسية فاخذ منه
 فخامة الرئيس تلك الهدية واجابه بشهامة قائلا

« بقي هذا الاسلحة باغمادها كما فعلنا منذ ثلاثين سنة ونستعد
 مع ذلك لحفظ الراحة اما في زماننا هذا فسلح الانسان ذكرا وعلمه »
 ثم ان فخامة الرئيس استحضر السيد محمد الصالح البكوش واثى عليه
 ومجد ذكرا وقلدا بيدلا وسام الشرف الفرنسي وهنالا به تهنئة فائقة بين
 تصفيق الاستحسان من كافة المعمرين والاهالي الحاضرين





السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة

وبعد ان جامل فخامته اعيان الذوات تحادث مع مسيو فوردير العضو
بمجلس الشوري ورئيس الجمعية الاستعمارية بباجة وافاض معه القول
في الشؤون الزراعية وتربية البقر ثم وعدلا بانه سيرسل له باسم الجمعية
المذكورة على وجه التنشيط راسين من البقر الضخام المشهورة ببلاد «الجيرس»
من اعمال فرنسا لتنسيل جنسها بالعمالة التونسية فشكر مسيو فوردير هذا
العناية العالية الدالة على مزيد اعتناء فخامته بشؤون الزراعة التونسية
وانجز فخامة الرئيس وعدلا اذ وجه له في شهر فراير سنة ١٩١٢ فحلا
من الثيران وعجالة فاخرة من الجنس المذكور اعلا .

ثم ان جناب الرئيس مر بصف البنات من تلميذات المدرسة الاسلامية
وقصد العربية فصدحن وراى بالولولة الكثيرة وربما ارتقى رتلها توادع مع
الحاضرين واذن بالسفر فتحرك القطار قاصدا ترسخانة سيدي عبد الله
ببحيرة بنزرت

واذاك كان في انتظاره برصيف الترسخانة اهل الحل والعقد والمجلس
البلدي بمدينة فريفييل فتقدم ككاهية هذا المجلس والقي على مسامح
فخامته الخطاب الاتي نصه

ياسيدي رئيس الجمهورية

اقدم لكم التحية والاحترام بلسان المجلس البلدي والمدينة واعرب
لفخامتكم مع ذلك عن شعائر تعلقنا الندي لا ينفصم حبله نحو فرنسا
الجمهورية

انكم قد لقيتم اثناء هذا السفر الطويل المتعب ترحابا شائقا ومتكررا
من اجناس سكان الايالة على اختلافهم إلا انه لم يحصل ببلد مثل ما حصل
ببلدنا من الشعور بالنخوة الوطنية والفرح والتشرف بزيارة نائب فرنسا
الموقر وذلك لان بلدنا كاد ان يكون فرنساويا بحتا فقد نشا وتكون بارض
لم يكن بها شيء فكانه قد شيدته يد ساحرة

ان هذا البلد احدث منذ عشرة سنين لخاصة خدمة الترسخانة وهو اليوم
ياوي طائفة من النوتية والعمامة وحسن مستقبله مقيد بحسن حظ بحريتنا
الوطنية

وحيث كندا ولدنا وكذا نشانا كذلك كنا نطمح لزيارتكم وكذلك
صرنا سعداء الحظ بتمكننا من رد السلام عليكم اعني على وطننا الجميل نفسه

وعند ركوبكم البحر في هدلا الساعة للالتحاق بالارض التي هي
 منعقظ راس جميعنا حيث يتبلغون لمسامع اخواننا بام الوطن تحيتنا ورجائنا
 نستمنح منكم يا فخامة الرئيس مع الدعاء لكم بسفر ميمون وسعيد ان
 نصدع مرة زائدة بالديار التونسية قائلين « لتعش فرنسا ولتعش الجمهورية
 وليعش فليار !

وقد اجابه فخامة الرئيس بهذا العبارات

اني لم اقف هنا في اليوم الآخر حيث كنت اعلم اني راجع ولكن
 مما لا ريب فيه عندكم اني لا امرينكم من دون ان احببكم واصافحكم
 وحيث اعرفكم فرساويين عريقين وجمهوريين مخلصين فكيف لا اجد
 من نفسي انبساطا عظيما للمحادثة معكم بعض دقائق

هذا واني لاعلم كما بدأ غيري بفرنسا معرفته قيمة المشروع البهيج
 الذي وقع القيام به هنا وشاركتكم في انجازها باخلاص وكيف لا تكونون
 فرنساويين وجمهوريين وانتم سكان بلد منسوب لغيري

انكم طليعة المدنية في هذا القطر الانيس الذي كنت اتجول به
 واني ابارحكم ومعني ذكر لا يمحي من جميع ما شاهدته واني لا اقول
 لكم « في الوديعة » بل اقول لكم « إلى عودة الملاقاة ان شاء الله »
 واصافحكم كلكم مصافحة الوداد

وفعلا فانه شهود وشعران المصافحات عندئذ من مسيو فليار لاعضاء
 المجلس البلدي كانت ودادية قلبية

وفي تلك الاثناء حضرت ثلاث بنات لابسات ثيابا بيضا وتمنطقات
 باوشحة مثلثة الالوان وبايديهن ثلاث باقات من الزهر دفعنها لفخامة

الرئيس وهن الابكار بنات لرنيو ورنديو واذاك نطقت كبيرتهن البكر
جرمان لرنيو بالخطاب اللطيف الاتي
يا سيدي الرئيس

حيث انا نحب الزهور وكنا ظريفات تقدم لكم من صميم القواديات
الباقية اللطيفة مع ابتسامات ثغورنا لانكم على وشك الارتحال فعاها
تكون تذكارا لطيفا من بلدنا الواقع تحت هدلا القبة الزرقاء الصاحبة
التي ترى شمسها في عيوننا النجل والمرجوان تقولوا لآخواتنا اللطيفات
بفرنسا اتنا نجبهن ونتذكرهن وان تبلغوهن من طرفنا قبلا روحية لاننا
نحن ايضا فرنساويات ونحب وطننا وجمهوريتنا

يا سيدي الرئيس تصاحبكم السلامة وتتعش فرنسا وليعش فلبار!
هذا وكان في زمرة المشيعين برصيف المرسى رفيع الشأن البرنس
سيدي المنصف باي اكبر انجال الحضرة العلية وبصحبه الفاريق فلنسي



المرفع شانه سيدي المنصف باي

فلما التقى مقام الرئيس العظيم والبرنس الكريم تصافحا مصافحة الكرام
وقال سموه لفخامته (ان الحضرة العلية كلفته بالمجيء نيابة عنها لاهداء
سلامها العالي لجناب رئيس الجمهورية قبل سفره وسوال فخامته هل رجع
مسورورا من رحلته) واجابه فخامة الرئيس عن هذلا الاحداث الشريفة
قايلا (انه لمسورور جدا من رحلته كلها وانه يرغب من سموه ان ينهي
للحضرة العلية شكراته الفاتقة عن العناية التي اظهرها كافة المامورين
الاهليين بجنابه)

ثم سلم فخامة مسيو فليار للبرنس سيدي المنصف باي وسام الكمندور
الاعلى من نيشان الزراعة برسم الحضرة الملكية والصف الثاني من الوسام
الموا اليه بعنوان البرنس نفسه فشكر سمو البرنس فخامة الرئيس عن هذلا
العواطف السامية وتقدم مع فخامته والوزراء وبقية الذوات لرصيف البحر
واذالك ادت العساكر السلام وتصافح فخامته مع سيدي المنصف باي
والجنرال يستور وجناب الوزير مسيوروا وجناب مسيو بلان وبقية
الذوات وامتطى مع جناب الوزير المقيم متن الطراداة المسماة (المجتاز)
فتحركت بفخامته نحو الدارعة الرئيسية (الحق) وهنالك توادع فخامته
والوزراء مع المقيم العام ورفع العلم الرئيسي فوق اعالي المدرعة واقلع
الاسطول عند الغروب بفخامته ووزرائه وحاشيته من ميلا بنزرت على
طنين المدافع من كافة القلام والثكنات البرية فسار به مع اليمن والسلامة
الى ان عاد بفخامته لثغر طولون الحربي الذي ركب منه فخامته قبل عشرة
ايام بقصد القدوم لتونس

﴿ الخاتمة ﴾

الفصل الاول

في الكلام على الحماية بالنسبة لأروبا وللمملكة التونسية
يظهر من عبارة التواريخ ان مبادي العلايق بين تونس واروبا كانت
على عهد الحروب الصليبية اي بعد انتصار السلطان صلاح الدين
الايوبي ورجوع النصارى من البلاد السورية يدلك عليه وجود الفاظ
كثيرة قديمة جدا في الاصطلاح التونسي كقولهم « هذا رجل يتكلم
ويلبس بالسوري » كناية على انه يحسن الالسنه واللبسه الفرنجية وما
ذلك إلا لظنا منهم في البدء ان الشىء السوري هو الفرنجي بعينه ويا بعد
ما بين المشرق والمغرب وانما انجرلهم هذا الوهم من طريق اهل اوروبا
الذين وفدوا على افريقيا بعد اقامتهم اجيالا متعاقبة بالديار الشامية
فانت ترى ان اختلاط البلاد التونسية باروبا يرتقي في سلم القرون
الخالية الى اواسط المائة السابعة للهجرة وهو العصر الذي كانت فيه اذاك
سوق العلم بهذه الديار نافقة وبحور فنونها بالتاليف التونسية طافحة دافقة
قال في كتاب المسامرات الادارية الذي انه رؤسا دولة الحماية باذن
العلامة الخطيب المصقع مسيو ملي الوزير المقيم السابق
« ان موقع الايالة التونسية بحوض البحر المتوسط من احسن المواقع
الجغرافية ووجودها باقضى شمال افريقيا جماعها مع عمالة الجزائر متاخمة

للقسم الغربي من حوض البحر المذكور الذي تحيط به اراضي اروبواوية
يعني اسبانيا وفرنسا وايطاليا - على ان سكان القطر التونسي اهالي المدن
واهالي قرى السواحل كانت لهم في كل العصور علاقة متبعة بالاروبويين
ومن دون احتياج للنظر في صحيفة الازمان السالفة اي في عهد ازهر
عصورها الماضية فان تونس الاسلامية انما امتزجت ضمن المحفل
الاروبوي الغربي بعلايق تجارية وسياسية لذلك كانت هي ملتقى
العلماء في كل حين وآب فالقيروان والمهدية وتونس كانت مراكز راقية
للاداب العالية نعم ان صبح هذه المدائن العلمية اظلمته غيوم الفتن في
القرون الاخيرة إلا انه بقي على كل حال لتونسيين ذوق عميق وحب
في العلم وثيق ولنا ان نرى في عصر الحماية الفرنسية نوع حركة
وهضة سيبقى اثرها خالدا بتاريخ هذه امة الراقية »

ولقد قال صاحب هذه العبارات حقا لان ارتقاء الافكار الاسلامية
في تلك العصور كان بالغا جدا يدل ذلك عليه مسألة اختلاف المذاهب
بهذا الديار عند ظهور دولة الشيعة اي الدولة العبيدية اذ كمل بظهورها
اجتماع اشهر المذاهب الاسلامية الاعتقادية بهذه البلاد حيث جمعت اهل
السنة بقسميهم « السلفية » الذين كانت عقيدتهم كعقيدة اهل السلف
مبنية على ظواهر القرآن والسنة و « المنكلمين » الذين كانت عقيدتهم
موسسة على الغوص في حقايق معاني الكتاب والاحاديث النبوية وجمعت
« الشيعة » اي انصار سيدنا علي بن ابي طالب بقسميهم الاصليين قسم

« المتغالين » في الانتصار لمذهبهم المبني على ظواهر ضعيفة وقسم « المتفلسفين »

وهو منشأ طائفة الصوفية في تلك العصور وسذهب « الخوارج » المبني

على ابطال الحكومة في الاسلام وعلى التغالي في التحاشي من مخالفة اوامر

وعلى تكفير من حاد عن عقيدتهم واستحلال دمه وماله الذين يجوز

ان نعتهم بانهم آباء طائفة الفوضيين المعروفة في هذه العصور

تلك الحالة الراقية التي كانت عليها المملكة التونسية في القرون

الوسطى وما قبلها وهي حالة اعقبها الفشل والضعف لسوء الحظ في الثلاثة

القرون الاخيرة حتى آل امرها للانحطاط الدفعي وسقوطها في حجر فرنسا

التي مدت لها يد المساعدة حتى اصبحت تونس متعلقة بها تعلق البنث

البارة بامها الحنينة

ولم يكن استقرار فرنسا بتونس بالسهل عليها لانها كانت تمنعها

بذلك دول ادوبا اعني الدول التي اصبحت فيما بعد بفضل سداد التهدير

الفرنساوي احباء لفرنسا وليكن القاري على بينة من ذلك ننقل له ملخص

مقالة سياسية نشرتها في هذا الموضوع جريدة الطان المعتبرة - وهي اسان

حال السياسة الخارجية لدولة الجمهورية - اثر اختتام زيارة مسيو

فليار لتونس

قال - لا بد لمن له المام بالتاريخ ان يستغرب كون الميلاء التونسية اصبحت

اليوم مرسجا لهذا المظاهرات الودية وذلك ان بريطانيا العظمى وايطاليا

كانتا على التناوب اشد الدول معا كسة لمشروع فرنسا بالمملكة اولائم

اكثرهن مجاداة فيه . فلا شئ اعظم قيمة اليوم للفرنسيين من ان يروا
 تينك الدولتين مشاركتين لهم بحسن طوية في الابتهاج بانجاز مشروعاتهم
 ثم من يوم استيلاء فرنسا على القطر الجزائري اضطرت الحكومة
 الفرنسية للاهتمام بمراقبة الحوادث الواقعة بتونس وقد اعراب جول فري
 عن حقيقة لا تقبل النزاع اذ قال يوم ٥ نوفمبر سنة ١٨٨١ بمجلس نواب الامة
 « ان المسألة التونسية لا تقل قدما عن المسألة الجزائرية بل انهما
 متعاصرتان ولا يمكن ان يخطر على بال فرنسوي مخلص لبلادلا ترك
 اكتساب وطن هو مفتاح دارنا باتم معنى الكلمة لغير دولة ضعيفة اوحيدة
 او راضخة لسلطتنا »

فجول فري لما نطق بهذه العبارات ذكر بتدقيق قضية مقررة منذ
 زمن طويل وذلك ان الاميرال الفرنسي هوكون كان منع في سنة ١٨٣٥
 الاسطول العثماني من انزال جيش الاحتلال تونس وفي سنة ١٨٤٥ رفض
 الباي بايعاز من القنصل الفرنسي الولاية التي كان يروم الباب العالي الزامه
 بقبولها ثم في سنة ١٨٥٤ تعرض المسيو موتيبي سفير فرنسا بالاستانة لتداخل
 الاتراك وفي سنة ١٨٦٤ رامت الحكومة العثمانية ان تتداخل من جديد
 ولكنها لاقت من حكومة باريس مثل المعارضة الاولى بحيث ان جميع
 الحوادث التي حدثت في ذلك الوقت اثبتت صحة الملاحظة التي كان
 ابداءها القنصل الفرنسي بتونس يوم ٢٨ ديسمبر ١٨٧١ حيث قال :
 « لست اعتقد بانه يمكن اجتناب اخلال المملكة التونسية في المستقبل »

ومن المعلوم ان مسألة الاحتلال كانت عرضت لأول مرة في محادثة سياسية دارت بمؤتمر برلين وبيانه ان اللورد ساليزبوري سال في ٧ جويليه سنة ١٨٧٨ سفيرنا المسيو وادينطون عن الشروط التي تشرطها فرنسا للموافقة على الاتفاق الانكليزي التركي المتعلق بقبرص ولكن حيث ان السفير الفرنسي الموما اليه لم يجبه بجواب قطعي فان اللورد ساليزبوري هو الذي قال له من تلقاء نفسه : « اعملوا بالمملكة التونسية ما تريدون . » فاستغرب المسيو وادينطون هذا الكلام اولا ولكنه لما عاد الى باريس قال لبعض خواصه : « اننى اتيت بالمملكة التونسية هنا » ووضع يده على جيبه .

ولقد كان المسيو وادينطون على الصواب غير ان الامور جرت باقل سرعة مما كان ينتظر وذلك ان اللورد ساليزبوري اظهر الاحتراز في المسألة منذ ٧ اوت ١٨٧٨ حيث كتب للورد ليونس ما معناه :

انه يوجد بون عظيم بين الموافقة على امر وقع ونزل والتسليم للضرورة الناشئة عن الظروف السياسية فليس في امكان انكثرا ان تتجاوز هذا الحد ومن جهة اخرى فان الحادث الذي يشيرون اليه لم يزل بلا شك بعيدا جدا .

وفي الوقت نفسه كذب السير لازار بالاستانة ما كان شاع بان بريطانيا العظمى اباحت احتلال المملكة التونسية

ثم لما كانت فرنسا يوم ٢٦ افريل ١٨٨١ عازمة على العمل فان وزارة سان جامس (الوزارة الانكليزية) عزمت على ايقافها ولكنها لم تخف

ايضا اغتياضها من ذلك وبهدلا المناسبة ابليغ اللورد ساليز بوري الباب العالي
ما معنالا :

« انني آسف كثيرا لكون فرنسا رات من واجبها ان تثير مسألة شرقية
شديدة لفائدتها الشخصية » ومع ذلك فقد اقترح كبير وزراء انكلترا على
فرنسا بنوع استياء في الحقيقة ان يتوسط بينها وبين الحكومة العثمانية
في المسألة التونسية . ثم لما وقع امضاء معاهدة باردو بعد بضعة اسابيع قال
اللورد غرانفيل للمسيو شامليل لاکور :

« من اخفاء الحقيقة ان اترككم تعتقدون بان عمل فرنسا في المملكة
التونسية احدث تاثيرا حسنا بانكلترا وقد كنا ننتظر وقوع عمليات عسكرية
ولكنكم اتيتمونا بمعاهدة حماية حقيقية . »

ومن جهة اخرى فان اللورد ليونس اعتنى بتسليم لائحة الى وزير
خارجيتنا المسيو برتيلمي صانت هيلير احتج فيها سلفا عن فكرة جعل بنزرت
قلعة حربية وبالجملة فان استياء بريطانيا العظمى في المسألة التونسية كان
جليا بقدر الامكان

١٠ ايطاليا فان حنقها كان اشد وذلك انها ما كادت ان تتحقق حصول
وحدتها حتى صارت تحلم بنشر سلطتها على البحر المتوسط حسبما كان
يعددها بذلك اذباؤها وفي هذا المقام قال متزيني في سنة ١٨٣٨ ان افريقيا
الشمالية راجعة الى ايطاليا وفي سنة ١٨٦٦ كتب بيزمارك لمتزيني نفسه
بانها لا يمكن فرنسا وايطاليا ان تشتركا في البحر المتوسط لفائدتهما
المشتركة وان ذلك البحر ارث تستحيل قسمته بين اقرباء . ثم ان مملكة

البحر المتوسط ملك من املاك ايطاليا بلا نزاع فان لهذا الدولة من
السواحل فيها ضعفي ما لفرنسا . فمن الواجب اذن ان تكون مملكة
البحر المتوسط موضوع اهتمام ايطاليا على الدوام والاستمرار والغاية التي
يسعى لها وزراؤها والمقصد الاصلي لوزارة فيرينسة (ايطاليا) . وبالجملة فان
المؤلف الطلياني فيروزو كان يطلب في كتابه الذي سماه « ابل بريماتو
ايطاليانو » مصر وطرابلس الغرب والمملكة التونسية والقطر الجزائري
بصفة مستعمرات طبيعية لايطاليا فهل يمكن المرء والحالة هذه ان يستغرب
هذا الامر وهو حدوث استيلاء شديد بايطاليا من العمل الذي قامت به فرنسا
في سنة ١٨٨١ وقد القى ذلك الاستيلاء بعد بضعة اشهر بايطاليا في حجب
المحافة الثلاثية بحماسة عدوانية اشتد بسببها الخطر الذي كانت تتوقعه
فرنسا من تلك المحافة

فاذا امكن اليوم اعادة ذكرى تلك المقاومة بدون خطر وفي يوم عيد
وسرور فما ذاك الا لكون الحالة باروبا تغيرت كثيرا ولكون فرنسا
وايطاليا وانكترات ان لكل واحدة منهما مكانا رحبا في البحر المتوسط
وان بريطانيا العظمى اولائم ايطاليا اعترفتا بمركز فرنسا بتونس . ثم ان
رئيس الجمهورية لما ذكر الارقام التي تدل على ترقى المملكة التونسية لم
يتكبد عناء عظيما في اثبات هذا الامر وهو ان مساعينا خدمت الايالة
التونسية واروبا معا ولقد مضت ثلاثون سنة على امضاء معاهدة باردو وبعدها
المعاهدة باقل من عشرين سنة تمت المصالحة بين فرنسا وانكترات وايطاليا اه
فهذه النبذة التاريخية التي قراها المطالع تدله على كنه سياسة فرنسا

بنونس من حيث العلائق الخارجية واما من حيث سياسة الحماية اعني
السياسة الداخلية التي يُسمع بها ونراها فعنوانها الخطاب السفيري الذي
وقع به تنصيب سمو الحضرة العلية على اريكتا اسلافها الكرمين
والجواب عنه بلسانها الشريف وهما خطابان يبرهنان عن شدة الوثوق
واستحكام روابط الالفة وعلائق الود بين الامة الحامية والامة المحمية
وقد تقدم نقاهما بمقدمة هذا الرحلة الانيسة فليرجع لهما من شاء الوقوف
على الخبر اليقين

الفصل الثاني

في الكلام على هدايا الاكرام وشعائر الوداد والاحترام
اهدى جناب رئيس الجمهورية الفرنسية للحضرة العلية يوم زيارة
فخامته لسموها بسراية باردو المعمور مقطفا فضيا للزهور حجمه
ضخيم ونقشه جميل وفخيم وهذا المحمل الثمين النفيس كتب فوق قاعدته
بالحرف الذهبي العبارة الآتية « من ارمان فليار رئيس الجمهورية الفرنسية
لسمو سيدي محمد الناصر باي - تفكرا زيارته لتونس في افريل ١٩١١ »
كما اهدى فخامته لمقامها الملوكي عند مبارحته للتميلة التونسية وسام
الكمندور الاكبر من النيشان الزراعي

واهدى الجناب الملوكي لفخامته مسيو فليار عند تلقي زيارته بسراية
باردو نيشان آل البيت الحسيني السني كما اهدى فخامته يوم سفرا عائدا
للديار الفرنسية سفرا جميلا سموها بالذهب الوهاج مطرز الحواشي
وبوشح الصفحات بمناظر انبية ومعاهد ومعالم الحاضرة التونسية

وعند تمام زيارة فخامته ومبارحته لميلا بنزرت ارسلت مقامه العالي
لسمو الحضرة الملكية التلغراف الاتي نصه
الى حضرة سيدي محمد الناصر باي - بتونس
في هذا الوقت الذي بارحت فيه ارض الايالة التونسية اعرب لحضرتكم
العلية عن كامل امتناني من اجل الاكرام الذي تفضلتم به نحوي
وشاركتم فيه الامة مشاركتة فائقة كما اعرب لسموكم عن الابتهاج الذي
حصل لي بما شاهدت في القطر التونسي من الاتحاد والوفاق المبشر
بالسعادة وال عمران

الامضاء - فليار

واجاب المقام الملوكي عن تلك الرسالة البرقية بتلغراف نصه
الى فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية بطولون
ان زيارة فخامتكم ستبقى محفوظة بذهني الى ما شاء الله وبرادي
ان اكرر لكم عن تلك الزيارة عبارات الشكر في حق نفسي وبالنيابة
عن الامة واني لسعيد الحظ من كون فخامتكم شاهدت بالذات مقدار ما
لبلادي من التعلق بفرنسا وهو تعلق مبنيا اعتراف القطر بما لفرنسا عليه من
مزية تحقيق سعاداته وعمرانه

الامضاء - محمد الناصر باي

واصدر جناب المولى الوزير الاكبر بالدولة التونسية منشورا لكافة
العمال يعرب فيه عن رضاه عما قاموا به من امظاهر الاحتفال والاحتفاء
بفخامة الرئيس الكريم اثناء رحلته بالعمالة وهذا نص المنشور بعد فاتحته

اما بعد فان فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية اعرب لجناب المقيم العام عن شدة التأثير الحسن الذي حصل مما شاهدته من مظاهر الاخلاص والصدقة نحو الدواة الجمهورية الفرنسية ومما اظهره اهالي العمالة التونسية من الاعتناء والاحترام الذي تلقوا به فخامة الرئيس وقد رغب جناب المقيم العام في تعريفكم بذلك وعليه فبمجرد اتصالكم بهذا تبادرون بجمع خلفاوات ومشايخ واعيان ترابكم وتعرفونهم بما اظهره فخامة رئيس الجمهورية من الابتهاج التام بذلك كما نعرفكم بثناء الحضرة العلية على ما وقع من جميعكم مما ذكر ودمتم بخير والسلام من الفقير الى ربه تعالى امير الامراء يوسف جمط الوزير الاكبر وفقه الله

الفصل الثالث

في عطايا الكرام

احسن فخامة رئيس الجمهورية على جهات البر والفقراء بتونس عند

مبارحته للحاضرة بخمسة الاف فرنك وقع توزيعها على الوجه الاتي

١٠٠٠	فرنكات	المستشفى الفرنسي
١٠٠٠	»	المستشفى الصادقي
٥٠٠	»	المستشفى الاسرائيلي
٥٠٠	»	المستشفى الطلياني
٥٠٠	»	الجمعية الخيرية الاسلامية
١٠٠٠	»	الجمعية الخيرية الفرنسية

الجمعية الخيرية الاسرائيلية فرنكات ٢٥٠

مستشفى الابتيت ٢ ٢٥٠

كما ان الكتابة العامة احسنت بتلك المناسبة لارامل فقراء المسلمين بالفين من
الفرنكات وزعتها عليهم توزيعا عادلا انطقهم بالشكر الجميل والثناء الجزيل
وكما ان فخامة الرئيس احسن بمبالغ اخرى للجمعيات الخيرية
وللقراء بالمدن الاتي بيانها

فلمدينة القيروان بمبلغ قدره فرنكات ١٠٠٠

ولمدينة سوسة بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة صفاقس بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة بنزرت بمثل ذلك ١٠٠٠

ولمدينة الكاف بفرنكات ٥٠٠

ولمدينة قابس بمثل ذلك ٥٠٠

الفصل الرابع

في مصاريف الرحلة الرئيسية

في الخامس عشر من جمادى الاخرة سنة ١٣٢٩ اصدرت الحضرة
العلية امرا في تخصيص المال اللازم لدفع المصاريف الناتجة عن زيارة
فخامة رئيس الجمهورية للمملكة التونسية وهذا نص محل الحاجة منه

الفصل الاول

زيادة على المبالغ المرسومة بالا. المؤرخ في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٢٨
وفي ٣١ ديسمبر ١٩١٠ يرسم لادارة الاشغال العامة تحت عنوان

« المصاريف الغير اعتيادية بميزانية سنة ١٩١١ » مبلغ قدره مائة الف فرنك
 وخمسون الف فرنك ويكون ترسيمه بالبواب ٧ من القسم الثاني من
 ميزان سنة ١٩١١ تحت الفصل ٢٩ المراد فتحه بعنوان (رحلة جناب رئيس
 الجمهورية الفرنسية بالعمالة التونسية في سنة ١٩١١)

وكما اصدرت امرا ثانيا بعنوان ملحق للامر المذكور في تاريخ ١٨
 ذي الحجة ١٣٢٩ ونص محل الحاجة منه

(زيادة على المبالغ التي عينت يرسم لادارة الاشغال العامة مبلغ قدره
 ثمانية وثلاثون الف فرنك بعنوان سفر جناب رئيس الجمهورية الفرنسية
 بالعمالة التونسية في سنة ١٩١١)

وزيادة على ذلك فان المجالس البلدية شاركت في مصاريف رحلة
 الضيف الكريم بالمبالغ الآتية

٥٠٠٠٠	فمدينة تونس اعدت لذلك مبلغا قدره فرنكات
٢٠٠٠٠	ومدينة سوسة مبلغا قدره
٢٠٠٠٠	ومدينة صفاقس مبلغا قدره ايضا
١٥٠٠٠	ومدينة بنزرت مبلغا قدره
٥٠٠٠	ومدينة القيروان مبلغا قدره
٥٠٠٠	ومدينة قابس مثلها
٣٠٠٠	ومدينة الكاف مبلغا قدره
٢٠٠٠	ومدينة قفصة مبلغا قدره
٢٠٠٠	ومدينة جاز الباب مثلها
٢٠٠٠	ومدينة سوق الاربعاء مثلها

الفصل الخامس

في عرايض التهاني وقصايد المديح

كان في مقدمة المهنيين بمقدم فخامة رئيس الجمهورية جناب والي عموم الجزائر اذ ارسل لفخامته تلعرافا في التهنية بقدم جنابه العالي لزيارة المملكة التونسية اعرب فيه عن عظيم احترامه وعن تعلق المستعمرة الجزائرية بالدولة الجمهورية وختمه باستدعاء فخامته لزيارة البلاد الجزائرية وقد اجابه المقام الرئيسي متشكرا عن تلك الاحساسات وواعدا اياه بزيارة العمالة الجزائرية خلال هذا العام

أما المجالس البلدية بالمملكة التونسية فقد اجتمع اعضاء كل مجلس بلدي بمحل ادارته وقرروا باجماع الاصوات فرحهم واعربوا عن تهنيتهم لمقام الرئيس العظيم والضيف الكريم

كما كتب مجلس الجمعية الخلدونية في تقرير جاساته عبارة تشكراته وامتنانه وهنائه لفخامة مسيو فايار الذي احسن للجمعية بعطية قدرها الف فرنك على وجه التنشيط كما سبقت الاشارة لذلك بالباب الثاني من الرحلة وكما قدم اعيان الجزائريين والوهرانيين عريضة لجناب السفارة في الاعراب عن ولائهم واخلاصهم لفخامة رئيس الجمهورية

وقدمت الجمعية العلمية الفرنسية بسوسة عريضة هناء من قلم رئيسها كما قدمت فتيات قابس الفرنسية نظما حماسيا من قلم المسيو دبرجون في تهنية فخامته وكما قدم نادي قرنبالية بلسان التلعراف تهنية لجنابه على طريق جناب الوزير المقيم وهذا نصها

ان النادي التونسي بقربالية الذي يمثل اهالي هذا البلد وناحيته
يرجو منكم يا جناب الوزير ان تبلغوا فخامة رئيس الجمهورية عند حلوله
بالبلاد التونسية مراسم الترحيب المقررة بالاحترام ولما للتونسيين من
التشبث بحكومة الحماية فانهم بتحتيتهم لفخامتهم لا يحيون رئيس الدولة
العظيم فقط بل ويحيون معه فرنسا ذات المبادي الكريمة الخيرية التي
ملات اشعتها العالم

الامضاء : ادارة النادي

ونشرت الجرائد العربية التونسية وفي مقدمتها الحاضرة والزهرة
والصواب ومرشد الامة والمشير عبارات الهناء لفخامة الرئيس مكتوبة بقلم
السرور ومشعرة بما حصل للبلاد التونسية من الفخر والعناية بزيارته
الكريمة

كما قدمت صحيفة « صباح » الاسرائيلية التي تطبع بالحاضرة
لفخامتها قصيدة في التهنئة والمديح من انشاء المويستي بنيني شمامه معلم
النقر على البيانو

هذا ما وصل لعلمنا في هذا الباب نقلنا هنا اتساما للفائدة وجمعاً
للطارف والشاردة

واما قصائد المديح التي قيلت في فخامة الرئيس فتذكر منها ما وقفنا
عليه بالجرائد تنويها بشأن تلك الخرائد

فمن ذلك قصيدة انشاها الشاعر الكبير الشيخ محمد الحشايشي الشريف
متفقد الكتب بجامع الزيتونة قدمها لفخامة الممدوح على طريق الكتابة
العامة ونصها

رئيس القوم يصحبك السلام اضاء القطر وجهك يا همام
 ولما ان قدمت قدوم غيث لتونسنا رزاق بك النظام
 تباشرت البلاد ومن عليها وثغر القطر راق لها ابتسام
 ونادى البشر بشري الناس طرا بفليبس وتصحبها العظام
 تطالع بدر باريس بارض حمت اقطارها قوم فخام
 وشرفها فلنا به افتخارا وامنا للبلاد فلا تضام
 الست رئيس جمهور الفرنسي وزورة ذاتك العظمى اغتنام
 وسعد مقبل لا ريب فيه وعز ليس يخلقه الدوام
 وشمس تونس منها استنارت وادبر عن معالم الظلام
 فاهلا ثم سهلا ثم رحبا بيدر لا يفارقه التمام
 فيا فلبيب انت رئيس قوم لهم في العلم مرتبة تقام
 لهم تغزي المعارف كل يوم كما يعزى الى البحر النعام
 ودمت مطوقا بنظام عز وبدرك لا يفارقه الدوام
 وكما قدم ايضا لفخامته على الطريق المذكور الفاضل الاديب السيد

علي الورداني احد كبار المترجمين بالدولة التونسية قصيدة هذا نصها
 قدوم سموكم للقطر فخر ويبقى للايالة منه ذكر
 ولا عجب اذا شرفتمونا وبان على الوجوه لديك بشر
 فان وادانا للعرش منكم عليه قد انطوى قلب وصدر
 وتنجذب النفوس الى مثال له في الكون والارواح سر
 وهذا العبد قد ود اقترابا فقربه الى الاعتاب شعر
 ومعترف بعجز عن مديح لامتك الجليله وهو فخر

فان الجمهورية لا يساوي مزايها الجميلة مناشكر
وامتك الفخيمة قد تعالت كثيرا والعلوم بها تفر
وهايك الديار ديار امن وانصاف ونعم المستقر
وكم نزل الغريب بها فالقى لحسن الخط ما يرجوا حر
جمالها قد كسا الاقطار حسنا واهلها كالنجوم وانت بدر
بهمتها استتب الامن فينا وزالت كل منقصة وذعر
واصبحت البلاد تتيه عجبا تشد لها الرحال وتشمخر
وقد نال التمدن ما كئونها وزاد شعورهم وتعالى فكر
وبالاصلاح قد كسبوا ارتياحا وحفظا للجسوم فطال عمر
واصبح نسايم ريان علما وخف الجهل عنهم واستقر وا
وكلمهم يسدين بذلك شكرا وناكر فضلكم في الناس غمر
اما زال الشقاء ببعيد دار وحاكي قريهم في الحين نشر
وسار الرتل يخترق الثنايا يقربها ولم يرتد شفر
ونال نظام مال القطر عدلا وعين للمصالح وهي كثر
وفاز العدل عما كان قبلا ونال الخصم ما يهواه فكر
واسست المحاكم بانتظام فاذهب بيننا ظلم وجور
وهل يخفى الضيا الذي صباح وبعد الجهل فينا بلن فجر
نعم ارجو الاعانة من علاكم لاحياء فان الموت فقر
وليس المال إلا بعد جهد ومعرفة بها فوز وظفر
وقد ماتت صنائعا وارجو يعيد حياتها طلب وذكر
وان تجري السياسة باشتراك يفوز بئيلنا بدو وحضر

وتشترك المنافع بين كل
 ودونكم مقالا من ضعيف
 يقدم كالهدية وهو شعر
 يفرز بنيلها اهل وقطر
 وداست دولة الجمهور ترقى
 مراقي العزلة ياتيها ضمير
 وهما انا قلت غب الختم ارخ
 قدوم ريسنا فخر يقر

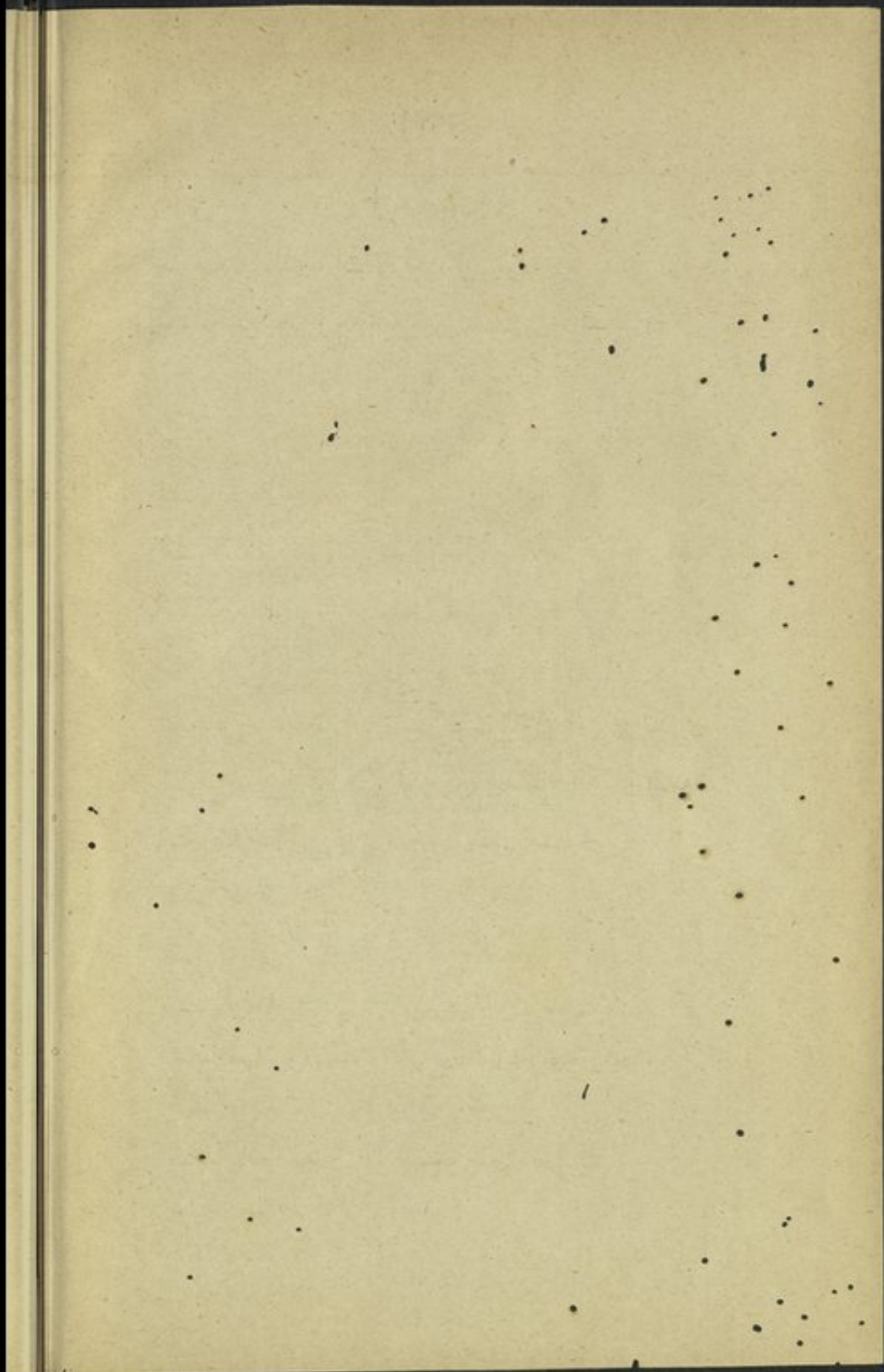
٣١٠ ٨٨٠ ٥٧١ ١٥٠

سنة ١٩١١

وقدم الفاضل الاديب الشيخ صالح سويسي الشريف من بيوت
 المجد القيرواني قصيدة لفخامته يوم زيارة جنابه للقيروان وهذا نصها
 عظيم الناس من نفع العباد واسعد من فضائله البلاد
 واكبر في نفوس القوم طرا همام بالمعارف قد افاد
 فمن غرس المصالح نال خيرا واضحى في حياته لا يعادى
 وكم في الدهر من دول عظام بسر العدل قد بلغوا المراد
 وكم في الشورى من امر عظيم وفخر ما راينداله نفاذ
 بها كل الممالك راقيات ومن ايجادها سلكوا الرشاد
 لقد وافى (الرئيس) بكل خير الى قطر بها غرس الوداد
 فاسفر باليالتا صبح عدل بها تهوى نفوس القوم جاد
 وحل (القيروان) بكل بشر واللائار شاهد ما افاد
 ورحب اهلها بقدم شهم بسر العدل والاصلاح ساد
 فيا اهل (الحمايتا) اتقدونا من الجهل الذي عم السواد

وانواع (الميعاد) عمومها . فداء الجهل فيلقب تماذي
ومن علم (الصنائع) نوروزا فقد الفت صنائعا الكساد
واحمال (الضرائب) خففوها فان الفقرة د هلك العباد
لقد عرضت مطالبنا لديكم وانتم خير من رفع العماد
الستم من بني الاحرار حقا وكل منكم بالحق نادى
فخير المنصفين فتى يلبي نداء مطالب القى القياد
وقدم الوجيه التاجر السيد نند علان لفخامته سفرا جميلا متقن الوضع
والطبع يحتوي على مناظر وموقع قابس ونخيلها ضمنه القصيدة الاتية
لقد نال هذا السفر فخرا موبدا ونال احترامنا فائقا لن يحددا
بلثم يد المولى المعظم من غدا بأرائه صدرا وملجا وسيدا
يشار اليه بالبنان مهابة وقد مدت الدنيا لحضرته يدا
فقال بها (قليير) عزا ورفعة واضحى بها بين الملوك ممجدا
وقاد بها شعبا كريما الى العلى فعاش سعيدا ذلك الشعب واهتدا
فكل عظيم حين يلقي رئيسه يطاطىء راسا ثم ينكب ساجدا
فتها ايها القطر العزيز بزوراة ستسمو بها باقطر مادمت سرمدا
الا وتيقين ان سعدك قد بدا بما ستر الامن مكارم ذي الندى
تقدم هذا السفر منا هدية ونرجو قبولا بالمسرات عائدا
ولا ريب عندي ان تمن به على عبيدك يا من طبت فرعا ومحمددا
فعمش ايها المولى الرئيس مبجلا وعمش ايها الشعب العزيز مؤبدا





﴿ ذيل ﴾

يحتوي على اسماء الذوات والاعيان التونسيين الذين امكثني الوقوف
على اسمائهم ممن احسن لهم فخامة رئيس الجمهورية بالنياشين والامتيازات
بمناسبة زيارته للعمال التونسية

(الصنف الثالث من اللجيون دونور)

السيد محمد القروي رئيس الخزانة العامة

السيد مصطفى دنقزلي عامل احواز الحاضرة

السيد احمد اللونقو عامل الجريد

(الصنف الرابع من اللجيون دونور)

السيد علي بن مصطفى رئيس القسم الاول بالوزارة الكبرى

السيد محمد بن الخوجة رئيس قسم المحاسبة بالكتابة العامة

السيد عبد الجليل الزاوش العضو بمجلس الشورى

السيد محمد الفوراتي مثله

المسيو فيتوسي مثله

السيد الكيلاني شلبي العضو بالمجلس البلدي

السيد خير الله بن مصطفى المترجم المحلف بالمجلس المختلط

السيد محمد الصالح البكوش عامل باجة

السيد صالح النجار العضو بمجلس الشورى

السيد مسعود بن العربي عامل ورغمة

(الصنف الاول من نيشان العلوم)

السيد محمد العزيز الحيوني رئيس قسم الاشهاد بادارة الفلاحة والتجارة

« محمد الزعفراني رئيس قسم الاشهاد بادارة الاشغال العامة

الصنف الثاني من نيشان العلوم

السيد محمد بوسن رئيس المجلس الجزائي بمحكمة الوزارة

« العربي بن عبد الله رئيس الترجمة بالقسم الاول من الوزارة الكبرى

« عبد العزيز البكوش كاهية قسم الترجمة بالكتابة العامة

« علي الورداني المترجم بالكتابة العامة

« محمد المقداد الورتاني نائب جمعية الاوقاف بالقيروان

« صالح سويسي من ادباء القيروان

« احمد المحمودي معلم بمدرسة المرسي

« احمد داود معلم بالمدرسة العاوية

« محمد عظوم العضو بشركة الزريبة بالقيروان

« الحكيم حسين بوحاجب طيب بالمستشفى الصادقي

« علي تامر عضو بالمجلس البلدي بتونس

« محمد علان تاجر بقابس

« حسن حسني عبد الوهاب رئيس قسم بادارة الغابة

« الهادي بن عمار وكيل الكتب بالمدرسة الخلدونية

« الهادي الصنادلي معلم بمدرسة الحدادين

« هارون صفار محتسب بجريدة الديبش تونزيان

الصف الثالث من نيشان اللياقة الزراعي

السيد محمد بن خليفة عامل الاعراض

الصف الرابع من نيشان اللياقة الزراعي

السيد الهادي الجيلاني عامل بنزرت

عبد الرحمن الزمام) العضو بمجلس الشورى

الحبيب بن رجب مثله

عبد الله كاهية مترجم المراقبة المدنية بقابس

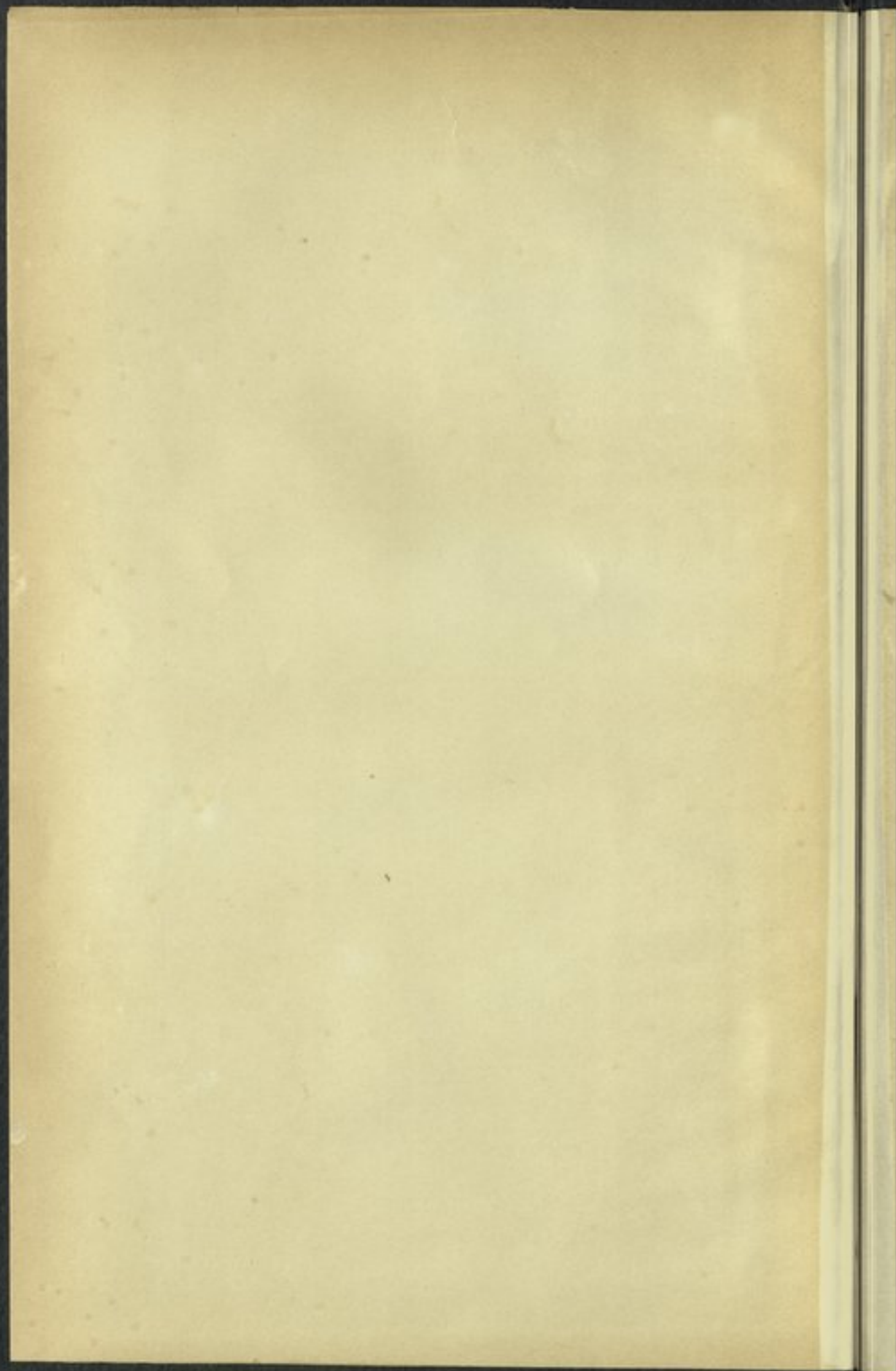
علي بن القروي خليفة تربية يعمل صفاقس

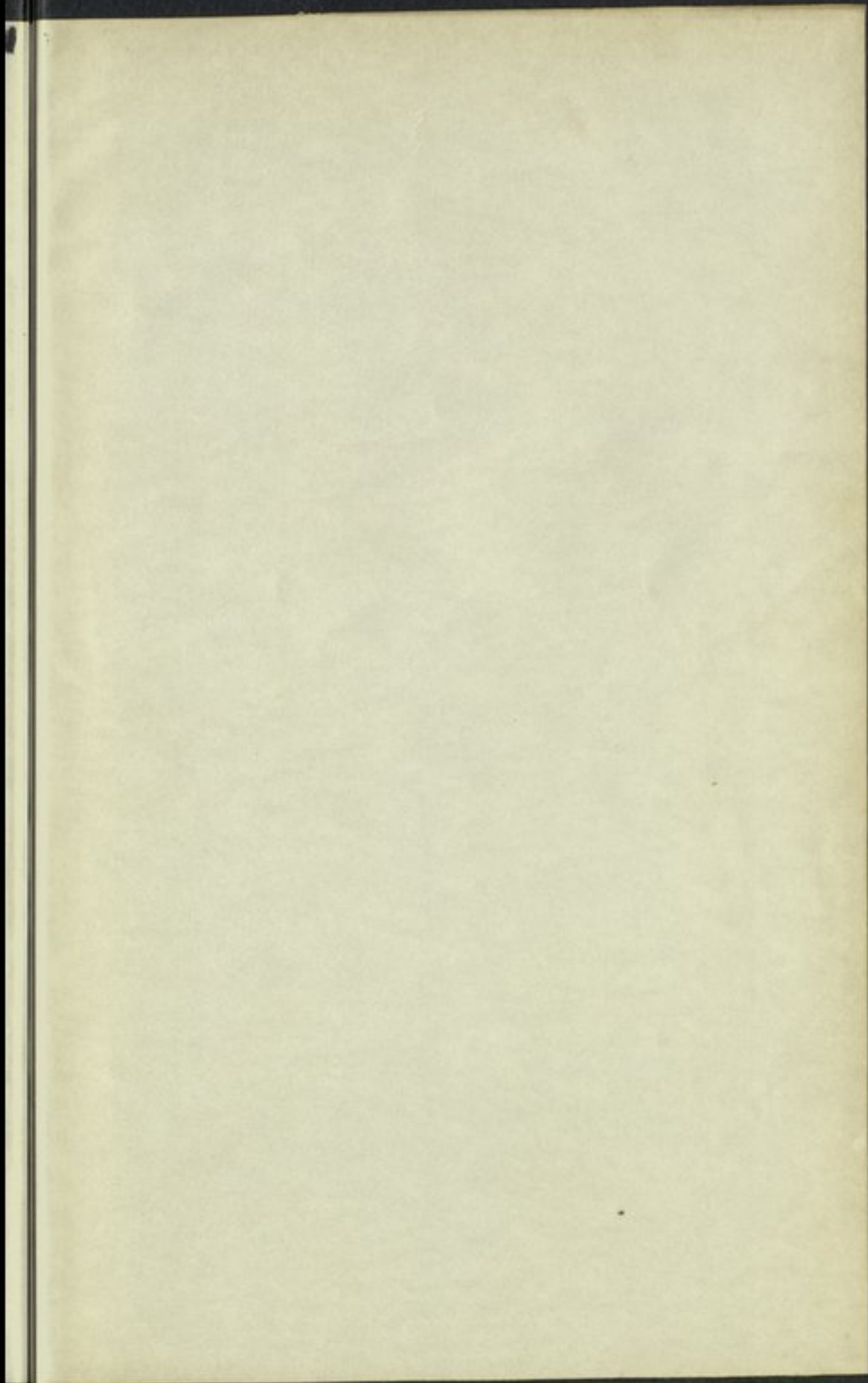


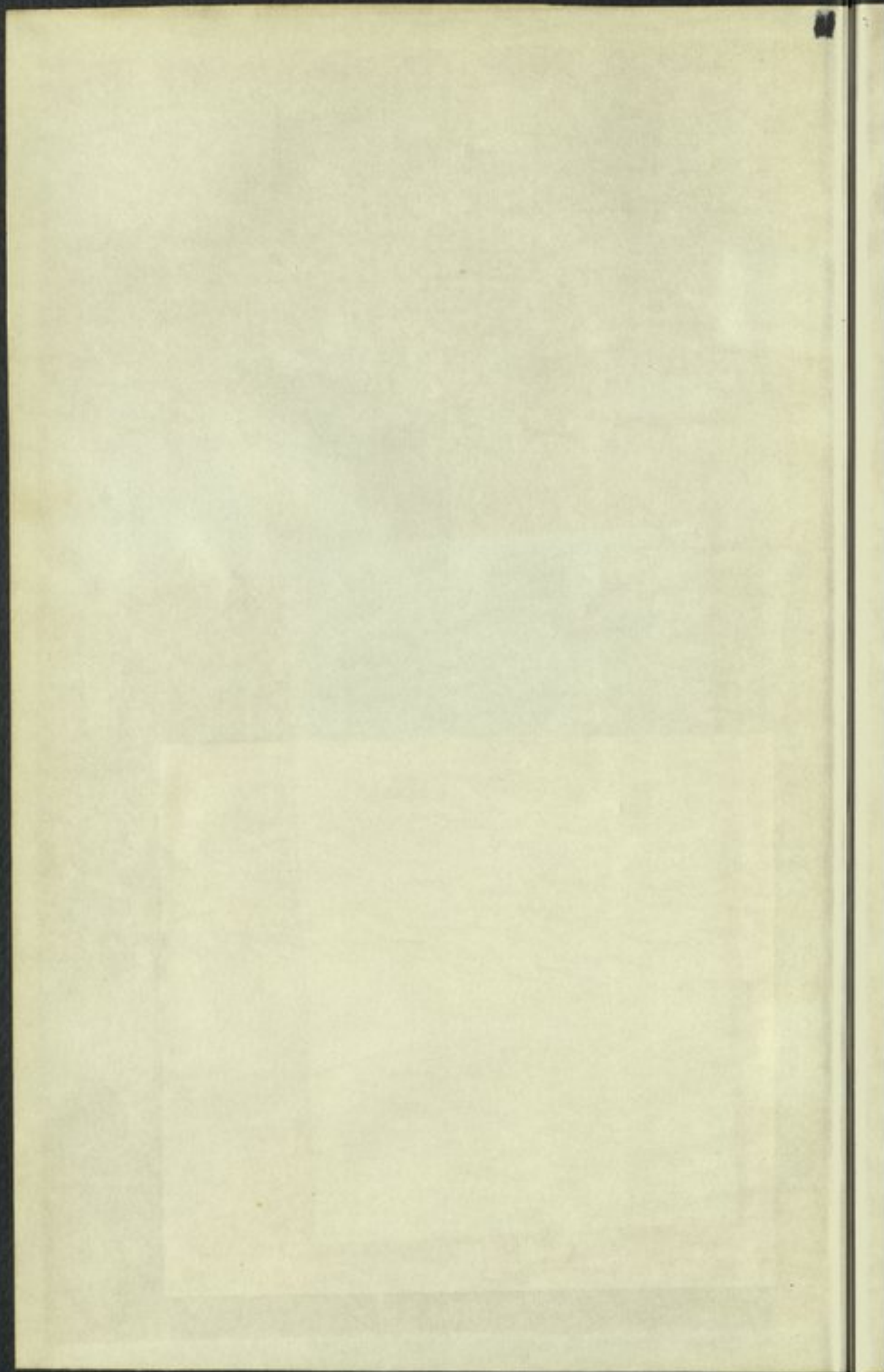
✦ عبارة الختم ✦

هذا ما وصل اليه جهد المقل في تدوين اخبار هذه الرحلة الحافلة
 التي اذنت بتحريرها من طرف الدولة التونسية وقد توخيت في كتابتها
 الاعتدال حتى لا يمل من قراءتها المطالع . وحتى يستفيد منها الناظر
 والسامع . واعتمدت في تكميل انقاصها على فطنه القاري . راجيا منه الصفح
 عما عسى ان يجد بها من الغلط الذي ستبدد سحابتها بطلوع نجمه
 الساري . والله المسؤول ان يغفر زلات الجميع . وان يلهم الكل لما فيه حسن
 الصنيع . والحمد لله رب العلمين









916.11
B45A
15 Dec 64

DEC 1 1964

~~25 Mar 64~~

بن الخوجه ،محمد
الرحلة الغلبارية في الديار التونسية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01248277

